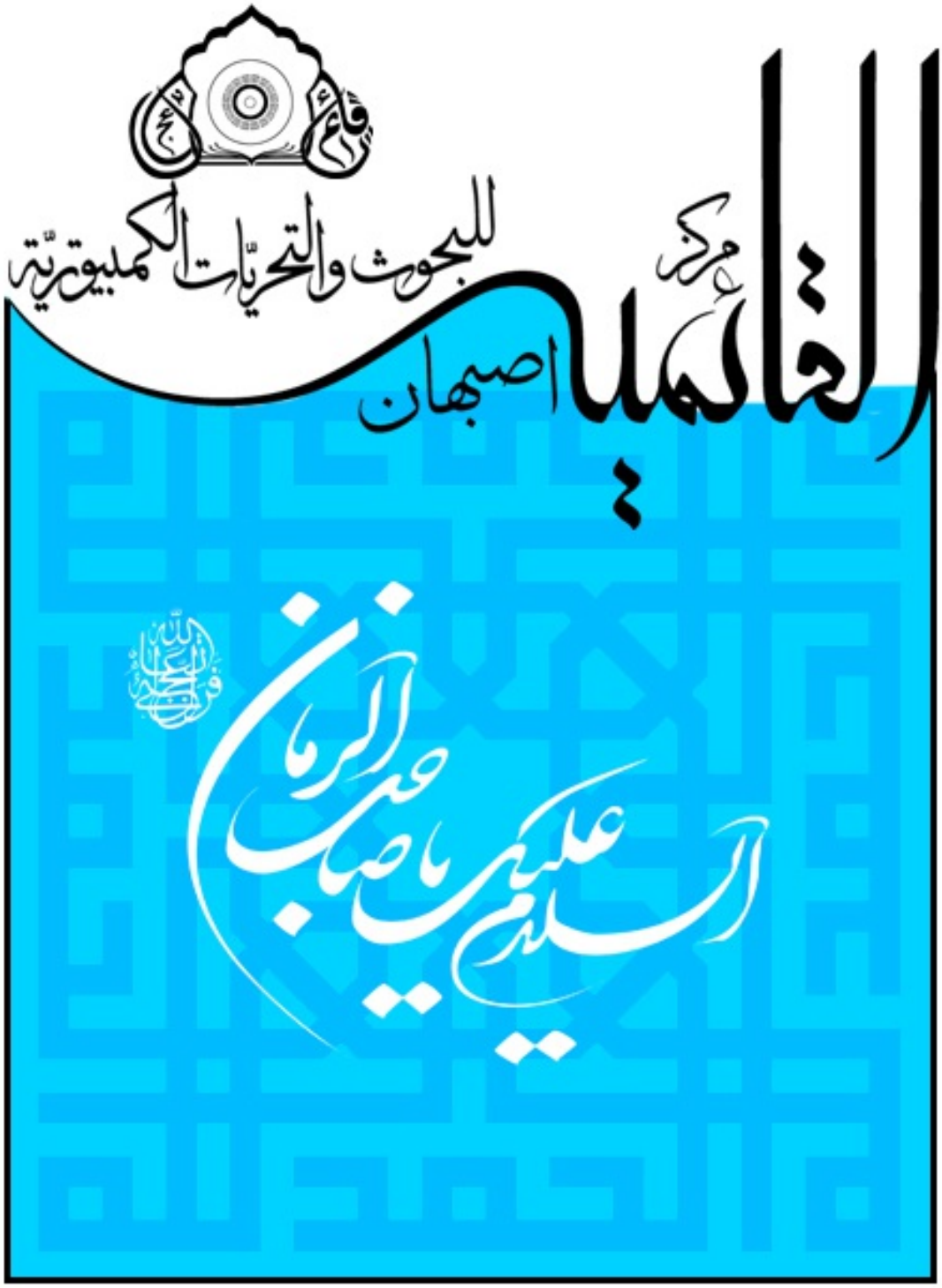

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

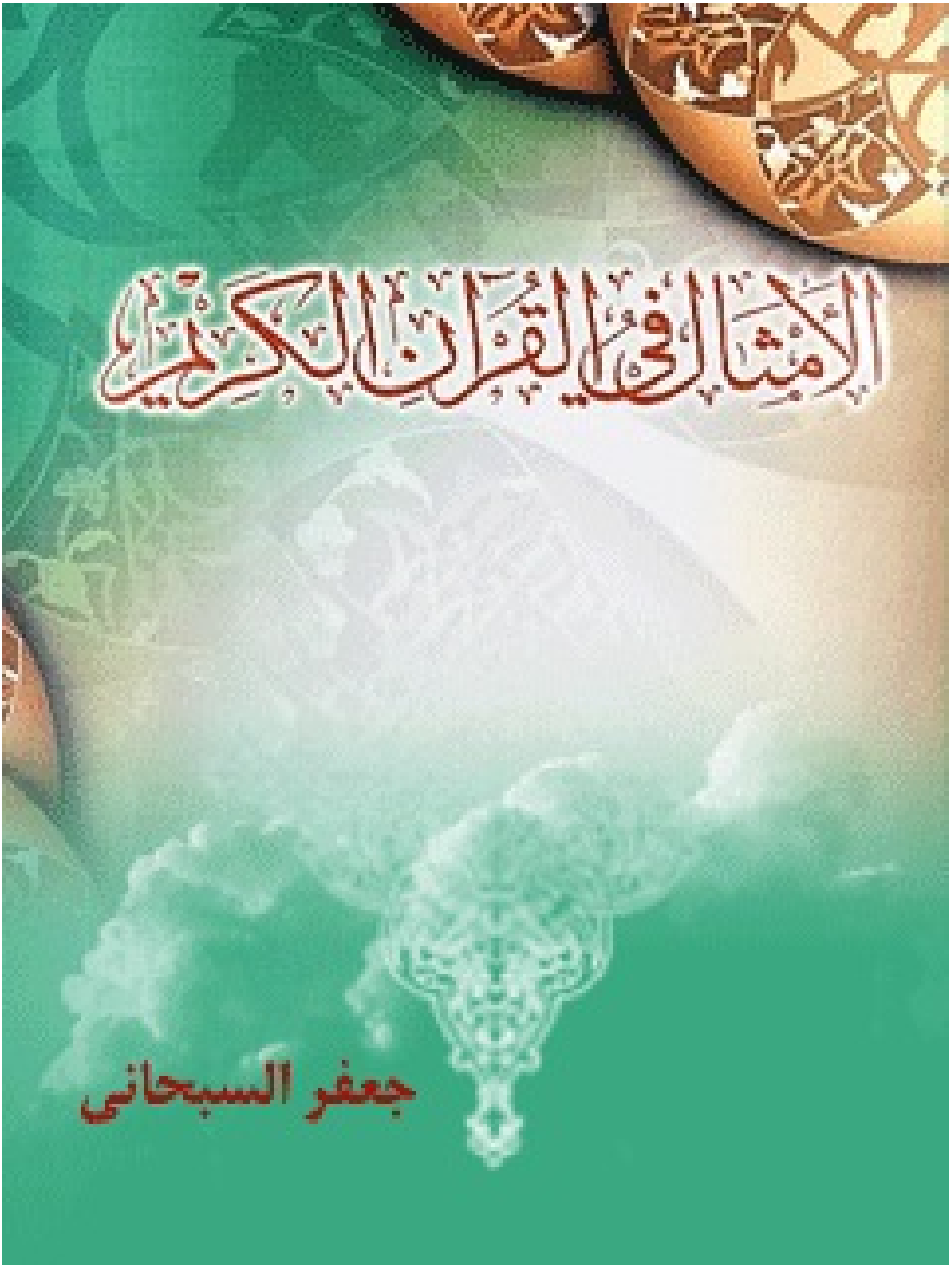
الأمثال في القرآن الكريم
جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الامثال فی القرآن الکریم

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامثال فی القرآن الکریم ----- ۹
اشارة ----- ۹
الَامثال فی القرآن الکریم ----- ۹
الَاوّل: المثل فی اللغة ----- ۹
الثانی: المَثَلَ فی الاصطلاح ----- ۱۲
الثالث: فوائد الَامثال السائرة ----- ۱۳
الرابع: الَامثال القرآنیة ----- ۱۵
الخامس: أقسام التمثیل ----- ۱۶
السادس: الَامثال القرآنیة فی الَاحادیث ----- ۱۷
السابع: الکتب المؤلفة فی الَامثال القرآنیة ----- ۲۰
الثامن: تقسیم الَامثال القرآنیة إلی الصریح و ----- ۲۱
التاسع: ما هو المراد من ضرب المثل؟ ----- ۲۴
العاشر: الَامثال القرآنیة وانسجامها مع البیئة ----- ۲۶
الحادی عشر: استنکار الَامثال القرآنیة ----- ۲۸
الثانی عشر : التمثیلات القرآنیة ----- ۲۹
الثالث عشر: الآیات التی تجری مجری المثل ----- ۳۷
الرابع عشر: الَامثال النبویة ----- ۴۲
الخامس عشر: الَامثال العلویة ----- ۴۵
السادس عشر: أمثال لقمان الحکیم ----- ۴۵
سورة البقرة ----- ۴۶
التمثیل الَاوّل ----- ۴۶
التمثیل الثانی ----- ۴۹

التمثیل الثالث ----- ۵۲
التمثیل الرابع ----- ۵۶
التمثیل الخامس ----- ۵۸
التمثیل السادس ----- ۵۹
التمثیل السابع ----- ۶۲
التمثیل الثامن ----- ۶۳
التمثیل التاسع ----- ۶۴
التمثیل العاشر ----- ۶۵
التمثیل الحادی عشر ----- ۶۷
التمثیل الثانی عشر ----- ۶۹
سورة آل عمران ----- ۷۰
سورة الانـعام ----- ۷۱
سورة الاَعراف ----- ۷۲
التمثیل الخامس عشر ----- ۷۲
التمثیل السادس عشر ----- ۷۳
سورة التوبة ----- ۷۶
سورة یونس ----- ۷۷
سورة هود ----- ۷۸
سورة الرعد ----- ۷۹
التمثیل العشرون ----- ۷۹
التمثیل الواحد والعشرون ----- ۸۰
سورة إبراهیم ----- ۸۳
التمثیل الثانی والعشرون ----- ۸۳
التمثیل الثالث والعشرون ----- ۸۴

التمثيل الرابع والعشرون ---- ۸۶
التمثيل الخامس والعشرون ---- ۸۶
سورة النحل ---- ۸۷
التمثيل السادس والعشرون ---- ۸۷
التمثيل السابع و العشرون ---- ۸۹
التمثيل الثامن والعشرون ---- ۹۰
التمثيل التاسع والعشرون ---- ۹۱
التمثيل الثلاثون ---- ۹۲
سورة الإسراء ---- ۹۵
سورة الكهف ---- ۹۷
التمثيل الثانى والثلاثون ---- ۹۷
التمثيل الثالث والثلاثون ---- ۹۹
التمثيل الرابع و الثلاثون ---- ۱۰۰
سورة النور ---- ۱۰۲
التمثيل الخامس والثلاثون ---- ۱۰۲
التمثيل السادس والثلاثون ---- ۱۰۵
التمثيل السابع والثلاثون ---- ۱۰۶
سورة العنكبوت ---- ۱۰۷
سورة الروم ---- ۱۰۸
سورة فاطر ---- ۱۱۰
التمثيل الأربعون ---- ۱۱۰
التمثيل الواحد و الأربعون ---- ۱۱۱
سورة يس ---- ۱۱۱
التمثيل الثانى والأربعون ---- ۱۱۱

التمثيل الثالث والاَربعون ---- ۱۱۴
سورة الزمر ---- ۱۱۴
سورة الزخرف ---- ۱۱۵
التمثيل الخامس والاَربعون ---- ۱۱۵
التمثيل السادس والاَربعون ---- ۱۱۶
التمثيل السابع والاَربعون ---- ۱۱۷
سورة محمد ---- ۱۱۹
سورة الفتح ---- ۱۲۰
سورة الحديد ---- ۱۲۳
سورة الحشر ---- ۱۲۴
التمثيل الواحد و الخمسون ---- ۱۲۵
التمثيل الثانى و الخمسون ---- ۱۲۵
التمثيل الثالث و الخمسون ---- ۱۲۶
سورة الجمعة ---- ۱۲۷
سورة التحريم ---- ۱۲۷
التمثيل الخامس والخمسون ---- ۱۲۷
التمثيل السادس والخمسون ---- ۱۲۹
سورة الملک ---- ۱۳۱
خاتمة المطاف ---- ۱۳۲
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۱۳۴

الامثال فی القرآن الکریم

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸

عنوان و نام پدیدآور : الامثال فی القرآن الکریم تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم موسسه الصادق علیه‌السلام للطباعه و النشر، ۱۴۲۰ق = ۱۳۷۸.

مشخصات ظاهری : ص ۲۸۱

شابک : ۹۶۴-۶۲۴۳-۷۳-۸

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : قرآن -- امثال موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع

رده بندی کنگره : BP۸۴/۴/س۲الف۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۴

شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۱۶۸۷۶

الاَمثال فی القرآن الکریم

الاَمثال فی القرآن الکریم دراسة مبسّطة

حول الاَمثال الواردة فی الکتاب العزیز تألیف

العلاّمة المحقّق

جعفر السبحانی

(۲) (۳) بسم الله الرحمن الرحیم

(لَوْ أَنْزلْنا هَذَا القُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَةِ اللهِ وَتِلْکَ الْاَمثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُون)(۱)

---

۱ ـ (الحشر: ۲۱)

(۴) (۵)

الاَمثال فی القرآن وقبل الخوض فی المقصود نقدم أُموراً:

الاَوّل: المثل فی اللغة

الاَوّل: المثل فی اللغة

یظهر من غیر واحد من المعاجم، کلسان العرب والقاموس المحیط، أنّ للفظ "المثل "معانی مختلفة، کالنظیر والصفة والعبرة وما یجعل مثالاً لغیره یُحذا علیه إلی غیر ذلک من المعانی. (۱)

قال الفیروز آبادی: المِثْل ـ بالکسر والتحریک ـ الشبه، والجمع أمثال؛ والمَثَلُ ـ محرّکة ـ الحجة،والصفة؛ والمثال: المقدار والقصاص،

إلى غير ذلك من المعانى.(۲)

ولكن الظاهر أنّ الجميع من قبيل المصاديق، وما ذكروه من باب خلط المفهوم بها وليس للّفظ إلاـ معنى أو معنيين، والباقى صور ومصاديق لذلك المفهوم، وممن نبّه على ذلك صاحب معجم المقاييس، حيث قال:

المِثْل والمثَل يدلاّن على معنى واحد وهو كون شيء نظيراً للشيء، قال

---

۱ ـ لسان العرب:۱۳|۲۲، مادة مثل.

۲ ـ القاموس المحيط:۴|۴۹، مادة مثل.

(۶)

ابن فارس": مثل "يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أى نظيره، والمثل والمثال بمعنى واحد. وربما قالوا": مثيل كشبيه،" تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً، قتله قوداً، والمعنى أنّه فعل به مثلما كان فعله.

والمِثْل: المثَل أيضاً، كشِبْه وشبَه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لانّه يذكر مورّى به عن مثله فى المعنى.

وقوله: مَثَّلَ به إذا نُكِّل، هو من هذا أيضاً، لاَنّ المعنى فيه إذا نُكل به: جعل ذلك مثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه. والمُثُلات أيضاً من هذا القبيل، قال الله تعالى: (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلات) (۱) أى العقوبات التى تزجر عن مثل ما وقعت لاَجله، وواحدها:مُثُل. (۲)

وعلى الرغم من ذلك فمن المحتمل أن يكون من معانيه الوصف والصفة، فقد استعمل فيه إمّا حقيقة أو مجازاً، وقد نسب ابن منظور استعماله فيه إلى يونس ابن حبيب النحوى (المتوفّى۱۸۲هـ)، ومحمد بن سلام الجمحى(المتوفّى ۲۳۲هـ)، وأبى منصور الثعالبى (المتوفّى ۴۲۹ هـ). (۳)

ويقول الزركشى(المتوفّى ۷۹۴هـ) : إنّ ظاهر كلام أهل اللغة أن المثل هو الصفة، ولكن المنقول عن أبى على الفارسى (المتوفّى ۳۷۷هـ) أنّ المثل بمعنى الصفة غير معروف فى كلام العرب، إنّما معناه التمثيل. (۴)

ويدل على مختار الاَكثر ما أورده صاحب لسان العرب، حيث قال: قال

---

۱ ـ الرعد:۶.

۲ ـ معجم مقاييس اللغة:۵|۲۹۶.

۳ ـ لسان العرب: ۱۳|۲۲، مادة مثل.

۴ ـ البرهان فى علوم القرآن:۱|۴۹۰.

(۷)

عمر بن أبى خليفة: سمعت مُقاتِلاً صاحب التفسير، يسأل أبا عمرو بن العلاء، عن قول الله عزّ وجلّ: (مَثَلُ الجَنّة)، ما مَثَلُها؟ فقال: (فيهَا أنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسن)، قال: ما مَثَلُها؟ فسكت أبو عمرو.

قال: فسألت يونس عنها، فقال: مَثَلها صفتها، قال محمد بن سلام: ومثل ذلك قوله: (ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوراةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيل)(۱) أى صفتهم.

قال أبو منصور: ونحو ذلك روى عن ابن عباس، وأمّا جواب أبى عمرو لمقاتل حين سأله ما مَثَلُها، فقال: فيها أنهار من ماءٍ غير آسنٍ، ثمّ تكريره السوَال ما مَثَلُها وسكوت أبى عمرو عنه، فانّ أبا عمرو أجابه جواباً مقنعاً، ولما رأى نبوة فَهْم مقاتل، سكت عنه لما وقف من غلط فهمه. وذلك انّ قوله تعالى: (مثل الجنّة) تفسير لقوله تعالى: (إِنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات جَنّاتٍ تَجْرى مِنْ

تَحْتِهَا الاَنْهار) (٢) وصف تلك الجنات، فقال: مَثَلُ الجنة التى وصفتها، وذلك مثل قوله: (ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوراةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجيل) أى ذلك صفة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه فى التوراة ، ثم أعلمهم أنّ صفتهم فى (٣) الإنجيل كزرعٍ.

ثمّ إنّ الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين فى الجنس والمتفقين، لاَنّ التساوى هو التكافوَ فى المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأمّا المماثلة فلا تكون إلاّ فى المتفقين. (۴)

---

١ ـ الفتح:٢٩.

٢ ـ الحج:١۴.

٣ ـ لسان العرب: مادة مثل.

۴ ـ لسان العرب: مادة مثل.

(٨)

وأمّا الفرق بين المماثلة والمشابهة هو أنّ الاُولى تستعمل فى المتفقين فى الماهية والواقعية، بخلاف الثانية فإنّما تستعمل غالباً فى مختلفى الحقيقة، المتفقين فى خصوصية من الخصوصيات.

وبهذا يعلم أنّ التجربة تجرى فى المتماثلين والمتفقين فى الحقيقة، كانبساط الفلز حينما تمسُّه النار، وهذا بخلاف الاستقراء، فإنّ مجراه الاُمور المختلفة كاستقراء أنّ كل حيوان يتحرك فكه الاَسفل عند المضغ، فيتعلّق الاستقراء بمختلفى الحقيقة كالشاة والبقرة والإبل.

وقد تكرر فى كلام غير واحد من أصحاب المعاجم أن المَثَل والمثْل سيان، كالشَبَه والشبْه، ومع ذلك كلّه نرى أنّ القرآن ينفى المثْل لله ، ويقول: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شىء) (١) وفى الوقت نفسه يُثبت له المثَل، ويقول: (لِلَّذينَ لا ـ يُؤْمِنُونَ بِالآخرةِ مَثَلُ السَّوءِ وَلِلهِ المَثَلُ الاَعْلى وَهُوَ الْعَزيزُ الحَكِيم). (٢) والجواب: أنّه لا منافاة بين نفى المِثْل لله واثبات المَثَل له؛ أمّا الاَوّل، فهو عبارة عن وجود فرد لواجب الوجود يشاركه فى الماهية، ويخالفه فى الخصوصيات، فهذا أمر محال ثبت امتناعه فى محلّه، وأمّا المَثَلُ فهو نُعوت محمودة يُعرف بها الله سبحانه كأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وعلى هذا، المَثَلُ فى هذه الآية وما يشابهها بمعنى ما يوصف به الشىء ويعبَّر به عنه ، من صفات وحالات وخصوصيات.

فهذه الآية تصرّح بأنّ عدم الإيمان بالآخرة مبدأ لكثير من الصفات

---

١ ـ الشورى:١١.

٢ ـ النحل: ۶٠.

(٩)

القبيحة، ومصدر كل شر، وفى المقابل أنّ الإيمان بالآخرة هو منشأ كل حسنة ومنبع كلّ خير وبركة، فكلّ وصف سوء وقبيح يلزم الإنسان ويلحقه، فإنّما يأتيه من قبل عدم الإيمان بالآخرة، كما أنّ كلّ وصف حسن يلزم الإنسان ينشأ من الإيمان بها، وبذلك ظهر معنى قوله: (لِلَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَل السَّوء) الذى يدلّ بالملازمة للذين يؤمنون بالآخرة لهم مثل الحسن.

وأمّا قوله سبحانه: (وَلِلهِ المَثَلُ الاَعلى) فمعناه أنّه منزّه من أن يوصف بصفات مذمومة وقبيحة كالظلم، قال سبحانه: (ولا يَظلم رَبُّكَ أَحداً). (١) وفى الوقت نفسه فهو موصوف بصفات محمودة.

فكلّ وصف يستكرهه الطبع أو يردعه العقل فلا سبيل له إليه، فهو قدرة لا عجز فيها، وحياة لا موت معها إلى غير ذلك من الصفات الحميدة، بخلاف ما يقبله الطبع فهو موصوف به.

وقد أشار إلى ذلك فى غير واحد من الآيات أيضاً، قال: (وَلَهُ المَثَلُ الاَعلى فِى السَّماواتِ وَالاَرْضِ) (٢) وقال: (لَهُ الاَسْماءُ الحُسْنى)

(۳)، فالاَمثال منها دانية ومنها عالية فإنّما يثبت له العالى بل الاَعلى. (۴)

ومنه يعلم أنّ الاَمثال إذا كان جمع مثْل ـ بالسكون ـ فالله سبحانه منزّه من المثْل والاَمثال، وأمّا إذا كان جمع مَثَل ـ بالفتح ـ بمعنى الوصف الذى يحمد به سبحانه، فله الاَمثال العليا، والاَسماء الحسنى كما مرّ_____.

۱ ـ الكهف:۴۹.

۲ ـ الروم:۲۷

۳ ـ طه:۸.

۴ ـ لاحظ: الميزان: ۱۲|۲۴۹.

الثانى: المَثَلَ فى الاصطلاح

الثانى: المَثَلَ فى الاصطلاح

المَثَلُ: قسم من الحكم، يرد فى واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها، ثمّ يتداولها الناس فى غير واحد من الوقائع التى تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة فى التصوير.

فالكلمة الحكيمة على قسمين: سائر منتشر بين الناس ودارج على الاَلسن فهو المثل، وإلا فهى كلمة حكيمة لها قيمتها الخاصة وإن لم تكن سائرة. فما ربما يقال" : المثل السائر "فالوصف قيد توضيحى لا احترازى، لاَنّ الانتشار والتداول داخل فى مفهوم المثل، ويظهر ذلك من أبى هلال العسكرى (المتوفّى حوالى ۴۰۰هـ)، حيث قال: جعل كل حكمة سائرة، مَثَلاً، وقد يأتى القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلاّ أنّه لا يتفق أن يسير فلا يكون مَثَلاً. (۱)

وكلامه هذا ينم"انّ الشيوع والانتشار وكثرة الدوران على الاَلسن هو الفارق بين الحكمة والمثل، فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى حكمة إذا لم يتداول،ومثلاً إذا كثر استعماله وشاع أداوَه فى المناسبات المختلفة."

ولاَجل ذلك يقول الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائريعرفه الجاهل والخابر

وأمّا تسمية ذلك الشىء بالمثال، فهو لاَجل المناسبة والمشابهة بين الموردين على وجه يُصبح مثالاً ـ لكل ما هو على غراره.

---

۱ ـ جمهرة أمثال العرب:۱|۵.

قال ابن السكيت(المتوفّى عام ۲۴۴هـ) : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبّهوه بالمثال الذى يعمل عليه غيره. (۱)

وبما انّ وجه الشبه والمناسبة التى صارت سبباً لِإلقاء هذه الحكمة غير مختصة بمورد دون مورد، وإن وردت فى مورد خاص يكون المثل آية وعلامة أو علماً للمناسبة الجامعة بين مصاديق مختلفة.

يقول المبرّد: فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الاَوّل، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مَثَلاً وما مواعيدها إلاّ الاَباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد (۲)

وعلى ذلك فالمثل السائر كقوله": فى الصيف ضيعتِ اللبن "علم لكل من ضيَّع الفرصة وأهدرها، كما أن قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم") : لا ينتطح فيها عنزان "علم لكلّ أمر ليس له شأن يعتد به. (۳)

كما أنّ قول أبى الشهداء الحسين بن على (عليهما السلام") : لو ترك القطا ليلاً لنام "الذى تمثل به الإمام (عليه السلام) فى جواب أُخته زينب (عليها السلام) ،علم لكل من لا ـ يُترك بحال أو من حُمل على مكروه من غير إرادة، إلى غير ذلك من الأمثال الدارجة.

---

۱ ـ مجمع الأمثال:۱|۶.

۲ ـ مجمع الأمثال:۱|۶.

۳ ـ مجمع الأمثال:۲|۲۲۵.

الثالث: فوائد الأمثال السائرة

الثالث: فوائد الأمثال السائرة

ذكر غير واحد من الأُدباء فوائد جمة للمثل السائر:

۱. قال ابن المقفّع (المتوفّى عام ۱۴۳هـ) : إذاجعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.

۲. وقال إبراهيم النظّام (المتوفّى عام ۲۳۱هـ) : يجتمع فى المثل أربعة لا ـ تجتمع فى غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة.

وقال غيرهما: سُمِّيت الحِكَم القائم صدقها فى العقول أمثالاً، لانتصاب صورها فى العقول مشتقة من المثول الذى هو الانتصاب. (۱)

وقد نقل ابن قيم الجوزية (المتوفّى عام ۷۵۱هـ) كلام النظّام بشكل كامل، وقال:

وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره فى نفسه بصورة المثال الذى مثّل به فقد يكون أقرب إلى تعقّله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدةوعدم النظير.

ففى الأمثال من تأنّس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلّما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهى خاصية العقل ولبّه وثمرته. (۲_____)

۱ ـ مجمع الأمثال :۱|۶.

۳ ـ أعلام الموقعين:۱|۲۹۱.وما ذكره من الفائدة مشترك بين المثل السائر الذى هو موضوع كلامنا، والتمثيل الذى شاع فى القرآن، وسيوافيك الفرق بين المثل السائر والتمثيل.

(۱۳)

وقال عبد القاهر الجرجانى (المتوفّى عام ۴۷۱هـ) : إعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه انّ التمثيل إذاجاء فى أعقاب المعانى، أو أُبرزت هى باختصار فى معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أُبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطّباع على أن تُعطيها محبة وشغفاً.

فإن كان ذمّاً: كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحد.

وإن كان حجاجاً: كان برهانه أنور،وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.

وإن كان افتخاراً: كان شأوه أمدّ، وشرفه أجد (۱) ولسانه ألد.

وإن كان اعتذاراً: كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسلّ، ولغَرْب الغضب أفلّ،وفى عُقد العقود أنفث،وحسن الرجوع أبعث.

وإن كان وعظاً: كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ فى التنبيه والزجر، وأجدر أن يجلى الغباية (۲) ويُبصّر الغاية، ويبرئ

العليل، ويشفى الغليل.(۳)

۴. وقال أبو السعود (المتوفّى عام ۹۸۲هـ) : إنّ التمثيل ليس إلّا إبراز المعنى المقصود فى معرض الاَمر المشهور، وتحلية المعقول بحلية المحسوس، وتصوير أوابد المعانى بهيئة المأنوس، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل، واستعصائه عليه فى إدراك الحقائق الخفيّة، وفهم الدّقائق الاَبيّة؛ كى

---

۱ ـ من الجد: الحظ، يقال: هو أجدّ منك، أى أحظ.

۲ ـ الغياية: كل ما أظلك من فوق رأسك.

۳ ـ أسرار البلاغة: ۱۰۱ ـ ۱۰۲.

(۱۴)

يتابعه فيما يقتضيه، ويشايعه إلى ما لا يرتضيه، ولذلك شاعت الاَمثال فى الكتب الاِلهية والكلمات النبوية، وذاعت فى عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء.

إن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقا الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبىّ، وقمع سورة الجامح الاَبىّ، كيف لا، وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازها لها فى معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر فى صورة المعروف، وإظهار للوحشى فى هيئة المألوف. (۱)

ولعلّ فى هذه الكلمات غنى وكفاية فلا نطيل الكلام، غير انّه يجب التنبيه على نكتة، وهى أن السيوطى نقل فى" المزهر "عن أبى عبيد أنّه قال:

الاَمثال حكمة العرب فى الجاهلية والاِسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى المنطق بكناية. (۲)

ولا يخفى أنّ الاَمثال ليست من خصائص العرب فحسب ، بل لكلّ قوم أمثال وحكم يقرّبون بها مقاصدهم إلى إفهام المخاطبين ويبلغون بها حاجاتهم، وربما يشترك مَثَلٌ واحد بين أقوام مختلفة، ويصبح من الاَمثال العالمية، وربما تبلغ روعة المثل بمكان يقف الشاعر أمامه مبهوراً فيصب مضمونه فى قالب شعرى.

روى الطبرى عن مهلّب بن أبى صفرة، قال: دعا المهلَّب حبيباً ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة. (۳)

وليس المهلب أوّل من ساق هذا المثل على لسانه، فقد سبقه غيره إليه_____.

۱ ـ هامش تفسير الفخر الرازى:۱|۱۵۶، المطبعة الخيرية، ط الاُولى، مصر ـ ۱۳۰۸هـ

۲ ـ المزهر:۱|۲۸۸.

۳ ـ تاريخ الطبرى: حوادث سنة ۸۲ هـ.

(۱۵)

روى أبو هلال العسكرى فى جمهرته، عن قيس بن عاصم التميمى (المتوفّى عام ۲۰ هـ) الاَبيات التالية التى تعرب بأنّ المثل صبّ فى قالب الشعر أيضاً:

بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مُدّ فى عمرى وإن لم يُمدد

حتى تلين قلوبكم وجلودكم لمسوّد منكم وغير مسوّد

إنّ القداح إذا جمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش باليد

عزّت فلم تكسر وإن هى بُدّدت فالوهن والتكسير للمتبدّد (۱)

وقد نقل المسعودى فى ترجمة عبد الملك بن مروان، وقال:

كـان الوليـد متحنّناً على إخوته، مراعياً سائر ما أوصاه به عبـد الملك، وكان كثير الاِنشاد لاَبيات قالها عبـد الملك حين كتب وصـيته، منها:

انفوا الضغائن عنكم وعليكم عند المغيب وفى حضور المشهد

إنّ القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش باليد

عزّت فلم تكسر وإن هى بُدّدت فالوهن والتكسير للمتبدّد (۲)

---

۱ ـ جمهرة الاَمثال:۱|۴۸.

۲ ـ مروج الذهب: أخبار الوليد بن عبد الملك.

الكتب المؤلّفة فى الاَمثال العربية

وقـد أُلّفت فى الاَمثـال العربيـة قـديمها وحـديثها كتباً كثيرة، وأجمع كتاب فى هـذا المضـمار هو ما ألّفه أحمـد بن محمـد بن إبراهيم النيسابورى الميدانى (المتوفّى عام ۵۱۸هـ) وأسماه بـ"مجمع الاَمثال "لِاحتوائه على عظيم ما ورد منها وهى ستة آلاف ونيف. (۱)

الرابع: الاَمثال القرآنية

الرابع: الاَمثال القرآنية

دلّت غير واحـدة من الآيـات القرآنيـة على أنّ القرآن مشـتمل على الاَمثـال، وأنّه سـبحانه ضـرب بهـا مثلاً ـ للنـاس للتفكير والعبرة، قال سبحانه: (لَوْ أَنْزَلْنا هذا الْقُرآنَ عَلى جَبلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصدّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الاَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفكَّرون). (۲)

إلى غير ذلـك من الآيـات التى تـدل على وجود الاَمثـال فى القرآن، وانّ الروح الاَمين نزل بها، وكان مَثَلاً حين النزول على قلب سـيد المرسلين، هذا هو المستفاد من الآيات.

ومن جـانب آخر أنّ المثل عبارة عن كلام أُلْقِىَ فى واقعـة لمناسـبة اقتضت إلقاء ذلك الكلام، ثمّ تـداولت عبر الزمان فى الوقائع التى هى على غرارها، كما هو الحال فى عامة الاَمثال العالمية_____.

۱ ـ مجمع الاَمثال:۱|۵.

۲ ـ الحشر:۲۱.

وعلى هـذا فالمثـل بهـذا المعنى غير موجود فى القرآن الكريم، لمـا ذكرنـا من أنّ قوام الاَمثـال هو تـداولها على الاَلسن وسـريانها بين الشعوب، وهذه الميزة غير متوفرة فى الآيات القرآنية.

كيف وقد أسـماه سـبحانه مثلاً عند النزول قبل أن يعيها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقرأها للناس ويدور على الاَلسن، فلا مناص مـن تفسـير المثـل فى القرآن بمعنى آخر، وهـو التمثيـل القياسـى الـذى تعرّض إليـه علمـاء البلاغـة فى علم البيـان وهـو قـائم بـالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وقد سمّاه القزوينى" فى تلخيص المفتاح "المجاز المركب وقال:

إنّه اللفظ المركب المسـتعمل فيما شُبّه بمعناه الاَصـلى تشبيه التمثيل للمبالغـة فى التشبيه، ثمّ مثّل بما كتب يزيد بن وليد إلى مروان بن محمـد حين تلكأ عن بيعته: أمّا بعـد، فإنّى أراك تقـدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيّهما شـئت، والسـلام. (۱)

فلهذا التمثيل من المكانة ما ليس له لو قصد المعنى بلفظه الخاص، حتى أنّه لو قال مثلاً: بلغنى تلكّوَك عن بيعتى، فإذا أتاك كتابى هذا فبايع أو لا، لم يكن لهذا اللفظ من المعنى بالتمثيل، ما لهذا.

فعامة ما ورد فى القرآن الكريم من الاَمثال فهو من قبيل التمثيل لا المثال المصطلح.

ثمّ إنّ الفرق بين التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز أمر واضح لا حاجة لِاطناب الكلام فيه، وقد بيّنه علماء البلاغة فى علم البيان، كما طرحه أخيراً

---

۱ ـ الاِيضاح:۳۰۴؛ التلخيص:۳۲۲.

(۱۸)

علماء الاُصول فى مباحث الاَلفاظ، ولاَجل ذلك نضرب الصفح عنه ونحيل القارئَ الكريم إلى الكتب المدونة فى هذا المضمار.

ويظهر من بعضهم أنّ التمثيل من معانى المثل، قال الآلوسى: المثل مأخوذ من المثول ـ و هو الانتصاب ـ و منه الحديث" من أحبّ أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوّأ مقعده من النار "ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن المشتمل إمّا على تشبيه بلا شبيه أو استعارة رائقة تمثيلية وغيرها، أو حكمة وموعظة نافعة، أو كناية بديعة أو نظم من جوامع الكلم الموجز. (۱)

ولولا قوله" الشائع "لانطبقت العبارة على التمثيل القياسى.

"وقد امتازت صيغة المثل القرآنى بأنّها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أُعيدت مكرورة تمثيلاً، وضرب موردها تنظيراً، وإنّما ابتدع المثل القرآنى ابتداعاً دون حذو احتذاه، و بلا مورد سبقه فهو تعبير فنى جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة فى الاَداء والتركيب والاِشارة."

"وعلى هذا فالمثل فى القرآن الكريم ليس من قبيل المثل الاصطلاحى، أو من سنخ ما يعادله لفظاً ومعنى، الفقر بالاَمثال بمضمونه، بل هو نوع آخر أسماه القرآن مثلاً من قبل أن نعرف علوم الاَدب"المثل، "و من قبل أن تسمّى به نوعاًمن الكلام المنثور وتضعه مصطلحاً له. بل من قبل أن يعرف الاُدباء" المثل "بتعريفهم. ("۲"_____)

۱ ـ روح المعانى:۱|۱۶۳.

۲ ـ الصورة الفنية فى المثل القرآنى: ۷۲، نقلاً عن كتاب المثل لمنير القاضى.

الخامس: أقسام التمثيل

الخامس: أقسام التمثيل

قد عرفت أنّ التمثيل عبارة عن إعطاء منزلة شىء لشىء عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غير ذلك، فهو على أقسام:

۱. التمثيل الرمزى: وهو ما ينقل عن لسان الطيور والنباتات والاَحجار بصورة الرمز والتعمية ويكون كناية عن معانى دقيقة، وهذا النوع من التمثيل يعجّ به كتاب" كليلة ودمنة "لابن المقفع، وقد استخدم هذا الاُسلوب الشاعر العارف العطار النيشابورى فى كتابه" منطق الطير."

ويظهر من الكتاب الاَوّل أنّه كان رائجاً فى العهود الغابرة قبل الاِسلام ، وقد ذكر المؤرّخون أنّ طبيباً إيرانياً يدعى" برزويه "وقف على كتاب" كليلة ودمنة "فى الهند مكتوباً باللغة السنسكريتية ونقلها إلى اللغة البهلوية، وأهداه إلى بلاط أنوشيروان الساسانى، وقد كان الكتاب محفوظاً بلغته البهلوية إلى أن وقف عليه عبد الله بن المقفع (۱۰۶ـ۱۴۳هـ) فنقله إلى اللغة العربية، ثمّ نقله الكاتب المعروف نصر الله بن محمد بن عبد الحميد فى القرن السادس إلى اللغة الفارسية وهو الدارج اليوم فى الاَوساط العلمية.

نعم نقله الكاتب حسين واعظ الكاشفى إلى الفارسية أيضاً فى القرن التاسع ومن حسن الحظ توفر كلتا الترجمتين.

وقام الشاعر" رودكى "بنظم، ما ترجمه ابن المقفع، باللغة الفارسية.

ويظهر من غير واحد من معاجم التاريخ أنّه تطرق بعض ما فى هذا الكتاب من الاَمثلة إلى الاَوساط العربية فى عصر الرسالة أوبعده، وقد نقل أنّ عليّاً(عليه السلام) قال": إنّما أُكلت يوم أُكل الثور الاَبيض "وهو من أمثال ذلك الكتاب.

(۲۰)

وهناك محاولة تروم إلى أنّ القصص القرآنية كلّها من هذا القبيل أى رمز لحقائق علوية دون أن يكون لها واقعية وراء الذهن، وبذلك يفسرون قصة آدم مع الشيطان، وغلبة الشيطان عليه، أو قصة هابيل وقابيل وقتل قابيل أخاه، أو تكلم النملة مع سليمان (عليه السلام) ، وغيرها من القصص، وهذه المحاولة تضادّ صريح القرآن الكريم، فانّه يصرّح بأنّها قصص تحكى عن حقائق غيبيّة لم يكن يعرفها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا غيره، قال سبحانه: (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاُولى الاَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شَىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون). (۱)

فالآية صريحة فى أنّ ما جاء فى القصص ليس أمراً مفترىً، إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّ القرآن بأجمعه هو الحقّ الذى لا يدانيه الباطل.

۲. التمثيل القصصى: وهو بيان أحوال الاُمم الماضية بغية أخذ العبر للتشابه الموجود. يقول سبحانه: (ضَرَبَ اللهُ مَثلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امرأَةَ نُوحٍ وَامرأَةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَينِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيئاً وقِيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِين). (۲)

والقصص الواردة فى أحوال الاُمم الغابرة التى يعبر عنها بقصص القرآن ، هى تشبيه مصرّح، وتشبيه كامن والغاية هى أخذ العبرة.

۳. التمثيل الطبيعى: وهو عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد، شريطة أن يكون المشبه به من الاُمور التكوينية، قال سبحانه: (إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الاَرْضِ

---

۱ ـ يوسف:۱۱۱.

۲ ـ التحريم:۱۰.

(۲۱)

مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالاَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الاَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَت وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالاَمْسِ كَذلِكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون). (۱)

والاَمثال القرآنية تدور بين كونها تمثيلاً قصصيّاً، أو تمثيلاً طبيعيّاً كونيّاً. وأمّا التمثيل الرمزى فإنّما يقول به أهل التأويل.

السادس: الاَمثال القرآنية فى الاَحاديث

السادس: الاَمثال القرآنية فى الاَحاديث

إنّ الاَمثال القرآنية بما أنّها مواعظ وعبر قد ورد الحث على التدبّر فيها عن أئمّة أهل البيت (عليهما السلام) ، ننقل منها مايلى:

۱. قال أمير المؤمنين على (عليه السلام") :قد جرّبتم الاُمور وضرّستموها، ووُعظتم بمن كان قبلكم، وضُربت الاَمثال لكم، ودعيتم إلى الاَمر الواضح، فلا يصمّ عن ذلك إلا أصمّ ، ولا يعمى عن ذلك إلا أعمى، ومَن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشىء من العظة. ("۲)

۲. وقال (عليه السلام") : كتاب ربّكم فيكم، مبيّناً حلاله وحرامه،وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصّه وعامّه، وعبره وأمثاله. ("۳)

۳. قال أمير المؤمنين (عليه السلام") : نزل القرآن أرباعاً: ربع فينا، وربع فى عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام. ("۴)

---

۱ ـ یونس:۲۴.

۲ ـ نهج البلاغة، الخطبة ۱۷۶.

۳ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۸۱.

۴ ـ بحار الاَنوار:۲۴|۳۰۵ ح۱، باب جوامع تأویل ما نزل فیهم ۸.

(۲۲)

۴. روی الإمام الصادق (علیه السلام) عن جده أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) أنّه قال لقاض" هل تعرف الناسخ من المنسوخ،"؟ قال: لا، قال ":فهل أشرفت علی مراد الله عزّ وجل فی أمثال القرآن،"؟قال: لا، قال": إذاً هلکت وأهلکت. "والمفتی یحتاج إلی معرفة معانی القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات والآداب والإجماع والاختلاف والاطّلاع علی أُصول ما أجمعوا علیه وما اختلفوا فیه ، ثم حسن الاختیار، ثم العمل الصالح، ثم الحکمة، ثم التقوی، ثم حینئذٍ إن قدر .(۱)

۵. قال أمیر المؤمنین علی (علیه السلام") : سمّوهم بأحسن أمثال القرآن، یعنی :عترة النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ، هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أُجاج فاجتنبوا. ("۲)

۶. وقال علی بن الحسین ۸ فی دعائه عند ختم القرآن:

"اللّهمّ انّک أعنتنی علی ختم کتابک الذی أنزلته نوراً وجعلته مهیمناً علی کل کتاب أنزلته ـ إلی أن قال:ـ اللّهم اجعل القرآن لنا فی ظلم اللیالی مؤنساً، ومن نزعات الشیطان وخطرات الوساوس حارساً، ولأقْدامِنا عن نقلها إلی المعاصی حابساً، ولألسنتنا عن الخوض فی الباطل من غیر ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنّا من تصفح الاعتبار ناشراً، حتی توصل إلی قلوبنا فهم عجائبه وزواجر أمثاله التی ضعفت الجبال الرواسی علی صلابتها عن احتماله. ("۳)

۷. وقال علی بن الحسین ۸فی مواعظه": فاتّقوا الله عباد الله ، واعلموا أنّ الله عزّ وجلّ لم یحب زهرة الدنیا وعاجلها لأحد من أولیائه ولم یرغّبهم فیها و فی عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدُّنیا وخلق أهلها لیبلوهم فیها

---

۱ ـ بحار الاَنوار:۲|۱۲۱ ح۳۴، باب النهی عن القول بغیر علم من کتاب العلم.

۲ ـ بحار الاَنوار:۹۲|۱۱۶، الباب ۱۲ من کتاب القرآن.

۳ ـ الصحیفة السجادیة: من دعائه ۷ عند ختم القرآن.

(۲۳)

أیّهم أحسن عملاً لآخرته، وأیم الله لقد ضرب لکم فیه الأمثال وصرّف الآیات لقوم یعقلون ولا قوّة إلاّ بالله.(" ۱)

۸. وقال الإمام الباقر (علیه السلام) لأخیه زید بن علی": هل تعرف یا أخی من نفسک شیئاً مما نسبتها إلیه فتجیئَ علیه بشاهد من کتاب الله ، أو حجّة من رسول الله ، أو تضرب به مثلاً، فانّ الله عز وجلّ أحلَّ حلالاً وحرّم حراماً، فرض فرائض، وضرب أمثالاً، وسنَّ سنناً. ("۲)

۹. روی الکلینی عن إسحاق بن جریر، قال: سألتنی امرأة أن استأذن لها علی أبی عبد الله (علیه السلام) فأذن لها ،فدخلت ومعها مولاة لها، فقالت: یا أبا عبد الله قول الله عزّ وجلّ: (زَیتُونةٍ لا شَرْقیةٍ وَلا غَرْبیة) (۳) ما عنی بهذا؟ فقال": أیّتها المرأة إنّ الله لم یضرب الأمثال للشجر إنّما ضرب الأمثال لبنی آدم. ("۴)

۱۰. روی داود بن کثیر عن أبی عبد الله (علیه السلام) أنّه قال": یا داود إنّ الله خلقنا فأکرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أُمناءه وحفظته وخزّانه علی ما فی السماوات وما فی الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمّانا فی کتابه وکنّی عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إلیه،

وسمّى أضدادنا وأعداءنا فى كتابه وكنّى عن أسمائهم وضرب لهم الاَمثال فى كتابه فى أبغض الاَسماء إليه. (" ...۵)

هذه عشرة كاملة من كلمات أئمّتنا المعصومين حول أمثال القرآن.

X X X

۱ ـ الكافى:۸|۷۵.

۲ ـ بحار الاَنوار:۴۶|۲۰۴، الباب ۱۱.

۳ ـ النور:۳۵.

۴ ـ الكافى: ۵|۵۵۱، الحديث ۲، باب السحق من كتاب النكاح.

۵ ـ البحار : ۲۴|۳۰۳، الحديث ۱۴.

(۲۴)

وقد حازت الاَمثال القرآنية على اهتمام المفكرين، فذكروا حولها كلمات تعرب عن أهمية الاَمثال ومكانتها فى القرآن :

۱. قال حمزة بن الحسن الاصبهانى (المتوفّى عام ۳۵۱هـ) : لضرب العرب الاَمثال واستحضار العلماء النظائر ، شأن ليس بالخفى فى إبراز خفيّات الدقائق ورفع الاَستار عن الحقائق، تريك المتخيَّل فى صورة المتحقق، والمتوهَّم فى معرض المتيقن، والغائب كأنّه مشاهد، وفى ضرب الاَمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسَورة الجامح الاَبىّ، فإنّه يوَثر فى القلوب مالا يوَثّر وصف الشىء فى نفسه ولذلك أكثر الله تعالى فى كتابه وفى سائر كتبه الاَمثال، ومن سور الاِنجيل سورة تسمّى سورة الاَمثال وفشت فى كلام النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وكلام الاَنبياء والحكماء. (۱)

۲. قال الاِمام أبو الحسن الماوردى(المتوفّى عام ۴۵۰هـ) : من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والنّاس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالاَمثال، وإغفالهم الممثَّلات،والمثل بلا ممثَّل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام. (۲)

۳.قال الزمخشرى (المتوفّى عام ۵۳۸هـ) فى تفسير قوله سبحانه: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً) (۳) وضرب العرب الاَمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر ، إلى آخر ما نقلناه عن الاصبهانى. (۴)

۴. وقال الرازى (المتوفّى عام ۶۰۶هـ"ـ) : إن المقصود من ضرب الاَمثال

۱ ـ الدرّة الفاخرة فى الاَمثال السائرة: ۱|۵۹ ـ ۶۰ والعجب أن هذا النص برمّته موجود فى الكشّاف فى تفسير قوله سبحانه: (فَما رَبِحَتْ تِجارتهم وَما كانُوا مُهْتَدين مَثَلُهُمْ كَمَثل الَّذى استَوقَدَ ناراً) (انظر الكشّاف:۱|۱۴۹).

۲ ـ الاِتقان فى علوم القرآن:۲|۱۰۴۱.

۳ ـ البقرة:۱۷.

۴ ـ الكشّاف: ۱|۷۲.

(۲۵)

انّها توَثر فى القلوب ما لا يوَثره وصف الشىء فى نفسه، وذلك لاَنّ الغرض فى المثل تشبيه الخفى بالجلى، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل ،وذلك فى نهاية الاِيضاح، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع فى الاِيمان مجرّداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه فى القلب كما يتأكد وقوعه إذا مُثّل بالنور، وإذا زهد فى الكفر بمجرّد الذكر لم يتأكد قبحه فى العقول، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الاُمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ فى تقرير صورته من الاِخبار بضعفه مجرّداً، ولهذا أكثر الله تعالى فى كتابه المبين،وفى سائر كتبه أمثاله،قال تعالى: (وَتِلْكَ الاَمْثال نَضْرِبها لِلنّاس) (۱) (۲)

۵. وقال الشيخ عزالدين عبدالسلام (المتوفّى عام ۶۶۰هـ) : إنّما ضرب الله الاَمثال فى القرآن،تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على

تفاوت فی ثواب، أو علی إحباط عمل، أو علی مدح أو ذم أو نحوه، فإنّه یدل علی الاحکام. (۳)

۶. وقال الزرکشی(المتوفّی عام ۷۹۴هـ) : وفی ضرب الاَمثال من تقریر المقصود مالا یخفی، إذ الغرض من المثل تشبیه الخفی بالجلی، والشاهد بالغائب، فالمرغب فی الاِیمان مثلاً، إذا مثّل له بالنور تأكّد فی قلبه المقصود،والمزهَّد فی الکفر إذا مثل له بالظلمة تأکد قبحه فی نفسه وفیه أیضاً تبکیت الخصم،وقد أکثر الله تعالی فی القرآن، وفی سائر کتبه من الاَمثال. (۴)

لکن یرد علی ما ذکره الزمخشری والرازی والزرکشی أنّ ما ذکروه راجع

---

۱ ـ العنکبوت:۴۳.

۲ ـ مفاتیح الغیب:۲|۷۲ـ۷۳.

۳ ـ الاِتقان فی علوم القرآن:۲|۱۰۴۱.

۴ ـ البرهان فی علوم القرآن: ۱|۴۸۸. (۲۶)

إلی نفس الاَمثال لاـ إلی الضرب بها، فانّ الاَمثال شیء وضرب الاَمثال شیء آخر، لاَنّ إبراز المتخیل بصورة المحقّق، والمتوهم فی معرض المتیقن، لیس من مهمة ضرب الاَمثال، وإنّما هی مهمة نفس الاَمثال"، وذلک أنّ المعانی الکلیة تعرض للذهن مجملة مبهمة، فیصعب علیه أن یحیط بها وینفذ فیها فیستخرج سرّها، والمثل هو الذی یفصّل إجمالها، ویوضّح إبهامها، فهو میزان البلاغة وقسطاسها ومشکاة الهدایة ونبراسها. ("۱)

السابع: الکتب المؤلفة فی الاَمثال القرآنیة

السابع: الکتب المؤلفة فی الاَمثال القرآنیة

ولاَجل هذه الاَهمیة التی حازتها الاَمثال القرآنیة، قام غیر واحد من علماء الاِسلام القدامی منهم والجدد، بتألیف رسائل وکتب حول الاَمثال القرآنیة نذکر منها ما وقفنا علیه:

۱". أمثال القرآن "للجنید بن محمد القواریری (المتوفّی سنة ۲۹۸هـ).

۲ ".أمثال القرآن "لاِبراهیم بن محمد بن عرفة بن مغیرة المعروف بنفطویه(المتوفّی سنة ۳۲۳هـ).

۳". الدرة الفاخرة فی الاَمثال السائرة "لحمزة بن الحسن الاصبهانی (المتوفّی ۳۵۱ هـ).

۴". أمثال القرآن "لاَبی علی محمد بن أحمد بن الجنید الاسکافی(المتوفّی عام ۳۸۱هـ).

۵". أمثال القرآن "للشیخ أبی عبد الرحمن محمد بن حسین السلمی النیسابوری (المتوفّی عام ۴۱۲هـ________________ـ).

۱ ـ تفسیر المنار: ۱|۲۳۷.

(۲۷)

۶". الاَمثال القرآنیة "للاِمام أبی الحسن علی بن محمد بن حبیب الماوردی الشافعی (المتوفّی سنة ۴۵۰هـ).

۷ ".أمثال القرآن "للشیخ شمس الدین محمد بن أبی بکر بن قیم الجوزیة (المتوفّی سنة ۷۵۴هـ). وقد طبعت موَخّراً .

۸ ".الاَمثال القرآنیة "لعبد الرحمن حسن حنبکة المیدانی.

۹". أمثال القرآن "للمولی أحمد بن عبد الله الکوزکنانی التبریزی (المتوفّی عام ۱۳۲۷ هـ). المطبوعة علی الحجر فی تبریز عام ۱۳۲۴ هـ .

۱۰". أمثال القرآن "للدکتور محمود بن الشریف.

۱۱ ". الاَمثال فی القرآن الکریم "للدکتور محمد جابر الفیاضی. وقد طبعت موَخّراً .

۱۲". الصورة الفنية فى المثل القرآنى "للدكتور محمد حسين على الصغير. وقد طبعت موَخّراً .

۱۳ ". أمثال قرآن ("بالفارسية) لعلى أصغر حكمت. وقد طبعت موَخّراً .

۱۴". تفسير أمثال القرآن ("بالفارسية) للدكتور إسماعيل إسماعيلى. وقد طبعت موَخّراً .

الثامن: تقسيم الاَمثال القرآنية إلى الصريح و

الثامن: تقسيم الاَمثال القرآنية إلى الصريح و الكامن

ذكر بدر الدين الزركشى ان الاَمثال على قسمين: ظاهر وهو المصرّح به، وكامن وهو الذى لا ذكر للمثل فيه وحكمه حكم الاَمثال. (۱)

وقد نقل السيوطى ذلك النص بنفسه وحاول تفسير المثل الكامن، وقال

---

۱ ـ البرهان فى علوم القرآن :۱|۵۷۱.

ما هذا نصّه: فمن أمثلة الاَوّل، قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذى اسْتَوقَدَ ناراً...)(۱) ضرب فيها للمنافقين مثلين : مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر ـ ثمّ قال ـ : وأما الكامنة: فقال الماوردى: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم، يقول: سمعت أبى يقول: سألت الحسين بن فضل، فقلت: إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد فى كتاب الله" : خير الاُمور أوسطها؟ "قال: نعم فى أربعة مواضع:

قوله تعالى: (لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ). (۲)

وقوله تعالى: (وَالّذينَ إِذا أَنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُروا وكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً). (۳)

وقوله تعالى: (وَلا تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ).(۴)

وقوله تعالى: (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبيلاً).(۵)

قلت: فهل تجد فى كتاب الله" من جهل شيئاً عاداه؟ "قال: نعم، فى موضعين:

(بَل كَذّبُوا بما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ). (۶_____)

۱ ـ البقرة:۱۷ـ۲۰.

۲ ـ البقرة:۶۸.

۳ ـ الفرقان:۶۷.

۴ ـ الإسراء:۲۹.

۵ ـ الإسراء:۱۱۰.

۶ ـ يونس:۳۹.

(وَإِذ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَديم). (۱)

قلت: فهل تجد فى كتاب الله" احذر شر من أحسنت إليه؟ "قال: نعم.

(وما نَقَمُوا إِلاّ أن أَغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ). (۲)

قلت: فهل تجد فى كتاب الله" ليس الخبر كالعيان؟ "قال: فى قوله تعالى: (قالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قال بَلى ولَكِنْ لِيَطْمَئِنّ قَلْبى). (۳)

قلت: فهل تجد" فى الحركات البركات؟ "قال: فى قوله تعالى: (وَمَنْ يُهاجِرْ فِي سَبيلِ اللهِ يَجِدْ فى الاَرْضِ مُراغَماً كَثيراً وَسَعَةً). (۴)

قلت: فهل تجد"كما تدين تدان؟ "قال: فى قوله تعالى: (مَنْ يعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِه).(۵)

قلت: فهل تجد فيه قولهم" حين تَقْلى تدرى؟ "قال: (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حينَ يَرَونَ العَذابَ مَن أَضلُّ سَبيلًا). (۶)

قلت: فهل تجد فيه" : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرّتين؟ "قال: (هَلْ آمنُكُمْ عَليهِ إلا كَما أَمِنتُكُمْ عَلى أَخيهِ مِنْ قَبْلُ). (۷)

قلت: فهل تجد فيه" من أعان ظالماً سُلّط عليه؟ "قال: (كَتَبَ عَليهِ أَنَّهُ مَنْ

---

۱ ـ الاَحقاف:۱۱.

۲ ـ التوبة:۷۴.

۳ ـ البقرة:۲۶۰.

۴ ۷ـ النساء:۱۰۰.

۵ ـ النساء:۱۲۳.

۶ ـ الفرقان:۴۲.

۷ ـ يوسف:۶۴.

(۳۰)

تَوَلّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إلى عَذابِ السَّعير). (۱)

قلت: فهل تجد فيه قولهم": ولا تلد الحية إلا حيّة؟ "قال: قوله تعالى: (وَلا يَلِدُوا إلا فاجِراً كَفّاراً). (۲)

قلت: فهل تجد فيه": للحيطان آذان؟ "قال: (وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ). (۳)

قلت: فهل تجد فيه": الجاهل مرزوق والعالم محروم؟ "قال: (مَنْ كانَ فِي الضَّلالةِ فلْيَمْدُد لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً). (۴)

قلت: فهل تجد فيه": الحلال لا ـ يأتيك إلا ـ قوتاً، والحرام لا ـ يأتيك إلا جزافاً؟ "قال: (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَومَ سَبْتِهِمْ شُرّعاً وَيَومَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِم)(۵).(۶)

وقد أخذ عليه" بأنّه لو حققْتَ النظر فيما أورده الماوردى، لما وجدت مثلاً قرآنياً واحداً بالمعنى الذى يراد التعبير عنه بأنّه مثل كامن، على أنّ الماوردى لم ينقل عن الحسين بن الفضل بأنّ متخيّره هذا مثل كامن، ولاسمّى الماوردى ذلك به، وإنّما أورد رواية للمقارنة بما يمكن أن يعد أمثالاً من كلام العرب والعجم، ووضع قائمة مختارة ازاءه من كتاب الله بما يبذّ كلامهم ويعلو على أمثالهم.

فالتسمية إذن اختارها السيوطى متابعاً فيها الزركشى. وطبّق عليها هذه

---

۱ ـ الحج:۴.

۲ ـ نوح:۲۷.

۳ ـ التوبة:۴۷.

۴ ـ مريم:۷۵.

۵ ـ الاَعراف:۱۶۳.

۶ ـ الإتقان فى علوم القرآن:۲|۱۰۴۵ـ ۱۰۴۶.

(۳۱)

الاَمثلة . فهى فيما عنده أمثال كامنة ولكنّه من الواضح أن هذه العبارات القرآنية لا تدخل فى باب الاَمثال، فإن اشتمال العبارة على

معنى ورد فى مثل من الاَمثال، لا يكفى لِاطلاق لفظ المثل على تلك العبارة، فالصيغة الموروثة ركن أساس فى المثل، لذلك نرى أنّ اصطلاح العلماء على تسمية هذه العبارات القرآنية (أمثالاً كامنة) محاولة لا تستند على دليل نصّى ولا تاريخى. (۱)

تفسير آخر للمثل الكامن:

ويمكن تفسير المثل الكامن بالتمثيلات التى وردت فى الذكر الحكيم من دون أن يقترن بكلمة" مثل "أو" كاف "التشبيه، ولكنّه فى الواقع تمثيل رائع لحقيقة عقلية بعيدة عن الحسن المجسّد بما فى التمثيل من الاَمر المحسوس، ومن هذا الباب قوله سبحانه:

۱. (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيرٌ أَمْ مَن أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فى نارِ جَهَنَّم وَاللهُ لا يَهْدى القَوم الظّالِمين). (۲)

إنّه سبحانه شبّه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته، فكما أنّ من بنى على جانب هذا النهر فإنّه ينهار بناءه فى الماء ولا يثبت، فكذلك بناء هوَلاء ينهار ويسقط فى نار جهنم، فالآية تدلّ على أنّه لا يستوى عمل المتقى وعمل المنافق، فإنّ عمل المؤمن المتقى ثابت مستقيم مبنى على أصل صحيح ثابت، وعمل المنافق ليس بثابت وهو واهٍ ساقط. (۳_____)

۱ ـ الصورة الفنية فى المثل القرآنى: ۱۱۸، نقلاً عن كتاب" الاَمثال فى النثر العربى القديم."

۲ ـ التوبة:۱۰۹.

۳ ـ مجمع البيان:۳|۷۳.

(۳۲)

۲. (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَروا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدخُلُونَ الجَنَّةَ حتّى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِى المُجْرِمين). (۱)

كانت العرب تمثّل للشىء البعيد المنال، بقولهم: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى يَبْيَضَّ القار، إلى غير ذلك من الاَمثال .

يقول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهليوصار القار كاللبن الحليب

ولكنّه سبحانه مثّل لاستحالة دخول الكافر الجنّة بأنّهم يدخلون لو دخل الجمل فى ثقب الاِبرة، وقال: ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط، معبراً عن كونهم لا يدخلون الجنة أبداً.

ففى الآية تمثيل وليس لها من لفظ المثل وحرف التشبيه أثر.

۳. (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالّذى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الآيات لِقَوْمٍ يَشْكُرُون). (۲)

إنّ هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأنّ الاَرض كلّها جنس واحد، إلا أنّ منها طيّبة تلين بالمطر، ويحسن نباتها ويكثر ريعها، ومنها سبخة لا تنبت شيئاً، فإن أنبتت فممّا لا منفعة فيه، وكذلك القلوب كلّها لحم ودم ثمّ منها ليّن يقبل الوعظ ومنها قاسٍ جافٍ لا يقبل الوعظ، فليشكر الله تعالى من لانَ قلبه بذكره.(۳_____)

۱ ـ الاَعراف:۴۰.

۲ ـ الاَعراف:۵۸.

۳ ـ مجمع البيان:۲|۴۳۲.

(۳۳)

وفى ذيل الآية (كَذلِكَ نُصَرِّفُ الآيات)إلمام إلى كونه تمثيلاً، كما فى الآية التالية.

۴.قال سبحانه: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلّ الثَّمراتِ وَأَصابَهُ الكِبَر وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعفاءُ فَأَصابَها إعصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون). (۱)

أخرج البخارى عن ابن عباس، قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) فيمن ترون هذه الآية نزلت (أَيَوَدُّ أَحدكُمْ أَنْ تَكُون لَهُ جَنَّة مِنْ نَخيل وَأَعْناب)؟

قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، و قال: قولوا: نعلم أو لا ـ نعلم. فقال ابن عباس: فى نفسى منها شىء، فقال: يابن أخى: قل ولا تحقِّر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعملٍ، قال عمر: أى عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غنى عمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله. (۲)

وحصيلة البحث: إنّ التمثيل الوارد فى القرآن الكريم، تارة يقترن بكلمة المثل، وأُخرى يقترن به مع لفظ الضرب حيث اختار سبحانه مادة الضرب لقسم كبير من أمثال القرآن، وثالثة بحرف كاف التشبيه، ورابعة بذكر مادة المثل بدون اقتران بواحد منهما مثل قوله: (وَالْبَلَدُ الطَّيّبُ يخْرجُ نَباتهُ بِإِذْنِ رَبّهِ وَالّذِى خَبُثَ لا يَخرجُ إِلا نَكِداً). (۳)_____)

۱ ـ البقرة:۲۶۶.

۲ ـ صحيح البخارى: التفسير: تفسير سور ة البقرة، باب قوله: (أيودّ أحدكم)رقم ۴۲۶۴.

۳ ـ الأعراف: ۵۸.

التاسع: ما هو المراد من ضرب المثل؟

التاسع: ما هو المراد من ضرب المثل؟

قد استعمل الذكر الحكيم كلاً من لفظى "المَثَل "و"المِثْل "فى غير واحد من سوره وآياته حتى ناهز استعمالهما ثمانين مرة، إلاّ أنّ الثانى يزيد على الأوّل بواحد.والأمثال جمع لكليهما ويميّزان بالقرائن قال سبحانه: (إِنَّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله عِبادٌ أَمْثالُكُمْ)(۱) وهو فى المقام، جمع المِثْل لشهادة أنّه يحكم على آلهتهم بأنّها مثلهم فى الحاجة والإمكان.

وقال سبحانه: (تِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لعلّهُمْ يَتفَكَّرُون). (۲)

فاقتران الأمثال بلفظ الضرب، دليل على أنّه جمع مَثَل. إلاّ أنّ المهم هو دراسة معنى" الضرب "فى هذا المورد ونظائره، فكثيراً ما يقارن لفظ المثل لفظ الضرب، يقول سبحانه: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً). (۳)وقال سبحانه: (وَلَقَدْضَرَبْنا للنّاسِ فى هذا القُرآن مِنْ كُلّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرون). (۴)

وقد اختلفت كلمتهم فى تفسير لفظ" الضرب "فى هذا المقام، بعد اتّفاقهم على أنّه فى اللغة بمعنى إيقاع شىء على شىء، ويتعدّى باليد أو بالعصى أو بغيرهما من آلات الضرب، قال سبحانه: (أَنِ اضْرِب بِعَصاكَ الْحَجَر) (۵)وقد ذكروا وجوهاً :

الأوّل: إنّ الضرب فى هذه الموارد بمعنى المَثَل، والمرا د هو التَمثيل، وهو

---

۱ ـ الأعراف:۱۹۴.

۲ ـ الحشر:۲۱.

۳ ـ إبراهيم:۲۴.

۴ ـ الزمر:۲۷.

۵ ـ الأعراف:۱۶۰.

(۳۵)

خيرة ابن منظور واستشهد بقوله: (واضْربْ لَهُمْ مَثَلاً أَصحابَ القَرْيَةِ إِذْ جاءَها الْمُرسَلُون) (۱)أى مثّل لهم مثلاً وهو حال أصحاب القرية، وقال: (يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالباطِل) (۲)أى يمثل الله الحقّ والباطل. (۳)وهذا خيرة صاحب القاموس أيضاً.

الثانى: إنّ الضرب بمعنى الوصف والبيان، وقد حُكى عن مقاتل بن سليمان، وفسر به قوله سبحانه: (وضَرَبَ الله مَثلاً عَبداً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلى شَىء). (۴)

واستشهد بقول الكميت:

وذلك ضرب أخماس أريدت لاَسداس عسى أن لا تكونا (۵)

الثالث: إنّ الضرب بمعنى الاعتماد والتثبيت، وهو خيرة الشيخ الطوسى(۶) (۳۸۵ـ ۴۶۰هـ)، والزمخشرى، (۷)والآلوسى، (۸)(المتوفّى عام ۰۷۲۱) فقد فسّروا به قوله سبحانه: (يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ). (۹)

الرابع: إن الضرب فى المقام من باب الضرب فى الاَرض وقطع المسير_____،

۱ ـ يس: ۱۳

۲ ـ الرعد:۱۷.

۳ ـ لسان العرب:۲|۳۷ ، مادة ضرب.

۴ ـ النحل:۷۵.

۵ ـ تفسير الطبرى:۱|۱۷۵.

۶ ـ التبيان فى تفسير القرآن:۷|۳۰۲.

۷ ـ الكشّاف:۲|۵۵۳.

۸ ـ روح المعانى:۱|۲۰۶.

۹ ـ الحج:۷۳.

(۳۶)

وضرب المثل عبارة عن جعله سائراً فى البلاد كقولك : ضرب فى الاَرض إذا صار فيها، ومنه سُمِّىَ الضارب مضارباً. (۱)

فإذا كان الضرب بمعنى قطع الاَرض وطيّها، فضرب المثل عبارة عن جعله شيئاً سائراً بين الاَقوام والشعوب يمشى ويسير حتى يستوعب القلوب.

وفى المقام كلمة لابن قيم، يوضّح فيها أكثر هذه الاحتمالات:

ضرب الله سبحانه لعباده، الاَمثال، وضرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لاُمّته الاَمثال، وضرب الحكماء والعلماء والموَدّبون الاَمثال، فما معنى ضرب المثل؟

قد يكون مشتقّاً من قولك (ضرب فى الاَرض) أى سار فيها.

فمعنى ضرب المثل جعله ينتشر ويذيع ويسير فى البلاد. وإلى هذا ذهب أبو هلال فى مقدمة كتابه. (۲)

وقد يكون معنى" ضرب المثل "نصبه للناس بإشهاره لتستدلّ عليه خواطرهم كما تستدلّ عيونهم على الاَشياء المنصوبة. واشتقاقه حينئذٍ من قولهم:(ضربت الخباء) إذا نصبته .

وقوله تعالى: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالباطل) (۳)أى ينصب منارهما ويوضح أعلامهما ليعرف المكلّفون الحق بعلاماته فيقصدوه، ويعرفون الباطل فيجتنبوه، كما قال الشريف الرضىّ (۳۵۹ ـ ۴۰۶هـ) فى كتابه" تلخيص البيان فى مجازات القرآن :"

---

۱ ـ الحكم والاَمثال:۷۹.

۲ ـ انظر مقدمة كتاب جمهرة الاَمثال.

۳ ـ الرعد:۱۷.

(۳۷)

وقد يفهم من ضرب المثل صنعه وإنشاوَه، فيكون مشتقّاً من ضرب اللّبِن وضرب الخاتم.

أو قد يكون من الضرب بمعنى : إبقاء شيء على شيء. (۱)

ومنه ضرب الدراهم: أى إيقاع النموذج الذى به الصّكُ على الدراهم لتنطبع به، فكأنّ المثل مطابق للحالة، أى للصفة التى جاء لِايضاحها، وخلاصة القول: ضرب المثل مأخوذ: إمّا من:

۱. ضرَب فى الاَرض بمعنى : سار.

۲. ضربه: نصبه للناس وأشهره.

۳. ضرب: صنع وأنشأ.

۴. ضرب: إبقاء شيء على مثال شيء. (۲)

وبذلك يُعلم تفسير قوله سبحانه: (... وَقالَ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراًX انْظُر كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الاَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً). (۳)

نرى أنّ المشركين وصفوا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بكونه رجلاً مسحوراً، فيردّ عليه سبحانه باستنكار ويقول: (انظر ـ أيّها النبى ـ كيف ضربوا لك الاَمثال) أى كيف وصفوك بأنّك مسحور مع أنّ سيرتك تشهد على خلاف ذلك، وما تتلو من الآيات كلامه سبحانه لا صلة له بالسحر وإنّ ما يجدونه خلاّباً للعقول وآخذاً بمجامع القلوب فإنّه هو لاَجل عذوبته وجماله وإعجازه الخارق وأين هو من السحر_____؟!

۱ ـ تلخيص البيان فى مجازات القرآن: ۱۰۷.

۲ ـ الاَمثال فى القرآن الكريم:۲۰ـ ۲۱.

۳ ـ الفرقان: ۸ ـ ۹.

(۳۸)

وعلى ذلك فالمعنى المناسب لتفسير الآية ، هو تفسير الضرب بالوصف، وقد تقدّم أنّ الوصف أحد معانيه، وأقرّ به ابن منظور: أن انظر كيف وصفوك بكونك مسحوراً.

وأمّا تفسيره بالتمثيل بأن يقال: انظر كيف مثّلوا لك المثال أو التمثيل، فغير تام، لاَنّ وصف النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بكونه "مسحوراً، "لا مثَل سائر، ولا تمثيل قياسى.

ونظيره تفسيره بقطع الاَرض، لاَنّ المشركين ما وصفوه به ليشهّروه حتى يصير قولهم" سيراً فى الاَرض."

العاشر: الاَمثال القرآنية وانسجامها مع البيئة

العاشر: الاَمثال القرآنية وانسجامها مع البيئة

لا ـ شكّ أنّ كلّ خطيب يتأثر بالظروف التى يعيش فيها، وبسهولة يمكن فرز كلام المدنى عن القروى، وكلامهما عن كلام البدوى، وما ذاك إلاّ لاَنّ البيئة تُعدّ أحد الاَضلاع الثلاثة التى تُكوّن شخصية الاِنسان ، و من هذا الجانب أصبح بإمكان المحقّق الخبير بالتاريخ أن يميز الشعر الجاهلى عن الشعر فى العصر الاِسلامى، و الشعر فى العصر الاَموى عن الشعر فى العصر العباسى، وما هذا إلاّ نتيجة انعكاسات البيئة على التراث الاَدبى، ولكن القرآن بما أنّه كلامه سبحانه قد تنزّه عن هذه الوصمة، لاَنّ الله سبحانه خالق كلّ شيء فهو منزَّه من أن يتأثر بشيء سواه.

ومع ذلك كلّه نزلت الاَمثال القرآنية لهداية الناس ولذلك رُوعىَ فيها الغايات التى نزلت لاَجلها، فنجد ان الطابع المكى يعلو هامة

الاَمثال المكية، والطابع المدنى يعلو هامة الاَمثال المدنية.

أمّا الاَمثال المكية، فكانت دائرة مدار معالجة الاَدواء التى ابتلى بها

(۳۹)

المجتمع المكى لاـ سيما وانّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يجادل المشركين ويسفّه أحلامهم ويدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك عبادة غيره، والإيمان باليوم الآخر، ففى خِضمّ هذا الصراع يأتى القرآن بأروع مثل ويشبّه آلهتهم المزعومة التى تمسّكوا بأهدابها ببيت العنكبوت الذى لا يظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهادىَ، وقطرات المطر ، وهبوب الرياح.

يقول سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَولياء كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتّخَذَتْ بَيتاً وإِنَّ أَوهَنَ الْبُيُوتِ لَبيتُ العَنْكَبُوتِ لو كانُوا يَعْلَمون). (۱)

فقد شبّه آلهتهم التى اتخذوها حصوناً منيعة لاَنفسهم بخيوط العنكبوت، وبذلك صغّرهم وذلّلهم.

كما أنّه سبحانه فى آية أُخرى شبّه آلهتهم بالذباب، وقال: (يا أَيُّهَا النّاس ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا له إِنَّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً ولَوِ اجْتَمَعوا لَهُ وإن يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوب).(۲)

فقد كانت قريش تعبد ۳۶۰ إلهاً يطلونها بالزعفران فيجفّ، فيأتى الذباب فيختلسه فلا يقدرون عن الدفاع عن أنفسهم، ففى هذا الصدد، قال سبحانه: (ضعف الطالب والمطلوب)أى الذباب والمدعوّ .

فأى مثل أقرع من تشبيه آلهتهم بهذه الحشرة الحقيرة.ولقد مضى على الناس منذ ضرب لهم كتاب الإسلام هذا المثل أربعة عشر قرناً، وما يزال المثل القرآنى يتحدَّى كل جبروت الغزاة وعبقرية العلماء، وما يزال على الذين غرّهم الغرور بما حقّق إنسان العصر الحديث من معجزات العلم، أن ينسخوا ذلك، بأن

---

۱ ـ العنكبوت:۴۱.

۲ ـ الحج:۷۳.

(۴۰)

يجتمعوا فيخلقوا ذباباً، أو يستنقذوا شيئاً سلبتهم إيّاه هذه الحشرة الضئيلة التى تقتلها ذرّة من هواء مشبع بمُبيد الحشرات، وتستطيع مع ذلك أن تسلب مخترع المبيد حياته، بلمسة هيّنة خاطفة تحمل إليه جرثومة داء مميت.(۱)

هذا فى مجال الردِّ على عبادتهم للاَوثان والاَصنام، أمّا فى مجال ركونهم إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة، يستعرض مثلاً يشير فيه إلى أنّ الدنيا ظل زائل وليست خالدة، قال سبحانه: (إِنَّما مَثَلُ الحَياة الدُّنيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الاَرض مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالاَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الاَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازّيّنَتْ وَظَنّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَليها أَتاها أَمْرُنا لَيلاً أو نَهاراً فَجَعَلْناها حَصيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالاَمْسِ كَذلِكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَوم يَتَفكَّرُون). (۲)

هذا بعض ما يمكن أن يقال حول الاَمثال التى نزلت فى مكة.

وأمّا الاَمثال التى نزلت فى المدينة، فقد نجد فيها الطابع المدنى لاَجل انّها بصدد علاج الاَدواء التى ابتلى بها المجتمع يومذاك وهى الاَدواء الخلقية مكان الشرك والوثنية، أو مكان إنكار الحياة الاُخروية، فلذلك ركّز الوحى على معالجة هذا النوع من الاَدواء بالتمثيلات التى سنشير إليها.

فقد كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مهجره مبتلياً بالمنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بغية الإطاحة بالحكومة الإسلامية الفتيّة، وفى هذا الصدد نرى أنّ الاَمثال المدنية تطرّقت فى آيات كثيرة إلى المنافقين و بيّنت خطورة موقفهم على الإسلام والمسلمين، فتارة يضرب الله سبحانه لهم مثلاً بالنار وأُخرى بالمطر، يقول سبحانه: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الّذِى اسْتَوقَدَ ناراً فَلَمّا أَضاءَتْ

ما حَوْلَهُ

---

۱ ـ الصورة الفنية فى المثل القرآنى: ۹۹، نقلاً عن كتاب "القرآن وقضايا الإنسان "لبنت الشاطئ.

۲ ـ يونس:۲۴.

(۴۱)

ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلماتٍ لا يُبْصِرُون X صُمّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون X أَوْ كَصَيّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ المَوتِ وَاللّهُ مُحيطٌ بِالكافِرين). (۱)

كان المجتمع المدنى يضمُّ فى طيّاته طوائف ثلاث من اليهود وهم: بنو قينُقاع، وبنو النضير، وبنو قُريظة؛ وقد جبلوا على المكر والحيلة والغدر ، وكانوا يقرأون سمات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى توراتهم، ويمرّون عليها مرار الأُمى الذى لا يجيد القراءة والكتابة، وهذه السمة أدت إلى أن يشبّههم سبحانه بالحمار الذى يحمل أسفاراً قيّمة دون أن يستفيدوا منها شيئاً، يقول سبحانه: (مَثَلُ الّذِينَ حُمّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ وَاللّهُ لا يَهْدِى القَومَ الظالِمين). (۲)

وأمّا المسلمون الذين عاصروا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانوا بحاجة إلى هداية إلهية تصلح أخلاقهم، فقد كان البعض منهم ينفقون أموالهم رئاءً دون ابتغاء مرضاة الله، أو ينفقونها بالمنّ والأذى، فنزل الوحى الإلهى بمثل خاص يبيّن موقف المنفق فى سبيل الله، والمنفق بالمنّ والأذى أو رئاء الناس، قال سبحانه: (مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فى سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللّهُ واسِعٌ عَليم). (۳)

وقال سبحانه: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدقاتِكُمْ بِالمَنّ وَالأَذى كَالّذى يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ وَلا يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوانٍ عَليه

---

۱ ـ البقرة:۱۷ـ ۱۹.

۲ ـ الجمعة:۵.

۳ ـ البقرة:۲۶۱.

(۴۲)

تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ على شَىءٍ مِمّا كَسَبوا وَاللّهُ لا يَهْدِى الْقومَ الكافِرين). (۱)

هذه إلمامة خاطفة لملامح الأمثال القرآنية التى نزلت قبل الهجرة وبعدها، وسيوافيك البحث فى تلك الأمثال عند تفسير الآيات واحدة تلو الأُخرى.

الحادى عشر: استنكار الأمثال القرآنية

الحادى عشر: استنكار الأمثال القرآنية

يظهر من بعض الآيات أنّ بعض المخاطبين بالأمثال كانوا يستنكرونها ويستغربون منها، و ما ذلك إلا لأنّ المثل كان يكشف عن نواياهم ويبيّن واقع عقيدتهم، ويسفّه أحلامهم، فيبعث فيهم القلق والاضطراب، ذلك عندما يجمع سبحانه فى أمثاله تارة بين الذباب و العنكبوت والبعوضة ـ كما مرّ ـ وأُخرى بين الكلب والحمار :

كقوله سبحانه:

(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِل عَلَيهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث). (۲)

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً).(۳)

وقد نقل سبحانه استنكارهم، وقال: (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوقَها فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبّهِمْ وَأَمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ماذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلًا يُضِلّ بِهِ كَثيراً وَيَهْدى بِهِ كَثيراً وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلا

---

۱ ـ البقرة:۲۶۴.

۲ ـ الأَعراف:۱۷۶.

۳ ـ الجمعة:۵.

الفاسِقين). (۱)

قال الزمخشرى: والتمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعانى، وإدناء المتوهّم من الشاهد، فإن كان المتمثَّل له عظيماً كان المتمثّل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك. (۲)

وربما سرت تلك الشبهة إلى عصرنا الحاضر، فقد استغرب بعضهم من ضرب المثل بالحشرات والأُمور الحقيرة الضئيلة، ولكنّه غفل عن أنّ العبرة فى ضرب الأَمثال ليس بأدواتها وآلاتها، وإنّما بمكنوناتها وغاياتها،وما يدرينا بسرّ الإعجاز فى التركيب الجثمانى للبعوضة، مثلاً، وما فيه من إبداع وتحدٍّ وإعداد، ولعل فيه من الإنجاز الخلقى ما لا نشاهده بأكثر الأَجسام ضخامة وكبراً، على أن المبدع لها جميعاً هو الله وكفى"، والله رب الصغير والكبير وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة فى البعوضة هى ذاتها المعجزة فى الفيل، إنّها معجزة الحياة، معجزة السر المغلق الذى لا يعلمه إلا الله على أنّ العبرة فى المثل ليست فى الحجم، إنّما الأَمثال أدوات للتنوير والتبصير، وليس فى ضرب الأَمثال ما يعاب، وما من شأنه الاستحياء من ذكره. والله ـ جلّت حكمته ـ يريد بها اختبار القلوب وامتحان النفوس. ("۳)

الثانى عشر : التمثيلات القرآنية

الثانى عشر : التمثيلات القرآنية

قد عرفت أنّ المثل السائر غير التمثيل الوارد فى القرآن الكريم، وأنّه

---

۱ ـ البقرة:۲۶.

۲ ـ الإتقان فى علوم القرآن:۲|۱۰۴۲.

۳ ـ فى ظلال القرآن:۱|۵۷.

سبحانه عند ما يقول: (وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفكَّرون) (۱)يريد التمثيل لا المثل السائر، وهذه التمثيلات هى نمط آخر من علوم القرآن وباب عظيم من معارفه.

وقد ألّف غير واحد فى توضيح رموزها كتباً ورسائل، ذكرنا أسماءها فى قائمة خاصة، ولعلّ ما لم أقف عليه أكثر من ذلك.

ولأجل إيقاف القارئ الكريم على الآيات التى سنتناولها بالبحث فى هذا الكتاب، نذكر التمثيلات القرآنية حسب ترتيب السور التى وردت فيها،وقد تحمّل عبأ جمعها الدكتور محمد حسين على الصغير فى كتابه" الصورة الفنية فى المثل القرآنى "على الرغم من ذلك فقد فاته بعض الآيات كما عدّ منها ما ليس منها ويتضح ذلك فى دراسة هذه الآيات:

۱. (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لايُبْصِرُونَ X صُمٌ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون). (۲)

۲. (أَوْكَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فى آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوتِ وَاللهُ مُحيطٌ بِالكافِرين Xيَكادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوا فيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَلَو شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدير). (۳)

۳. (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمّا الّذينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمّا الّذينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ماذا أَرادَ اللهُ بهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثيراً وَيَهْدى بِهِ كَثيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إِلا الفاسِقينَ X الّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ

---

۱ ـ الحشر:۲۱.

۲ ـ البقرة:۱۷ـ ۱۸.

۳ ـ البقرة:۱۹ـ۲۰.

ميثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرونَ). (۱)

۴. (وَمَثَلُ الّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الّذى يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاّ دُعاءً وَنِداءً صُمٌ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُون).(۲)

۵. (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَما يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْساءُ وَالضَّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالّذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَريبٌ). (۳)

۶. (أَو كَالّذى مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِىَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنّى يُحْيى هذهِ اللهُ بَعْدَ مَوتِها فَأَماتَهُ اللهُ مائَةَ عام ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوماً أَوْ بَعْضَ يَوم قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عام فَانْظُر إلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ وَ انْظُرْ إلى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ قالَ أَعلَم أَنّ اللهَ عَلى كُلِّ شَىءٍ قَديرٌ). (۴)

۷. (مَثَلُ الّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فى سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ). (۵)

۸. (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالمَنّ وَالأَذى كَالّذى يُنْفِقُ مالَهُ رئاءَ النّاسِ ولا يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَليهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ

---

۱ ـ البقرة:۲۶ـ۲۷.

۲ ـ البقرة:۱۷۱.

۳ ـ البقرة:۲۱۴.

۴ ـ البقرة:۲۵۹.

۵ ـ لبقرة:۲۶۱.

وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَىْءٍ مِمّاكَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَومَ الكافِرينَ).(۱)

۹. (وَمَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ) . (۲)

۱۰. (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنابٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهارُ لَهُ فيها مِنْ كُلّ الثَّمَراتِ وَأَصابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتفكَّرُون) . (۳)

۱۱. (إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

(۴)

۱۲. (مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فى هذهِ الحَيوةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ ريحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

(۵)

۱۳. (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فى الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيّنَ لِلْكافِرينَ ما كانُوا يَعمَلُون) .

(۶_____)

۱ ـ البقرة:۲۶۴.

۲ ـ البقرة:۲۶۵.

۳ ـ البقرة:۲۶۶.

۴ ـ آل عمران:۵۹.

۵ ـ آل عمران:۱۱۷.

۶ ـ الاَنعام:۱۲۲.

(۴۷)

۱۴. (وَالبَلَدُ الطَّيّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرّفُ الآياتِ لِقَومٍ يَشْكُرُونَ) . (۱)

۱۵. (وَ اتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ *وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الاَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ * ساءَ مَثَلاً القَومُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ) . (۲)

۱۶. (إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الاَرْضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالاَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الاَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرنا لَيلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصيداً كَأَنْ لَمْ تغنَ بِالاَمْسِ كَذلِكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ). (۳)

۱۷. (مَثَلُ الفَريقَينِ كَالاَعْمى وَالاَصَمّ وَالْبَصيرِ وَالسَّميعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ). (۴)

۱۸. (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ وَالَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجيبُونَ لَهُمْ بِشَىْءٍ إِلاّ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَمَا دُعاءُ الكَافِرينَ إِلا فى ضَلالٍ).(۵)

---

۱ ـ الاَعراف:۵۸.

۲ ـ الاَعراف:۱۷۵ـ ۱۷۷.

۳ ـ يونس:۲۴.

۴ ـ هود:۲۴.

۵ ـ الرعد:۱۴.

(۴۸)

۱۹. (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فِى النّار ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فى الاَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الاَمْثالَ). (۱)

۲۰. (مَثَلُ الْجَنَّةِ الّتى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرى مِنْ تَحْتِها الاَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الكافِرِينَ النّارُ). (۲)

۲۱. (مَثَلُ الّذينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرّيحُ فى يَومٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا على شَىْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعيد). (۳)

۲۲. (أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرةٍ طَيّبَةٍ أَصْلُهَا ثابِتٌ وَفَرْعُها فِى السَّماءِ * تُؤْتى أُكُلَها كُلَّ حينٍ بِإِذْنِ رَبّها وَيَضْرِبُ اللهُ الاَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون). (۴)

۲۳. (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوقِ الاَرْضِ مالَها مِنْ قَرار).(۵)

۲۴. (وَسَكَنْتُمْ فى مَساكِنِ الّذينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الاَمْثالَ). (۶_____)

۱ ـ الرعد:۱۷.

۲ ـ الرعد:۳۵.

۳ ـ إبراهيم:۱۸.

۴ ـ إبراهيم:۲۴ـ ۲۵.

۵ ـ إبراهيم:۲۶.

۶ ـ إبراهيم:۴۵.

(۴۹)

۲۵. (لِلَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلهِ الْمَثَلُ الاَعلى وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ). (۱)

۲۶. (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ على شَىءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوونَ الحَمدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ).(۲)

۲۷. (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شىءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَولاهُ أَيْنَمَا يُوَجّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم). (۳)

۲۸. (وَلاتَكُونُوا كَالَّتى نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ). (۴)

۲۹. (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذاقَهَا اللهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالخَوفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ).(۵)

۳۰. (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لاَِحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً *كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيئاً وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً * وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً *وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبيدَ هذه أَبَداً *وَما أَظُنُّ

---

۱ ـ النحل:۶۰.

۲ ـ النحل:۷۵.

۳ ـ النحل:۷۶.

۴ ـ النحل:۹۲.

۵ ـ النحل:۱۱۲.

(۵۰)

السّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبّى لَاَجِدَنَّ خَيراً مِنْها مُنْقَلَباً * قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالّذى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً *لَكِنّا هُوَ اللهُ رَبّى وَلا أُشْرِكُ بِرَبّى أَحَداً * وَلَولا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً ـ وَوَلَداً *فَعَسى رَبّى أَنْ يُؤتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتصبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً *وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَيَقُولُ يا لَيْتَنى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبّى أَحَداً * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كانَ مُنْتَصِراً *هُنالِكَ الوَلايَةُ لِلهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَخَيْرٌ عُقْباً).(۱)

۳۱. (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الاَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً). (۲)

۳۲. (يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ). (۳)

۳۳. (اللهُ نُورُ السَّمواتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ المِصْباحُ فى زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوكَبٌ دُرِىّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيةٍ وَلا غَرْبِيةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الاَمْثالَ لِلنّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (۴_____)

۱ ـ الكهف:۳۲ ـ ۴۴.

۲ ـ الكهف:۴۵.

۳ ـ الحج:۷۳.

۴ ـ النور:۳۵.

(۵۱)

۳۴. (وَالَّذينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسابِ). (۱)

۳۵. (أَوْ كَظُلُماتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّيٍ يَغْشاهُ مَوجٌ مِنْ فَوقِهِ مَوجٌ مِنْ فَوقِهِ سَحابٌ ظُلماتٌ بَعْضُها فَوقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ). (۲)

۳۶. (مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَولياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ). (۳)

۳۷. (وَهُوَ الَّذى يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الاَعْلى فِى السَّمواتِ وَالاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).(۴)

۳۸. (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فى ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعقِلُونَ). (۵)

۳۹. (وَما يَسْتَوِى الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ فيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون). (۶_____)

۱ ـ النور:۳۹.

۲ ـ النور: ۴۰.

۳ ـ العنكبوت:۴۱.

۴ ـ الروم:۲۷.

۵ ـ الروم:۲۸.

۶ ـ فاطر:۱۲.

(۵۲)

۴۰. (وَما يَسْتَوى الاَعْمى وَالْبَصيرُ * وَلا الظُّلُماتُ وَلاَ النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ * وَما يَسْتَوِى الاَحْياءُ وَلا الاَمْواتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ). (۱)

۴۱. (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَها الْمُرْسَلُونَ *إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ *قالُوا ما أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَىْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ *قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَما عَلَيْنا إِلا الْبَلاغُ الْمُبينُ *قالُوا إِنّا تَطَيَّرنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَكُمْ مِنّا عَذابٌ أَليمٌ *قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ مُسْرِفُونَ * وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قالَ يا قَومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمالِىَ لا أَعْبُدُ الَّذى فَطَرنى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنّى شَفاعَتُهُم شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونَ * إِنّى إِذاً لَفى ضَلالٍ مُبينٍ * إِنّى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَومى يَعْلَمُونَ * بِما غَفَرَ لى رَبّى وَجَعَلَنى مِنَ الْمُكْرَمين * وَما أَنْزَلْنا عَلى قَومِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنّا مُنْزِلينَ * إِنْ كانَتْ إِلا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ * يا حَسْرَةً عَلَى العِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ). (۲)

۴۲. (أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبينٌ * وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظامَ وَهِىَ رَميمٌ * قُلْ يُحْيِيها الَّذى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ). (۳)_____

۱ ـ فاطر:۱۹ـ۲۲.

۲ ـ يس:۱۳ـ۳۰.

۳ ـ يس:۷۷ـ ۷۹.

(۵۳)

۴۳. (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَويانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ). (۱)

۴۴. (وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظيمٌ * أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُا فى الحِلْيَةِ وَهُوَ فى الخِصامِ غَيْرُ مُبينٍ). (۲)

۴۵. (فَلَمّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعين * فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً للآخِرينَ). (۳)

۴۶. (وَلَما ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَومُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدلاً بَلْ هُمْ قَومٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنى إِسْرائيلَ). (۴)

۴۷. (ذلِكَ بِأَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ وَأَنَّ الَّذينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أَمْثالَهُمْ). (۵)

۴۸. (مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّى وَلَهُمْ فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِى النّارِ وَسُقُوا ماءً حَميماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ). (۶)

---

۱ ـ الزمر:۲۹.

۲ ـ الزخرف:۱۷ـ ۱۸.

۳ ـ الزخرف: ۵۵ـ ۵۶.

۴ ـ الزخرف:۵۷ـ ۵۹.

۵ ـ محمد:۳.

۶ ـ محمد:۱۵.

(۵۴)

۴۹. (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سيماهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فى التَّوراةِ وَمَثَلُهُمْ فى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزرّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظيماً). (۱)

۵۰. (اعْلَمُوا أَنَّما الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِى الأَمْوالِ وَالأَولادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وفِى الآخِرَةِ عَذابٌ شَديدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَما الحَياةُ الدُّنيا إِلا مَتاعُ الْغُرُورِ). (۲)

۵۱. (كَمَثَلِ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَريباً ذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ) . (۳)

۵۲. (كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلاِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنّى أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمينَ).(۴)

۵۳. (لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصدّعاً مِنْ خَشيةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). (۵)

---

۱ ـ الفتح:۲۹.

۲ ـ الحديد:۲۰.

۳ ـ الحشر:۱۵.

۴ ـ الحشر:۱۶.

۵ ـ الحشر:۲۱.

(۵۵)

۵۴. (مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدى القَومَ الظّالِمينَ) . (۱)

۵۵. (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَ امْرَأَةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَينِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلينَ). (۲)

۵۶. (وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرأَةَ فِرْعَونَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لى عِنْدَكَ بَيْتاً فى الجَنَّةِ وَنَجِّنى مِنْ فِرْعَونَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنى مِنَ الْقَومِ الظّالِمينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرانَ الّتى أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فيهِ مِنْ رُوحِنا وَصَدَّقَتْ بِكَلماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ القانِتين). (۳)

۵۷. (وَما جَعَلْنا أَصحابَ النّارِ إِلا مَلائِكَةً وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَةً لِلّذينَ كَفَروا لِيَسْتَيقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ وَيَزْدادَ الَّذينَ آمَنُوا إِيماناً ولا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقولَ الّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكافِرُونَ ماذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَما يَعْلَمُ جُنودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَما هِيَ إِلا ذِكْرى لِلْبَشَرِ). (۴)

هذا ما ذكره الكاتب، ولكنّه غير جامع إذ هناك آيات تتضمن تمثيلاً وإن لم

---

۱ ـ الجمعة:۵.

۲ ـ التحريم:۱۰.

۳ ـ التحريم:۱۱ـ ۱۲.

۴ ـ المدثر:۳۱.

(۵۶)

يشتمل على لفظ المثل أو حرف التشبيه ولكن التمثيل برَّمتهٔ أركانه موجود فيها، قال سبحانه: (الّذينَ يَأْكُلُونَ الرّبا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ الذى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسّ) (۱) فشبّه آكل الربا بمن مسَّه الجن فصار مذعوراً لا يملك عقله ونفسه. إلى غير ذلك من الآيات.

قال بعض العلماء: ضرب الأمثال فى القرآن يستفاد منه أُمور كثيرة: التذكير ، والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فانّ الأمثال تصوّر المعانى بصورة الأشخاص، لأنّها أثبت فى الذهن لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلىّ و الغائب بالشاهد.

وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر وتحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله.(۲)

ثمّ إنّ الآيات التى جاء فيها التصريح بالمثل، عبارة عن الآيات التالية:

۱. (وَلَقَدْ صَرَّفنا لِلنّاسِ فى هذا القُرآنِ مِنْ كُلّ مَثَل). (۳)

۲. (وَلَقَدْ صَرّفنا فى هذَا القُرآنِ لِلنّاسِ مِنْ كُلّ مَثَل). (۴)

۳. (وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأعْلى وَهُوَ الْعَزيزُ الحَكِيمُ). (۵_____)

۱ ـ البقرة:۲۷۵.

۲ ـ رياض السالكين:۵|۴۶۱.

۳ ـ الإسراء:۸۹.

۴ ـ الكهف:۵۴.

۵ ـ النحل:۶۰.

(۵۷)

۴. (وَلَهُ المَثَلُ الأعْلى فِى السَّمواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيم). (۱)

۵. (وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فى هذا الْقُرآنِ مِنْ كُلّ مَثَل). (۲)

۶. (وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فى هذا القُرآن مِنْ كُلّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذكَّرون). (۳)

۷. (كَذلِكَ يَضْرِبِ اللهُ الأمْثال). (۴)

۸. (وَيَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذكَّرون). (۵)

۹. (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِم وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثال). (۶)

۱۰. (وَيَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ لِلنّاسِ وَاللهُ بِكُلّ شَىءٍ عَليم). (۷)

۱۱. (وَتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها إلا الْعالمون). (۸)

۱۲. (وَتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُونَ). (۹)

۱۳. (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أمْثالَهُمْ). (۱۰)

۱۴. (وَلَقَدْ أنْزَلْنا إلَيْكُمْ آياتٍ مُبيّناتٍ وَمَثلاً مِنَ الّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوعِظَةً لِلْمُتَّقين). (۱۱)

۱۵. (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاّ جِئْناكَ بِالحَقّ وَأحْسَنَ تَفسيراً). (۱۲)

ولكن الأمثال أعم مما ورد فيه لفظ المثل أو كاف التشبيه كما مرّ_____ .

۱ ـ الروم:۲۷.

۲ ـ الروم:۵۸.

۳ ـ الزمر:۲۷.

۴ ـ الرعد:۱۷.

۵ ـ إبراهيم:۲۵.

۶ ـ إبراهيم:۴۵.

۷ ـ النور:۳۵.

۸ ـ العنكبوت:۴۳.

۹ ـ الحشر:۲۱.

۱۰ ـ محمد:۳.

۱۱ ـ النور:۳۴.

۱۲ ـ الفرقان:۳۳.

(۵۸)

الثالث عشر: الآيات التى تجرى مجرى المثل

الثالث عشر: الآيات التى تجرى مجرى المثل

القرآن الكريم كلّه حكمة وعظة، بلاغ وعبرة، وقد قام غير واحد من المحقّقين باستخراج الحكم الواردة فيه التى صارت أمثالاً سائرة عبر القرون لتداولها على الألسن فى حياتهم العملية. وقد سبق منّا القول إنّ هذه الآيات لم تنزل بوصف المثل، لأنّ المثل عبارة عن كلام تداولته الألسن فصار به أمثالاً سائرة دارجة، ومن الواضح أنّ الحكم الواردة فى القرآن نزلت من دون سبق مثال لها، فلم تكن يوم نزولها موصوفة بوصف المثل، وانّما أُضفى عليها هذا الوصف عبر مرّ الزمان وتداول الألسن.

ثم إنّ جعفر بن شمس الخلافة (۱)المتوفّى عام ۲۲۶هـ) عقد باباً فى ألفاظ القرآن الجارية مجرى المثل، ونقله السيوطى عنه فى كتاب "الإتقان، "وقال: وهذا هو النوع البديعى المسمّى بإرسال المثل.

وإليك ما أورده من هذا الباب:

۱. (وَعَسى أنْ تكرَهُوا شَيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ). (۲)

۲. (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً). (۳)

۳. (لا يُكَلّفُ اللهُ نَفْساً إلّا وُسْعَها). (۴_____)

۱ ـ هو أبو الفضل جعفر بن محمد شمس الخلافة الأفضلى البصرى المتولّد عام ۵۴۳هـ ترجمه ابن خلكان فى" وفيات الأعيان "مؤلف كتاب" الآداب "وهو كتاب وجيز فى الحكم والأمثال من النثر والنظم طبع فى مصر عام ۱۳۴۹هـ

۲ ـ البقرة:۲۱۶.

۳ ـ البقره:۲۴۹.

۴ ـ البقرة:۲۸۶.

(۵۹)

۴. (لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّون). (۱)

۵. (ما عَلى الرَّسُولِ إلا البَلاغُ). (۲)

۶. (قُلْ لا يَسْتَوى الْخَبيثُ وَالطَّيّب). (۳)

۷. (لِكُلّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٍ). (۴)

۸. (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيراً لَاَسمَعَهُمْ). (۵)

۹. (ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل). (۶)

۱۰. (الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قبلُ). (۷)

۱۱. (أَلَيْسَ الصُّبحُ بِقَرِيب). (۸)

۱۲. (قُضِى الاَمْرُ الَّذى فِيهِ تَسْتَفْتِيان). (۹)

۱۳. (الآن حَصْحَصَ الحَقّ). (۱۰)

۱۴. (قُلْ كُلّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِه). (۱۱)

۱۵. (ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداك). (۱۲)

۱۶. (ضَعُفَ الطّالِبُ وَالْمَطْلُوب). (۱۳)

۱۷. (كُلُّ حِزبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُون). (۱۴_____)

۱ ـ آل عمران:۹۲.

۲ ـ المائدة:۹۹.

۳ ـ المائدة:۱۰۰.

۴ ـ الاَنعام:۶۷.

۵ ـ الاَنفال:۲۳.

۶ ـ التوبة:۹۱.

۷ ـ يونس:۹۱.

۸ ـ هود:۸۱.

۹ ـ يوسف:۴۱.

۱۰ ـ يوسف:۵۱.

۱۱ ـ الاِسراء:۸۴.

۱۲ ـ الحج:۱۰.

۱۳ ـ الحج:۷۳.

۱۴ ـ الروم:۳۲.

(۶۰)

۱۸. (ظَهَرَ الْفَسادُ فِى البَرّ وَالْبَحْر). (۱)

۱۹. (وَقليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّكُور). (۲)

۲۰. (وَحيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُون). (۳)

۲۱. (وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبير). (۴)

۲۲. (وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيّءُ إلا بِأَهْلِهِ). (۵)

۲۳. (وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ). (۶)

۲۴. (لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُون). (۷)

۲۵. (وَقَليلٌ ما هُمْ). (۸)

۲۶. (لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ الله كاشِفَة). (۹)

۲۷. (هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلاّ الإِحْسان). (۱۰)

۲۸. (فَاعْتَبِرُوا يا أُولى الاَبْصار). (۱۱)

۲۹. (تَحْسَبُهُمْ جَميعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتّى). (۱۲)

۳۰. (كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَة). (۱۳_____)

۱ ـ الروم:۴۱.

۲ ـ سبأ:۱۳.

۳ ـ سبأ:۵۴.

۴ ـ فاطر:۱۴.

۵ ـ فاطر:۴۳.

۶ ـ يس:۷۸.

۷ ـ الصافات:۶۱.

۸ ـ ص:۲۴.

۹ ـ النجم:۵۸.

۱۰ ـ الرحمن:۶۰.

۱۱ ـ الحشر:۲.

۱۲ ـ الحشر:۱۴.

۱۳ ـ المدثر:۳۸.

(۶۱)

هـذا ما نقله السيوطى فى "الإتقان" عن كتاب "الآداب "لجعفر بن شـمس الخلافـة، ولكن المذكور فى كتاب" الآداب "ما يناهز ۶۹ آيـة، وقد صارت هذه الآيات فى عصره أمثالاً سائرة. (۱)

ثمّ إنّ شـهاب الدين محمد بن أحمد أبا الفتح الابشيهى المحلى (۷۹۰ـ ۸۵۰هـ) فى كتابه" المستطرف فى كل فن مستظرف "ذكر من حِكم القرآن التى تجرى مجرى الاَمثال أكثر مما نقله السيوطى فى إتقانه عن كتاب الآداب.

قال صاحب المستطرف: إنَّ الاَمثال من أشـرف ما وصل به اللبيب خطابه، وحلّى بجواهره كتابه، وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها، ولم يخلُ كلام سيدنا رسول الله ۶عنها، وهو أفصح العرب لساناً وأكملهم بياناً، فكم فى إيراده وإصداره من مثـل يعجز عن مبـاراته فى البلاغـة كـلّ بطـل،.... فمن أمثـال كتـاب الله ، قوله تعـالى: (لَنْ تَنـالُوا الـبِرّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّـا تُحِبُّون)، (الآـن حَصْحَصَ الحَق)، و (قُضِى الاَمْرُ الذى فيهِ تَسْتَفْتِيان)إلى آخر ما ذكره.

(۲)

ثمّ إنّ بعض من ألّف فى أمثال القرآن، استدرك عليهما الحِكم التى صارت مثلاً بين الناس والتى يربو عددها على ۲۴۵ آيـة.

(۳)

كما أنّ الدكتور محمدحسين الصغير ذكر فى خاتمة كتابه من هذه المقولة فبلغ ۴۹۵ آيـة.

(۴)

ولكن الذى فاتهم هو التركيز على أنَّ هذه الآيات لم تكن أمثالاً يوم

---

۱ ـ الإتقان:۲|۱۰۴۶النوع السادس والستون.

۲ ـ المستطرف فى كلّ فن مستظرف:۱|۲۷.

۳ ـ َمثال القرآن، على أصغر حكمت.

۴ ـ الصورة الفنّية فى المثل القرآنى:۳۸۷ـ ۴۰۲.

نزولها، بل كانت حِكماً وإنّما جاءت مثلاً حسب مرّ الزمان.

وأخيراً نزيد أنّ هناك آيات أُخرى غير ما تقدَّم أكثر تداولاً على الألسن فى أكثر البلاد الإسلامية نشير إلى قسم منها، وربما يوجد بعض منها فيما ذكره مؤلف الآداب، وهذه الآيات هى:

۱. (كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا).

(۱)

۲. (هذا فراقُ بَيْنِى وَبَيْنِك).

(۲)

۳. (نُورٌ عَلى نُور).

(۳)

۴. (وَ ما عَلى الرَّسُولِ إِلاّ البَلاغ).

(۴)

۵. (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيّتِ وَيُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَىّ).

(۵)

۶. (هَلْ يَسْتَوى الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُون).

(۶)

۷. (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ).

(۷)

۸. (هَلْ جَزاء الإِحْسانِ إِلاّ الإِحسانُ).

(۸)

۹. (لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُون).

(۹)

۱۰. (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِى دِين).

(۱۰)

هذه آيات عشر صارت مثلاً سائراً بين أكثر المسلمين_____.

۱ ـ الأعراف:۳۱.

۲ ـ الكهف:۷۸.

۳ ـ النور:۳۵.

۴ ـ النور:۵۴.

۵ ـ الروم:۱۹.

۶ ـ الزمر:۹.

۷ ـ الفتح:۱۰.

۸ ـ الرحمن:۶۰.

۹ ـ الصف:۲.

۱۰ ـ الكافرون:۶.

(۶۳)

ثم إنّ المحقّق بهاء الدين العاملى (۹۵۳ ـ ۱۰۳۰هـ) عقد فصلاً تحت عنوان "فيما ورد من كتاب الله تعالى مناسباً لكلام العرب "ويريد بذلك انّ هناك معادلات فى كلام العرب لما جاء فى القرآن من الحكم، وذكر الآيات والاَمثال التالية:

أ: العرب تقول فى وضوح الاَمر":قد وضح الصبح لذى عينين."

وقال الله تعالى: (الآن حَصْحَصَ الحَقّ).

(۱)

ب: وتقول العرب فى فوات الاَمر": سبق السيف العذل."

قال الله تعالى: (قُضِىَ الاَمْرُ الّذِى فِيهِ تَسْتَفْتيان).

(۲)

ج: وتقول فى تلافى الاِساءة" عاد غيث على ما أفسد."

قال الله تعالى: (مكانَ السَّيئةِ الحَسنة).

(۳)

د: وتقول فى الاِساءة لمن لا يقبل الاِحسان":اعط أخاك ثمرة فإن أبى فجمرة."

وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين).

(۴)

هـ: وتقول فى فائدة المجازاة" : القتل أنفى للقتل."

وقال تعالى: (وَلَكُمْ فِى القِصاصِ حَياةٌ يا أُولى الاَلْباب).

(۵_____)

۱ ـ يوسف:۵۱.

۲ ـ يوسف:۴۱.

۳ ـ الاَعراف:۹۵.

۴ ـ الزخرف:۳۶.

۵ ـ البقرة:۱۷۹.

(۶۴)

و : وتقول فى اختصاص الصلح": لكّل مقام مقال."

وقال تعالى: (لِكُلّ نَبأٍ مُسْتَقر)

(۱) (۲)

ثمّ إنّ بهاء الدين العاملى عاد إلى الموضوع فى كتابه" المخلاة "ونقل شيئاً من أمثال العرب التى استفادها العرب من القرآن الكريم، فأوضح أنّ القرآن هو المنبع المهم لهذه الاَمثال، قال:

أ: قولهم: ما تزرع تحصد: (مَنْ يَعْمَل سُوءاً يُجْزَ بِهِ).

(۳)

ب: قولهم: للحيطان آذان: (وَفيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ).

(۴)

ج: قولهم: احذر شرَّ من أحسنت إليه: (وَما نَقَمُوا إِلاّ أنْ أغناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ).

(۵)

د: وقولهم: لا تلد الحيّة إلاّ حيّة: (وَلا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كفّاراً)

(۶) (۷)

وما ذكره شيخنا العاملى هو الذى سبق ذكره فى كلام الآخرين تحت عنوان" الاَمثال الكامنة."

ولعلّ ما ذكره ابن شمس الخلافة والسيوطى والبهائى ليس إلاّ جزءاً يسيراً من الحكم التى سارت بين الناس، أو صارت نموذجاً لصبّ بقية الاَمثال فى قالبها، وهذا من القرآن ليس ببعيد.

كيف وقد وصفه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم") : لا تُحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه."

(۸_____)

۱ ـ الاَنعام:۶۷.

۲ ـ أسرار البلاغة:۶۱۶ـ ۶۱۷.

۳ ـ النساء:۱۲۳.

۴ ـ التوبة:۴۷.

۵ ـ التوبة:۷۴.

۶ ـ نوح:۲۷.

۷ ـ المخلاة: ۳۰۷.

۸ ـ الكافى: ۲|۵۹۹، كتاب فضل القرآن، الحديث ۲.

الرابع عشر: الاَمثال النبوية

الرابع عشر: الاَمثال النبوية

إذا كان المثل إبراز المعنى المقصود فى معرض الاَمر المشهود،وتحلية المعقول بحلية المحسوس، واستنزال الحقائق المستعصية، فهو من أدوات التبليغ والتعليم، ولذلك ذاع التمثيل فى القرآن الكريم والكلمات النبوية، وكلمات أئمّة أهل البيت (عليهما السلام) ، إلى عبارات البلغاء وإشارات الحكماء.

وقد قام غير واحد من المحدثين بجمع الاَمثال النبوية.

وقد ذكر المحقّق المعاصر الشيخ محمد الغروى ـ حفظه الله ـ فى مقدمة كتابه" الاَمثال النبوية "حوالى عشرة كتب حول الاَمثال النبويّة، وهو بكتابه هذا أوصل العدد إلى أحد عشر كتاباً، وقد نقل عن عبد المجيد محمود مؤلف كتاب" أمثال الحديث "العبارة التالية:أمّا أمثال الحديث فلم تحظ بالعناية التى نالتها أمثال القرآن أو الاَمثال العربية العامة، ولم أر أحداً من أصحاب الكتب الستة أفردها بالتأليف أو أفرد لها باباً فى كتابه، سوى الإمام الترمذى الذى خصص لاَمثال الحديث مكاناً فى جامعه تحت عنوان": أبواب الاَمثال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنّه لم يذكر تحت هذا العنوان غير أربعة عشر حديثاً، ولهذا يقول ابن العربى: ولم أر أحداً من أهل الحديث صنف فأفرد لها باباً غير أبى عيسى ـ يعنى الترمذى ـ ولله درّه لقد فتح باباً أو بنى قصراً أو داراً، ولكن اختط خطاً صغيراً، فنحن نقتنع به ونشكره عليه. (۱)

ثمّ إنّ شيخنا الغروى قام بجمع شوارد الاَمثال النبوية فى جزءين كبيرين مع تفسيرها، مرتباً إياها وفق حروف التهجّى، وأسمى كتابه "الاَمثال النبويّة_____، "

۱ ـ أمثال الحديث:۸۸، ولكلامه صلة.

وطبع فى بيروت.

وها نحن نذكر نماذج من الاَمثال النبوية التى جمعها السيوطى فى" الجامع الصغير "لتكون زينة للكتاب.

۱". مثل الإيمان مثل القميص تقمَّصه مرّة، وتنزعه أُخرى."

۲". مثل البخيل والمتصدّق كمثل رجلين عليهما جبّتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأمّا المنفق فلا ينفق إلّا سبغت على جلده، حتى تخفى بنانه، وتعفو أثره، وأمّا البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلّا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسّعها فلا تتسع."

۳". مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه، مثل الحىّ والميّت."

۴". مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحدّاد، لا يعدمك من صاحب المسك، إمّا أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة."

۵".مثل الجليس الصالح مثل العطّار، إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه."

۶". مثل الرّافلة فى الزينة فى غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها."

۷". مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ عذب على باب أحدكم، يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات، فما يبقى ذلك من الدَّنس."

۸". مثل العالم الذى يعلّم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه."

۹". مثل القلب مثل الريشة تقلّبها الرياح بفلاة."

۱۰". مثل الذى يعتق عند الموت، كمثل الذى يهدى إذا شبع."

۱۱". مثل الذى يتعلّم العلم، ثمّ لا يحدّث به، كمثل الذى يكنز الكنز فلا ينفق منه."

۱۲". مثل الذى يتعلّم العلم فى صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذى يتعلّم العلم فى كبره، كالذى يكتب على الماء."

۱۳". مثل الذى يجلس يسمع الحكمة ولا يحدّث عن صاحبه إلّا بشرّ ما يسمع، كمثل رجل أتى راعياً، فقال: يا راعى اجزرنى شاة من غنمك، قال: اذهب فخذ بأُذنِ خيرها شاةً، فذهب فأخذ بأُذنِ كلب الغنم."

۱۴". مثل الذى يتكلّم يوم الجمعة والإمام يخطب، مثل الحمار يحمل أسفاراً، والذى يقول له": انصت "لا جمعة له."

۱۵". مثل الذى يعلّم الناس الخير وينسى نفسه، مثل الفتيلة ، تضىء للناس وتحرق نفسها."

۱۶". مثل الذى يعين قومه على غير الحقّ، مثل بعير تردّى وهو يجرّ بذنبه."

۱۷". مثل الذين يغزون من أمّتى ويأخذون الجعل يتقوّون به على عدوهم، مثل أُمّ موسى، ترضع ولدها وتأخذ أجرها."

۱۸". مثل المؤمن كمثل العطار، إن جالسته نفعك، وإن ماشيته نفعك، وإن شاركته نفعك."

۱۹". مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك."

۲۰". مثل المؤمن إذا لقى المؤمن فسلّم عليه، كمثل البنيان يشدّ بعضه

(۶۸)

بعضاً."

۲۱". مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلّا طيباً، ولا تضع إلّا طيباً."

۲۲". مثل المؤمن مثل السنبلة، تميل أحياناً، وتقوم أحياناً."

۲۳". مثل المؤمن مثل السنبلة، تستقيم مرّة، وتخرّ مرّة، ومثل الكافر مثل الأرزّة، لا تزال مستقيمة حتى تخرّ ولا تشعر."

۲۴". مثل المؤمن مثل الخامة، تحمرُّ مرّة، وتصفرُّ أُخرى، و الكافر كالأرزّة."

۲۵". مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها، فإذا سكنت اعتدلت،وكذلك المؤمن، يكفّأ بالبلاء، ومثل الفاجر كالأرزّة صمّاء معتدلة، حتى يقصمها الله تعالى إذا شاء."

۲۶". مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأُترجُّة ريحها طيّب وطعمها طيّب.ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها، وطعمها حلوٌ. ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر."

۲۷". مثل المؤمن مثل النحلة إن أكلت أكلت طيّباً، وإن وضعت وضعت طيّباً، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفخت عليها احمرّت،وإن وزنت لم تنقص."

۲۸". مثل المؤمن كالبيت الخرب فى الظاهر، فإذا دخلته وجدته مونفاً، ومثل الفاجر كمثل القبر المشرف المجصّص، يعجب من رآه وجوفه ممتلئُ نتناً.

۲۹.مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمّى."

(۶۹)

۳۰.مثل المجاهد فى سبيل الله ، كمثل الصائم القائم الدائم الذى لا يفتر من صيام ولا صدقة، حتى يرجع، وتوكّل الله تعالى للمجاهد فى سبيله إن توفّاه أن يدخله الجنّة أو يرجعه سالماً مع أجرٍ أو غنيمة."

۳۱". مثل المرأة الصالحة فى النساء، كمثل الغراب الأعصم الذى إحدى رجليه بيضاء."

۳۲". مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرّة، وإلى هذه مرّة، لا تدرى أيّهما تتبع."

۳۳". مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون منيّة، إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم حتى يموت."

۳۴". مثل أصحابى مثل الملح فى الطعام، لا يصلح الطعام إلّا بالملح."

۳۵". مثل أُمّتى مثل المطر، لا يُدرى أوّله خير، أم آخره."

۳۶". مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح، من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق."

۳۷". مثل بلال كمثل نحلة،غدت تأكل من الحلو والمرّ ثم يمسى حلواً كلّه."

۳۸". مثل بلعم بن باعوراء فى بنى إسرائيل، كمثل أُمية بن أبى الصلت فى هذه الأُمّة."

۳۹". مثل منىً كالرحم فى ضيقه، فإذا حملت وسعها الله."

۴۰. مثل هذه الدنيا مثل ثوب شُقَّ من أوّله إلى آخره، فبقى متعلّقاً بخيط فى آخره، فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع."

(۷۰)

۴۱". مثلى ومثل الساعة كفرسى رهان، مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلمّا خشى أن يسبق ألاح بثوبه: أُتيتم أُتيتُم، أنا ذاك، أنا ذاك."

۴۲". مثلى و مثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذُبّهنّ عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدى. ("۱)

---

۱ ـ الجامع الصغير: ۲|۵۲۷ـ۵۳۴.

الخامس عشر: الاَمثال العلوية

الخامس عشر: الاَمثال العلوية

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرّع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولّدها، ومنه ۷ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كلّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، وعلى كلامه مسحة من العلم الإلهى، وفيه عبقة من الكلام النبوى.

فقد قام غير واحد من روّاد الفصاحة والبلاغة بجمع شوارد كلامه، وكلمه القصار والطوال، فنافت على اثنتى عشرة ألف كلمة، وفيما جمعه عبد الواحد الآمدى (المتوفّى حدود ۵۵۰هـ) فى كتابه" غرر الحكم ودرر الكلم"غنىً وكفاية لطلاّب الحق ولذلك نطوى عنها كشحا .

وأمّا التمثيل فى كلمات سائر الاَئمة الاثنى عشر فحدّث عنه ولا حرج، وقد شمّر المحقّق الغروىّ عن ساعد الجدّ فألّف موسوعات فى هذا المضمار، شكر الله مساعيه الجميلة_____.

السادس عشر: أمثال لقمان الحكيم

السادس عشر: أمثال لقمان الحكيم

اختلفت الاَقوال فى شخصية لقمان الحكيم، روى ابن عمر، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول": لم يكن لقمان نبيّاً ، ولكن كان عبداً كثير التفكّر حسن اليقين، أحبّ الله فأحبّه و منّ عليه بالحكمة. ("۱)

وقد بلغ سموُّ كلامه إلى حدّ نقل سبحانه وتعالى شيئاً من حكمه فى القرآن الكريم، وأنزل سورة باسمه، كما قام غير واحد من العلماء بجمع حكمه المبثوثة فى الكتب.

وقد قام أمين الإسلام الطبرسى بنقل شىء من حكمه فى تفسيره، وقد وصفه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله": والله ما أُوتى لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا بسط فى جسم ولا جمال، ولكنّه كان رجلاً قويّاً فى أمر الله ، متورّعاً فى الله ساكتاً سكيناً، عميق النظر، طويل التفكّر، حديد البصر، لم ينم نهاراً قطّ، ولم يتكىَ فى مجلس قوم قطّ، ولم يتفل فى مجلس قوم قطّ، ولم يعبث بشىء قطّ، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قطّ، ولا على اغتسال لشدّة تستره وتحفّظه فى أمره، ولم يضحك من شىء قطّ، ولم يغضب قطّ مخافة الإثم فى دينه، ولم يمازح إنساناً قطّ، ولم يفرح بما أوتيه من الدنيا، ولا حزن منها على شىء قطّ، ... ولم يمرّ بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلاّ أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتى تحاجزا، ولم يسمع قولاً استحسنه من أحد قطّ، إلاّ سأله عن تفسيره وعمّن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين، فيرثى للقضاة بما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم فى ذلك، ويتعلّم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه،

---

۱ ـ مجمع البيان:۴|۳۱۵.

(۷۲)

ويحترز من السلطان، وكان يداوى نفسه بالتفكّر والعبر، وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه، ولا ينظر إلا فيما يعينه، فبذلك أُوتى الحكمة ومنح القضية. ("۱_____)

۱ ـ مجمع البيان:۴|۳۱۷ـ ۳۱۸.

(۷۳)

سورة البقرة

التمثيل الاَوّل

التمثيل الاَوّل قال سبحانه: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنّا وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُون * أُولئِكَ الَّذينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدين * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوقَدَ ناراً فَلَمّا أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ * صُمّ بُكمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون). (۱)

تفسير الآيات

الوقود ـ بفتح الواو ـ الحطب، استوقد ناراً، أو أوقد ناراً، كما يقال: استجاب بمعنى أجاب.

افتتح كلامه سبحانه فى سورة البقرة بشرح حال طوائف ثلاث:

الاُولى: المؤمنون، واقتصر فيهم على آيتين.

الثانية: الكافرون، واقتصر فيهم على آية واحدة.

الثالثة: المنافقون، وذكر أحوالهم وسماتهم ضمن اثنتى عشرة آية_____.

۱ ـ البقرة: ۱۴ـ ۱۸.

(۷۴)

وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدل على أنّ النفاق بؤرة الخطر، وانّهم يشكلون خطورة جسيمة على المجتمع الاِسلامى. وقد مثل بمثلين يوقفنا على طبيعة نواياهم الخبيثة وما يبطنون من الكفر.

بدأ كلامه سبحانه فى حقهم بأنّ المنافقين هم الذين يبطنون الكفر ويتظاهرون بالاِيمان (وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَإِذا خَلَوا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون).

ثمّ إنّه سبحانه يردّ عليهم، بقوله: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُون) والمراد أنّه سبحانه يجازيهم على استهزائهم.

ثمّ وصفهم بقوله: (أُولئِكَ الَّذينَ اشْتَرَوا الضَّلالَةَ بِالهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدين)، أى أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، واستبدلوا الكفر بالاِيمان، فلم يكونوا رابحين فى هذه التجارة والاستبدال، ثمّ وصفهم بالتمثيل الآتى:

نفترض أنّ أحداً، ضلّ فى البيداء وسط ظلام دامس وأراد أن يقطع طريقه دون أن يتخبّط فيه، ولا يمكن أن يهتدى ـ والحال هذه ـ إلاّ بإيقاد النار ليمشى على ضوئها ونورها ويتجنب المزالق الخطيرة، وما أن أوقد النار حتى باغتته ريح عاصفة أطفأت ما أوقده، فعاد إلى حيرته الاُولى .

فحال المنافقين كحال هذا الرجل حيث إنّهم آمنوا بادئ الاَمر واستناروا بنور الاِيمان ومشوا فى ضوئه، لكنّهم استبدلوا الاِيمان بالكفر فعمَّهم ظلام الكفر لا يهتدون سبيلاً.

هذا على القول بأنّ المنافقين كانوا موَمنين ثمّ عدلوا إلى الكفر، وأمّا على

(۷۵)

القول بعدم إيمانهم منذ البداية، فالنار التى استوقدوها ترجع إلى نور الفطرة الذى كان يهديهم إلى طريق الحق، ولكنّهم أخمدوا نورها بكفرهم بآيات الله تبارك و تعالى.

والحاصل: أنّ حال هوَلاء المنافقين لمّا أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر كحال من ضلَّ فى طريقه وسط الظلام فى مكان حافل بالأخطار فأوقد ناراً لإنارة طريقه فإذا بريح عاصفة أطفأت النار وتركته فى ظلمات لا يهتدى إلى سبيل.

وهذا التمثيل الذى برع القرآن الكريم فى تصويره يعكس حال المنافقين فى عصر الرسالة، ومقتضى التمثيل أن يهتدى المنافقون بنور الهداية فترة من الزمن ثمّ ينطفئ نورها بإذن الله سبحانه، وبالتالى يكونوا صمّاً بكماً عمياً لا يهتدون، فالنار التى اهتدى بها المنافقون عبارة عن نور القرآن، وسنّة الرسول، حيث كانوا يتشرّفون بحضرة الرسول ويستمعون إلى كلامه وحججه فى بيانه ودلائله فى إرشاده وتلاوته لكتاب الله ، فهم بذلك كمن استوقد ناراً للهداية، فلمّا أضاءت لهم مناهج الرشد ومعالم الحقّ تمرّدوا على الله بنفاقهم، فخرجوا عن كونهم أهلاً للتوفيق والتسديد، فأوكلهم الله سبحانه إلى أنفسهم الأمّارة وأهوائهم الخبيثة، وعمّتهم ظلمات الضلال بسوء اختيارهم.

وعلى هذا ابتدأ سبحانه بذكر المثل بقوله: (مَثَلُهمْ كَمَثلِ الَّذى استوقَد ناراً فلَمّا أَضاءَت ما حوله)وتمّ المثل إلى هنا .

ثمّ ابتدأ بذكر الممثل بقوله: (ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلماتٍ لا يُبصرون).

فإن قلت: فعلى هذا فما هو جواب" لمّا "فى قوله (فلمّا أَضاءَت)؟

(۷۶)

قلت: الجواب محذوف، لأجل الوجازة، وهو قوله" خمدت."

فإن قلت: فعلى هذا فبم يتعلّق قوله: (ذهب الله بنورهم)؟

قلت: هو كلام مستأنف راجع إلى بيان حال الممثل، وتقدير الكلام هكذا: فلَمّا أَضاءَت ما حوله خمدت فبقوا خابطين فى ظلام متحيرين متحسّرين على فوات الضوء، خائبين بعد الكدح من إيقاد النار.

فحال المنافقين كحال هوَلاء، أشعلوا ناراً ليستضيئوا بنورها لكن (ذَهَب الله بنورهم وتَرَكَهُمْ فى ظُلمات لا يُبصرون).

وبكلمة موجزة: ما ذكرنا من الجمل هو المفهوم من الآية، والإيجاز بلا تعقيد من شوَون البلاغة. (۱)

فقوله سبحانه: (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ) بمعنى أنّ ذلك كان نتيجة نفاقهم وتمرّدهم وبالتالى تبدّد قابليتهم للاهتداء بنور الحقّ (فَتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُون) أى فى أهوائهم وسوء اختيارهم يتخبّطون فى ظلمات الضلال، لا يبصرون طريق الحقّ والرشاد.

ترى أنّ التمثيل يحتوى على معانى عالية وكثيرة بعبارات موجزة، ولو حاول القرآن أن يبيّن تلك المعانى عن غير طريق التمثيل يلزم عليه بسط الكلام كما بسطناه، وهذا من فوائد المثل، حيث يوَدى معانى كثيرة بعبارات موجزة.

ثمّ إنّه سبحانه يصفهم بأنّهم لما عطّلوا آذانهم فهم صمّ، وعطّلوا ألسنتهم فهم بكم، وعطّلوا عيونهم فهم عمى، قال: (صُمّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون).

والمراد من التعطيل أنّهم لم يكونوا ينتفعون بهذه الأدوات التى بها تعرف

---

۱ ـ لاحظ الكشاف:۱|۱۵۳.

(۷۷)

الحقائق، فما كانوا يسمعون آيات الله بجدٍّ، ولا ينظرون إلى الدلائل الساطعة للنبوة إلّا من خلال الشك. (۱)

إلى هنا تمّ استعراض حال المنافقين بحال من أوقد ناراً للاستضاءة، ولكن باءت مساعيه بالفشل.

وممّا يدل على أنّ المنافقين آمنوا بالله ورسوله فى بدء الأمر ثمّ طغى عليهم وصف النفاق، قوله سبحانه: (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُون). (۲)

وممّا يدل على أنّ الإسلام نور ينوّر القلوب والأنفس قوله سبحانه: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولئِكَ فى ضَلالٍ مُبِينٍ). (۳)

وأمّا الظلمة التى تحيط بهم بعد النفاق وتجعلهم صمّاً بكماًعمياً، فالمراد ظلمات الضلال التى لا يبصرون فيها طريق الهدى والرشاد، يقول سبحانه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصحَابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُون). (۴)

وبذلك ظهر أنّ تفسير الظلمة التى يستعقبها إطفاء النور بظلمة القبر وحياة البرزخ ومابعدها من مواقف الحساب والجزاء غير سديد، وإن كان هناك ظلمة للمنافق لكنّها من نتائج الظلمة الدنيوية_____.

۱ ـ انظر مجمع البيان:۱|۵۴؛ آلاء الرحمن:۱|۷۳.

۲ ـ المنافقون:۳.

۳ ـ الزمر:۲۲.

۴ ـ البقرة:۲۵۷.

فاستشهاد صاحب المنار على كون المراد هو ظلمة القبر و البرزخ بقوله سبحانه: (يَوْمَ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالمُنافِقاتُ لِلَّذينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِس مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالتَمِسُوا نُوراً...) (۱)ليس بأمر صحيح، والآية ناظرة إلى حياتهم الدنيوية التى يكتنفها الإيمان والنور ، ثمّ تحيط بهم الظلمة والضلالة، ولا نظر للآية لما بعد الموت.

سؤال وإجابة

إنّ مقتضى البلاغة هو الإتيان بصيغة الجمع حفظاً للتطابق بين المشبّه والمشبّه به، مع أنّه سبحانه أفرد المشبّه به (كالذى استوقد ناراً) وجمع المشبّه أعنى قوله: (مثلهم) (ذهب الله بنورهم)، فما هو الوجه؟

أجاب عنه صاحب المنار بقوله: إنّ العرب تستعمل لفظ "الذى "فى الجمع كلفظى "ما "و "مَن "ومنه قوله تعالى: (وَخُضْتُمْ كَالّذِى خَاضُوا) (۲)وإن شاع فى "الذى "الافراد، لأنّ له جمعاً، وقد روعى فى قوله (استوقد) لفظه، وفى قوله (ذهب الله بنورهم) معناه. والفصيح فيه مراعاة التلفظ أوّلاً، ومراعاة المعنى آخراً، والتفنّن فى إرجاع الضمائر ضرب من استعمال البلغاء. (۳)

ولنا مع هذا الكلام وقفة، وهى أنّ ما ذكره مبنى على أنّ قوله سبحانه: (ذَهَبَ الله بنورهِمْ وَتَرَكهم فى ظُلماتٍ لا يُبصرون) فى تتمة المثل، وأجزاء المشبه به، ولكنّك قد عرفت خلافه، وانّ المثل تمّ فى قوله: (فلمّا أضاءت ما

---

۱ ـ الحديد:۱۳.

۲ ـ التوبة:۶۹.

۳ ـ تفسير المنار:۱|۱۶۹.

حوله)، وذلك بحذف جواب "لمّا، "لكونه معلوماً فى الجملة التالية، وهو عبارة عن إخماد ناره فبقى فى الظلام خائفاً متحيّراً.

وإلاّ فلو كان قوله (ذهب الله بنورهم) من أجزاء المشبّه به، وراجعاً إلى مَن استوقد ناراً، يلزم أن تكون الجملة التالية أعنى قوله: (صمّ بكمٌ عُميٌ) كذلك، أى من أوصاف المستوقد، مع أنّها من أوصاف المنافق دون أدنى ريب، ولو أردنا أن نصيغ المشبه والمشبه به

بعبارة مفصّلة، فنقول:

المشبه به: الذى استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله أُطفأت ناره.

والمشبه: المنافقون الذين استضاءوا بنور الإسلام فترة ثمّ ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون، صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون.

وأمّا وجه الافراد، فهو أنّه إذا كان التشبيه بين الأعيان فيلزم المطابقة، لأنّ عين كلّ واحد منهم غير أعيان الآخر. ولذلك إنّما يكون التشبيه بين الأعيان إذا روعى التطابق فى الجمع والإفراد، يقول سبحانه: (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) (۱)، وقوله: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ). (۲)

وأمّا إذا كان التشبيه بين الأفعال فلا يشترطون التطابق لوحدة الفعل من حيث الماهية والخصوصيات، يقال فى المثل: ما أفعالكم كفعل الكلب. أى ما أفعالكم إلّا كفعل الكلب.

وربما يقال: إنّ الموصول "الذى "بمعنى الجمع ، قال سبحانه: (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (۳) (۴)

---

۱ ـ المنافقون:۴.

۲ ـ الحاقة:۷.

۳ ـ الزمر:۳۳.

۴ ـ انظر التبيان فى تفسير القرآن:۱|۸۶.

التمثيل الثانى

التمثيل الثانى

قال سبحانه: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِير). (۱)

تفسير الآيات

الصيّب: المطر، وكلّ نازل من علوّ إلى أسفل، يقال فيه: صاب يصوب، وهو عطف على قوله (كَمَثَلِ الّذى استوقَدَ ناراً)، ولما كان المثل الثانى أيضاً مثلاً للمنافقين، فمقتضى القاعدة أن يقول" وكصيّب "مكان (أو كصيّب) ولكن ربّما يستعمل" أو "بمعنى" و "قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

ويحتمل أن يكون" أو "للتخيير، بأن مَثل المنافقين بموقد النار، أو بمن وقع فى المطر_____.

۱ ـ البقرة:۱۹ـ۲۰.

والرعد: هو الصوت الذى يُسمَع فى السحاب أحياناً عند تجمعه.

والبرق: هو الضوء الذى يلمع فى السحاب غالباً، وربما لمع فى الأفق حيث لا سحاب، وأسباب هذه الظواهر اتحاد شحنات السحاب الموجبة بالسالبة كما تقرر ذلك فى علم الطبيعيات.

والصاعقة: نار عظيمة تنزل أحياناً أثناء المطر والبرق، وسببها تفريغ الشحنات التى فى السحاب بجاذب يجذبها إلى الاَرض.

والاِحاطة بالشىء: الاِحداق به من جميع الجهات.

والخطف: السلب والاَخذ بسرعة، ومنه نهى عن الخطفة بمعنى النهبة.

قوله: (وَإِذا أَظلَم)بمعنى إذا خفت ضوء البرق.

إلى هنا تمّ تفسير مفردات الآيات، فلنرجع إلى بيان حقيقة التمثيل الوارد فى الآية، ليتضح من خلالها حال المنافقين، فانّ حال المشبه يعرف من حال المشبه به، فالمهم هو التعرّف على المشبه به.

والاِمعان فى الآيات يثبت بأنّ التمثيل يبتدأ من قوله (أو كصيّبٍ من السَّماء) وينتهى بقوله: (وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا).

وأمّا قوله: (وَاللهُ محيطٌ بِالكافرين) جملة معترضة جىء بها فى أثناء التمثيل، وقوله بعد انتهاء التمثيل: (وَلَو شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ) يرجع إلى المشبه.

هذا ما يرجع إلى مفردات الآيات وكيفية انسجامها، والمهمّ هو ترسيم ذلك المشهد الرهيب.

فلنفترض أنّ قوماً كانوا يسيرون فى الفلوات وسط أجواء سادها الظلام

(۸۲)

الدامس، فإذا بصيّب من السماء يتساقط عليهم بغزارة ، فيه رعود قاصفة وبروق لامعة تكاد تخطف الاَبصار من شدتها وصواعق مخيفة، فتولاّهم الرعب والفزع والهلع ممّا حدا بهم إلى أن يجعلوا أصابعهم فى آذانهم خشية الموت للحيلولة دون سماع ذلك الصوت المخيف، فعندئذٍ وقفوا حيارى لا يدرون أين يولّون وجوههم، فإذا ببصيص من البرق أضاء لهم الطريق فمشوا فيه هنيئة، فلما استتر ضوء البرق أحاطت بهم الظلمة مرة أُخرى وسكنوا عن المشى.

ونستخلص من هذا المشهد أنّ الهول والرعب والفزع والحيرة قد استولى على هوَلاء القوم لا يدرون ماذا يفعلون، وهذه الحالة برمَّتها تصدق على المنافقين، ويمكن تقريب ذلك ببيانين:

البيان الاَوّل: التطبيق المفرق لكلّ ما جاء من المفردات فى المشبه به، كالصيّب والظلمات والرعد والبرق، على المشبَّه، وقد ذكر المفسرون فى ذلك وجوهاً أفضلها ما ذكره الطبرسى تحت عنوان الوجه الثالث.

وقال: إنّه مثل للاِسلام، لاَنّ فيه الحياة كما فى الغيث الحياة، وشبه ما فيه من الظلمات بما فى إسلامهم من إبطان الكفر، ومافيه من الرعد بما فى الاِسلام من فرض الجهاد وخوف القتل، وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكّهم فى دينهم، وما فيه من البرق بما فى إظهار الاِسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم، وما فيه من الصواعق كما فى الاِسلام من الزواجر بالعقاب فى العاجل والآجل. ويقوى ذلك ما روى عن الحسن (عليه السلام) انّه قال": مثل إسلام المنافق كصيّب هذا وصفه. ("۱)

وربّما يقرّر هذا الوجه بشكل آخر، وهو ما أفاده المحقّق محمد جواد

---

۱ ـ مجمع البيان:۱|۵۷.

(۸۳)

البلاغى (المتوفّى۱۳۵۲هـ) فقال: الاِسلام للناس ونظام اجتماعهم كالمطر الصيّب فيه حياتهم وسعادتهم فى الدارين وزهرة الاَرض بالعدل والصلاح والاَمن وحسن الاجتماع، ولكن معاندة المعاندين للحق وأهله جعلت الاِسلام كالمطر لا يخلو من ظلمات شدائد وحروب ومعاداة من المشركين ورعود قتل وقتال وتهديدات مزعجات لغير الصابرين من ذوى البصائر والذين ارخصوا نفوسهم فى سبيل الله ونيل السعادة، وفيه بروق من النصر وآمال الظفر واغتنام الغنائم وعزّ الانتصار والمنعة والهيبة. فهم إذا سمعوا صواعق الحرب أخذهم الهلع والحذر من القتل وشبهت حالهم فى ذلك بأنّهم (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من)أجل (الصواعق حذر الموت) وخوفاً

من أن تخلع قلوبهم من هول أصواتها، وسفهاً لعقولهم أين يفرون عن الموت وماذا يجديهم حذرهم والله محيط بالكافرين. (۱)

وهذان التقريران يرجعان إلى التطبيق المفرّق كما عرفت.

البيان الثانى: التطبيق المركّب، وهو إنّ الغايهٔ من وراء هذا التمثيل أُمور ثلاثهٔ ترجع إلى بيان حالهٔ المنافقين.

وقبل أن نستوعب البحث عنها نذكر نص كلام الزمخشرى فى هذا الصدد.

قال الزمخشرى: والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطّونه أنّ التمثيلين جميعاً من جملهٔ التمثيلات المركبهٔ دون المفرقهٔ لا يتكلف لواحد واحد شىء يقدر شبهه به وهو القول الفصل والمذهب الجزل. (۲)

إذا عرفت ذلك، فإليك البحث فى الأُمور الثلاثهٔ_____:

۱ ـ آلاء الرحمن:۱|۷۴.

۲ ـ الكشاف:۱|۱۶۲ـ ۱۶۳.

(۸۴)

الأوّل: إحاطهٔ الرعب والهلع بالمنافقين إثر انتشار الإسلام فى الجزيرهٔ العربيهٔ ودخول القبائل فيه وتنامى شوكته، مما أوجد رعباً فى قلوبهم وفزعاً فى نفوسهم المضطربهٔ، ويجدون ذلك بلاءً أحاط بهم كالقوم الذين يصيبهم الصيّب من السماء فيه ظلمات و رعد وبرق وإليه أشار قوله سبحانه: (أو كصيّب من السماء فيه رعد وبرق).

الثانى: انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لمّا كان يخبرهم عن المستقبل المظلم للكافرين والمدبرين عن الإسلام والإيمان خصوصاً بعد الموت صار ذلك كالصاعقهٔ النازلهٔ على روَوسهم فكانوا يهربون من سماع آيات الله ويحذرون من صواعق براهينه الساطعهٔ، مع أنّ هذا هو منتهى الحماقهٔ، لأنّ صمّ الآذان ليس من أسباب الوقايهٔ من أخذ الصاعقهٔ ونزول الموت وإلى ذلك يشير قوله سبحانه: (يَجْعَلُون أَصابعهُمْ فى آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَر المَوت وَالله مُحيطٌ بِالكافِرين).

الثالث: كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعوهم إلى أصل الدين ويتلوا عليهم الآيات البيّنهٔ ويقيم لهم الحجج القيّمهٔ، فعندئذٍ يظهر لهم الحق، فربّما كانوا يعزمون على اتّباعه والسير وراء أفكاره، ولكن هذه الحالهٔ لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما يعودون إلى تقليد الآباء، وظلمهٔ الشهوات والشبهات، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه: (يَكادُ الْبَرقُ يَخْطَفُ أَبْصارهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشوا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا).

إلى هنا تمّ التطبيق المركب لكن فى مقاطع ثلاثهٔ.

ثمّ إنّه سبحانه أعقب التمثيل بقوله: (وَلَو شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأَبْصارِهِم إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدير) أى انّه سبحانه قادر أن يجعلهم صمّاً وعمياًحتى لا ينجع فيهم وعظ واعظ ولا تجدى هدايهٔ هادٍ.

وذهاب سمعهم وأبصارهم نتيجهٔ أعمالهم الطالحهٔ التى توصد باب

(۸۵)

التوفيق أمامهم فيصيرون صمّاً وبكماً وعمياً.

ثمّ إنّ الآيات القرآنيهٔ تفسر تلك الحالهٔ النفسانيهٔ التى كانت تسود المنافقين فى مهجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كانوا فى حيطهٔ وحذر من أن تنزل عليهم سورهٔ تكشف نواياهم، كما يشير إليه قوله سبحانه: (يَحْذَرُ المُنافِقُونَ أَن تُنَزَّل عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُون). (۱)

ومن جانب آخر يشاهدون تنامى قدرهٔ الإسلام وتزايد شوكته على وجه يستطيع أن يقطع دابرهم من أديم الأرض، يقول سبحانه: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرجِفُونَ فِى المَدِينَهِٔ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاّ قَلِيلاً * مَلْعُونينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً). (۲)

هـذا بعض ما يمكن أن يقال حول التمثيل الوارد فى حق المنافقين، ولكن المهمَّ تطبيق هـذا التمثيل على منافقى عصـرنا، فدراسة حال المنـافقين فى عصـرنا هـذا من أهم وظيفـة المفسّـر، فـانّ حقيقـة النفاق واحـدة، ترجع إلى إظهار الإيمان وإبطان الكفر لغايـة الإضـرار بالإسلام والمسلمين، وهم يقيمون فى خوف ورعب، وفى الوقت نفسه صم بكم عمى فهم لا يرجعون_____.

۱ ـ التوبة:۶۴.

۲ ـ الأحزاب: ۶۰ـ۶۱.

التمثيل الثالث

التمثيل الثالث

قـال سـبحانه: (إِنَّ اللهَ لا ـ يَسْـتَحْيِى أَنْ يَضْـرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَـةً فَما فَوْقَها فَأَمّا الّـذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبّهِمْ وَأَمّا الّـذينَ كَفَروا فَيَقُولُونَ مَـاذَا أَرادَ اللهُ بِهـذا مَثَلاً ـ يُضِـلُّ بِهِ كَثيراً وَيَهْـدِى بِهِ كَثِيراً وَمـا يُضِـلُّ بِهِ إِلاّ الْفاسِـقِينَ * الَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْـدَ اللهِ مِنْ بَعْـدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرضِ أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُون). (۱)

تفسير الآيات

الحياء تغيّر وانكسار يعترى الإنسان من تخوّف مايعاب به ويُذمّ، يقال: فلان يستحى أن يفعل كذا، أى أنّ نفسه تنقبض عن فعله.

فعلى هذا فالحياء من مقولة الانفعال، فكيف يمكن نسبته إلى الله سبحانه مع أنّه لا يجوز عليه التغيّر والخوف والذم؟

الجواب: إنّ إسناد الحياء كإسناد الغضب والرضا إلى الله سبحانه، فإنّها جميعاً تسند إلى الله سبحانه متجردة عن آثار المادة، ويوَخذ بنتائجها، وقد اشتهر قولهم": خذوا الغايات واتركوا المبادىَ "فالحياء يصدُّ الإنسان عن إبراز ما

---

۱ ـ البقرة:۲۶ـ۲۷.

يضـمره من الكلام، والله سـبحانه ينفى النتيجة، أى لا يمنعه شـىء عن إبراز ما هو حق، قال سبحانه: (فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِى النَّبِىَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِ مِنَ الحَقّ). (۱)

وأمّا ضرب المثل فقد مرّ الكلام فيه، وقلنا: إنّ لاستخدام كلمة" ضرب المثل "فى التمثيل بالأمثال وجوهاً:

منها: أنّ ضـرب المثل فى الكلام يذكر لحال ما يناسـبها، فيظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً، وهو مأخوذ من ضرب الدراهم، وهو حدوث أثر خاص فيها، كأن ضـرب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره فى قلبه، ولا يظهر التأثير فى النفس بتحقير شىء وتقبيحه إلاّ بتشبيهه بما جرى العرف بتحقيره ونفور النفوس منه. (۲)

البعوضـة: حيوان حقير يشـبه خرطومه خرطوم الفيل، أجوف وله قوّة ماصـة تسـحب الدم، وقد منح الله سـبحانه هذا الحيوان قوة هضـم ودفع كما منحه أُذناً وأجنحة تتناسب تماماً مع وضع معيشته، وتتمتع بحساسية فائقة، فهى تفر بمهارة عجيبة حين شعورها بالخطر، وهى مع صـغرها وضـعفها يعجز عن دفعها كبار الحيوانات. وقد اكتشف علماء الحيوان مؤخراً انّ البعوضة قادرة على تشـخيص فريسـتها من مسافة تقرب عن ۶۵ كيلومتراً.

قـال أمير المؤمنين على (عليه السـلام) فى حقّهـا": كيف ولو اجتمع جميع حيوانهـا، مناطيرهـا وبهائمهـا، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلدة أُممها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت

---

۱ ـ الأحزاب:۵۳.

۲ ـ تفسير المراغى:۱|۷۰.

(۸۸)

كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيّرت عقولها فى علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة حسيرة، عارفة بأنّها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها. ("۱)

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق ۸بشأن خلقة هذا الحيوان الصغير:

"إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين، فأراد الله سبحانه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعته. ("۲)

إلى هنا تمّ تفسير مفردات الآية، وأمّا تفسير الآية برمّتها فقد نقل المفسرون فى سبب نزولها وجهين ٠

الأوّل: أنّ الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين، أعنى قوله: (مثلهم كمَثل الذى استوقد ناراً) وقوله: (أو كصيّب من السماء) قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

الثانى: أنّه سبحانه لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلّم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره، فأنزل الله هذه الآية. (۳)

ولا يخفى ضعف الوجه الأوّل، فإنّ المنافقين لم ينكروا ضرب المثل، وإنّما أنكروا المثلين اللّذين مثّل بهما سبحانه حال المنافقين، وعند ذلك لا يكون التمثيل بالبعوضة جواباً لردّ استنكارهم، لأنّهم أنكروا المثلين اللّذين وردا

---

۱ ـ نهج البلاغة: الخطبة۱۸۶.

۲ ـ مجمع البيان:۱|۶۷.

۳ ـ مجمع البيان: ۱|۶۷.

(۸۹)

فى حقهما، فلا يكون عدم استحيائه سبحانه من التمثيل بالبعوضة رداً على اعتراضهم.

وأمّا الثانى، فقد ورد ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فى مكة المكرمة، لأنّ الأوّل ورد فى سورة الحج، وهى سورة مكية، والآخر ورد فى سورة العنكبوت، وهى أيضاً كذلك. وهذه الآية نزلت فى المدينة، فكيف تكون الآية النازلة فى مهجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جواباً على اعتراض المشركين فى موطنه؟

وعلى كلّ تقدير فالآية بصدد بيان أنّ الملاك فى صحة التمثيل ليس ثقل ما مثّل به أو كبره، فلا التمثيل بالبعوضة عيب ولا التمثيل بالإبل والفيل كمال، وإنّما الكمال أن يكون المثل مبيناً لحقيقة وواقعة غفل عنها المخاطب من دون فرق بين كون الممثل صغيراً أو كبيراً.

وبعبارة أُخرى: إذا كان الغرض التأثير فالبلاغة تقضى بأن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره بحقيرها ولما يراد التنفير بما اعتادت النفوس النفور منها، فالملاك هو كون المثل مفيداً لما يريد المتكلم تحقيقه، من غير فرق بين حقير الأشياء وكبيرها، وهو سبحانه يشير إلى ذلك المعنى بقوله: (إِنَّ الله لا يَسْتَحْيى أن يضربَ مثلاً ما بَعوضة) (بل) فوقها فى الصغر كالجراثيم التى لا ترى إلّا بالمجهر، كما تقول: فلان لا يبالى أن يبخل بنصف درهم فما فوقه أى مما فوقه فى القلة.

ولو أُريد ما فوقه فى الكثرة يقول مكانه" فضلاً عن الدرهم والدرهمين."

فما فى كلام بعض المستشرقين من أنّ الصحيح أن يقول" فما دونه "غير تام. للفرق بين قوله": فما فوقه "وقوله" فضلاً "و الأوّل بقرينة المقام بمعنى فما فوقه فى الصغر والحقارة لا بمعنى " فضلاً."

وربما تفسر الآية بأنّه لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فى

(۹۰)

الكبر، ولكن الاَوّل هو الاَوفق لمقصود المتكلم . كما يقال عند لوم المتجرى: بأنّك تقترف جريمة لاَجل دينار بل فوقه، أى نصف دينار، والمراد من الفوقية هو الفوقية فى الحقارة.

وقد أورد الزمخشرى على نفسه سوَالاً، وهو: كيف يضرب الله المثل لما دون البعوضة وهى فى النهاية فى الصغر؟ ثمّ أجاب:

إنّ جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات، وقد ضربه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلاً للدنيا، وفى خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلاّ تحركها فإذا سكنت، فالسكون يواريها، ثمّ إذا لوّحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة، وتفاصيل خلقتها، ويبصر بصرها، ويطلع على ضميرها، ولعل فى خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذى خلق الاَزواج كلّها مما تنبت الاَرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون.(۱)

وقال البيضاوى: لما كانت الآيات السابقة متضمنة لاَنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه، وما هو الحق له والشرط فيه، وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر، والخسة والشرف، دون الممثل، فانّ التمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه وإبرازه فى صورة المشاهد المحسوس، ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه، فانّ المعنى الصرف إنّما يدركه العقل مع منازعة من الوهم، لاَنّ من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة، ولذلك شاعت الاَمثال فى الكتب الاِلهية وفشت فى عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء، فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم

---

۱ ـ الكشاف:۱|۲۰۵ـ۲۰۶.

(۹۱)

بالعظيم، وإن كان المثل أعظم من كلّ عظيم، كما مثل فى الاِنجيل على الصدور بالنخالة، والقلوب القاسية، بالحصاة، ومخاطبة السفهاء، بإثارة الزنابير، وجاء فى كلام العرب: أسمع من قراد، وأطيش من فراشة، وأعز من مخ البعوض. (۱)

وربّما يتصور أنّ التمثيل بالاَشياء الحقيرة الخسيسة لا يليق بكلام الفصحاء، وعلى هذا فالقرآن المشتمل على النمل والذباب والعنكبوت والنحل لا يكون فصيحاً فضلاً عن كونه معجزاً.

وأجاب عنه صدر المتألهين الشيرازى (المتوفّى عام ۱۰۵۰هـ)بقوله: إنّ الحقارة لا تنافى التمثيل بها، إذا شرط فى المثال أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التى يستدعى التمثيل به كالعظم والحقارة، والشرف والخساسة، لا على وفق من يوقع التمثيل ويضرب المثال، لاَنّ الغرض الاَصلى منه إيضاح المعنى المعقول، وإزالة الخفاء عند إبرازه فى صورة المشاهد المحسوس، ليساعد فيه الوهم العقل ولا يزاحمه، فانّ العقل الاِنسانى مادام تعلقه بهذه القوى الحسيّة لا يمكنه إدراك روح المعنى مجرّداًعن مزاحمة الوهم ومحاكاته، لاَنّ من طبعه كالشياطين الدعابة فى التخييل وعدم الثبات على صورة.

ولذلك شاعت الاَمثال فى الكتب الاِلهية، وفشت فى عبارات الفصحاء من العرب وغيرهم، وكثرت فى إشارات الحكماء ومرموزاتهم، وصحف الاَوائل ومسفوراتهم، تتميماً للتخيّل بالحس، فهناك يضاعف فى التمثيل، حيث يمثل أوّلاً المعقول بالمتخيل، ثمّ يمثل المتخيل بالمرسوم المحسوس المهندس المشكل. (۲)

ثمّ إنّه سبحانه يذكر أنّ الناس أمام الاَمثال على قسمين_____:

۱ ـ تفسير البيضاوى:۱|۴۳.

۲ ـ تفسير القرآن الكريم:۲|۱۹۲ـ۱۹۳.

(۹۲)

أ: المؤمنون: وهم الذين قال سبحانه فى حقّهم: (فَأَمّا الّذين آمَنُوا فَيَعْلَمُون انّهُ الحَقُّ مِنْ رَبّهِمْ).

ب: الكافرون: وهم الذين قال سبحانه فى حقّهم: (وَأَمّا الّذين كَفَروا فَيَقُولُونَ ماذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً). والظاهر أنّ قولهم (أراد اللّهُ) كان على سبيل الاستهزاء بادّعاء الرسول أنّ المثل وحى منزل من الله ، وإلاّ فانّ الكافرين والمنافقين كانوا ينكرون الوحى أصلاً.

ولا غرو فى أن يكون شىء سبب الهداية لطائفة وسبب الضلال لطائفة أُخرى، وما هذا إلاّ لاَجل اختلاف القابليات، فمن استعد لقبول الحقّ والحقيقة فتصبح الآيات الإلهية سبب الهداية، وأمّا الطائفة الاُخرى المعاندون الذين صمّوا مسامعهم عن سماع كلمة الحق وآياته فينكرون الآيات ويكفرون بذلك.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ قوله سبحانه: (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلاّ الفاسقين) من كلامه سبحانه، ولا صلة له بكلام المنكرين، بل تم كلامه بقوله: (بها مثلاً) وهو انّ الاَمثال توَثر فى قوم دون قوم.

ثمّ إنّه يعلّل إضلال غير المؤمنين بفسقهم ويقول: (وَما يُضِلُّ بِهِ إلاّ الفاسقين)، والفسق: عبارة عن خروج النواة من التمر، وفى الاصطلاح: من خرج عن طاعة الله ، سواء أكان مسلما متجرياً أو كافراً فاسقاً.

وقد أطنب المفسرون الكلام فى مفاد الجملة الاَخيرة أعنى: (يُضِلُّ به كثيراً وَيَهْدى بِهِ كَثيراً) فربما يتوهم أنّ الآية بصدد الإشارة إلى الجبر، فحاولوا تفسير الآية بشكل يتلاءم مع الاختيار، وقد عرفت أنّ الحقّ هو أنّ الآية بصدد بيان أنّ المواعظ الشافية والكلمات الحِكَمية لها تأثير معاكس فيوَثر فى القلوب المستعدة تأثيراً إيجابياً وفى العقول المنتكسة تأثيراً سلبياً.

(۹۳)

هذا هو تفسير الآية .

وربّما يحتمل أنّ الآية ليست بصدد بيان ضرب المثل بالبعوضة كضربه بالعنكبوت والذباب، بل الآية خارجة عن نطاق ضرب المثل بالمعنى المصطلح، وإنّما الآية بصدد بيان قدرته وعظمته وصفاته الجمالية و الجلالية، والآية بصدد بيان أنّ الله سبحانه لا يستحيى أن يستدل على قدرته وكماله وجماله بخلق من مخلوقاته سواء أكان كبيراً وعظيماً كالسماوات والاَرض، أو صغيراً و حقيراً كالبعوضة والذباب، فمعنى ضرب المثل هو وصفه سبحانه بصفات الجلال أو الكمال.

ويدل على ذلك أنّه سبحانه استدل على جلاله وكماله بخلق السماوات والاَرض وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الّذِى خَلقَكُمْ وَالّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الّذى جَعَلَ لَكُمُ الاَرضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بناءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ). (۱)

يلاحظ على تلك النظرية بأمرين:

أوّلاً: لو كان المراد من ضرب المثل وصفه سبحانه بالقدرة العظيمة لكان اللازم أن يأتى بالآية بعد هاتين الآيتين مع أنّه فصل بينهما بآيات ثلاث تركّز على إعجاز القرآن و التحدّى به، ثمّ التركيز على الجنة وثمارها كما هو معلوم لمن راجع المصحف الكريم.

وثانياً: انّ القرآن يفسر بعضه بعضاً، فقد جاء قوله: (فَأَمّا الّذينَ آمنوا فيعلمون انّه الحق من ربّهم) فى سورة الرعد بعد تشبيه الحق و الباطل بمثل رائع

---

۱ ـ البقرة:۲۱ـ ۲۲.

(۹۴)

يأتى البحث عنه إن شاء الله.

قال سبحانه: (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فسالَتْ أَودِيَةٌ بِقَدَرِها...) إلى أن قال: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الاَمثالَ) ثمّ قال: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ انّمَا أُنزل إِلَيكَ مِن ربّكَ الحقُّ كَمَن هو أعمى إِنّما يَتَذَكّرُ أُولُوا الالباب * الّذين يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ ولاَ يَنْقُضُونَ المِيثاقَ).(۱)

تجد أنّ الآيات فى سورتى البقرة والرعد كسبيكة واحدة يفسر بعضها البعض.

ففى سورة البقرة ذكر ضرب المثل بالبعوضة، كما ضرب فى سورة الرعد مثلاً للحق والباطل.

ففى سورة البقرة قال سبحانه: (وَأَمّا الّذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم).

وفى سورة الرعد قال سبحانه: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أنّ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبّكَ الحَقُّ كمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الاَلباب).

وفى سورة البقرة قال: (وَما يُضِلُّ بِهِ إِلاّ الفاسِقينَ)، وفسَّره بقوله: (الّذين ينقضون عهد الله من بَعْدِ ميثاقِهِ...) الخ.

وفى سورة الرعد، فسّر أُولى الاَلباب بقوله: (الّذينَ يُوفُونَ بعَهدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ المِيثاق). (۲)

فبمقارنة هذه الآيات يعلم أنّ المراد من ضرب المثل هو المعنى المعروف أى التمثيل بالبعوضة لتحقير معبوداتهم أو ما يشبه ذلك.

نعم ما نقلناه عن الإمام الصادق (عليه السلام) ربّما يؤيد ذلك الوجه كما مرّ ،فتدبّر_____.

۱ ـ الرعد: ۱۷ ـ ۲۰.

۲ ـ الرعد:۲۰.

التمثيل الرابع

التمثيل الرابع

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَانَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الاَنْهارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُون). (۱)

تفسير الآية

جاءت الآية بعد قصة البقرة التى ذبحها بنو إسرائيل، وقد كانوا يجادلون موسى (عليه السلام) بغية التملّص من ذبحها، ولكن قاموا بذبحها و ما كادوا يفعلون.

وكان ذبح البقرة لاَجل تحديد هوية القاتل الذى قام بقتل ابن عمه غيلة واتهم بقتله شخصاً آخر من بنى إسرائيل، فصاروا يتدارأون ويدفعون عن أنفسهم هذه التهمة، فرجعوا فى أمرهم إلى موسى (عليه السلام) ، وشاء الله أن يظهر حقيقة الاَمر بنحو معجز، فقال لهم موسى (عليه السلام): (انّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، فلمّا ذبحوها ـ بعد مجادلات طويلة ـ أمر سبحانه أن يضربوا المقتول ببعض البقرة حتى يحيى المقتول ويعين هوية القاتل.

قال سبحانه: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يحيى اللهُ المَوتى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ

---

۱ ـ البقرة:۷۴.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون). (۱)

ومع روَية هذه المعجزة الكبرى التى كان من المفروض أن تزيد فى إيمانهم وانصياعهم لنبيهم موسى (عليه السلام)، لكن ـ و للاَسف ـ قست قلوبهم بنحو يحكى سبحانه شدة تلك القساوة و يقول:

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كالحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة).

وبما أنّ الحجر هو المعروف بالصلابة والقساوة شبّه سبحانه قلوبهم بالحجارة وقال: إنَّ قُلوبهُمْ (كالحِجارَةِ أَوْ أَشَدّ قَسوَة) أى: بل أشدّ قسوة، فكلمة" أو "موضوعة مكان بل.

ثمّ إنّ القلوب إمّا بمعنى النفوس الناطقة، فعندئذ تكون نسبة القساوة إلى الروح نسبة حقيقية. أو انّ المراد منها هو العضو المودع فى الجهة اليسرى من الصدر الذى ليس له دور سوى تصفية الدم وإرساله إلى سائر الاَعضاء، وعندئذٍ تكون النسبة مجازية، وإنّما نسبت القساوة إلى ذلك العضو ، لاَنّه مظهر من مظاهر الحياة الاِنسانية، وأوّل عضو يتأثر بالاُمور النفسانية كالفرح والغضب والحزن والجزع، فلامنافاة فى أن يكون المدرك هو النفس الناطقة، ومع ذلك يصحّ نسبة الاِدراك إلى القلب.

ثمّ إنّه سبحانه وصف قلوبهم بأنّها أشدّ قسوة من الحجارة، وعلّل ذلك بأُمور ثلاثة:

الاَوّل: (وَانّ مِنَ الحِجارة لَما يَتَفَجَّرُ مِنْه الاَنْهار).

الثانى: (وَانَّ مِنْها لما يَشَّقّق فيَخرج مِنْهُ الماء_____).

۱ ـ البقرة:۷۳.

الثالث: (وَإنّ مِنْها لما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله).

أمّا الاَوّل: أى تفجّر الاَنهار من الحجارة، كالعيون الجارية من الجبال الصخرية.

وأمّا الثانى: كالعيون الحادثة عند الزلازل المستتبعة للانشقاق والانفجار المستعقب لجريان الاَنهار.

وأمّا الثالث: كهبوط الحجارة من الجبال العالية إلى الاَودية المنخفضة من خشية الله .

ولا مانع من أن يكون للهبوط علة طبيعية كالصواعق التى تهبط بها الصخور وعلة معنوية التى كشف عنها الوحى، وهى الهبوط من خشية الله .

وعلى ضوء ذلك فالحجارة على الرغم من صلابتها تتأثر طبقاً للعوامل السالفة الذكر، وأمّا قلوب بنى إسرائيل فهى صلبة لا تنفعل أمام وحيه سبحانه وبيان رسوله، فلا تفزع نفوسهم ولا تخشع لاَمره ونهيه.

ومن عجيب الاَمر أنّ بنى إسرائيل رأوا بأُمّ أعينهم ليونة الحجارة حيث استسقى موسى لقومه، فأمر بأن يضرب بعصاه الحجر ، فلمّا ضربه انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد الاَسباط .

ثمّ إنّ ظاهر الآية نسبة الشعور إلى الحجارة حيث إنّها تهبط من خشية الله ، وهذه حقيقة علمية كشف عنها الوحى وإن لم يصل إليها الاِنسان بأدواته الحسية.

يقول صدر المتألهين: إنّ الكون بجميع أجزائه يسّبح لله ويحمده ويثنى عليه تعالى عن شعور، فلكلّ موجود من هذه الموجودات نصيب من الشعور والاِدراك بقدر ما يملك من الوجود من نصيب.

وعلى هذا الشعور تسّبح الموجودات كلّها، خالقها وبارئها وربّها سبحانه وتنزّهه عن كلّ نقص وعيب.

ثمّ يقول: إنّ العلم والشعور والاِدراك كلّ ذلك متحقّق فى جميع مراتب الوجود، ابتداء من" واجب الوجود "إلى النباتات والجمادات، وانّ لكلّ موجود يتحلّى بالوجود سهماً من الصفات العامة كالعلم والشعور والحياة. و...و... ولا يخلو موجود من ذلك أبداً، غاية ما فى الاَمر أنّ هذه الصفات قد تخفى علينا ـ بعض الاَحيان ـ لضعفها وضآلتها.

على أنّ موجودات الكون كلما ابتعدت عن المادة والمادية، واقتربت إلى التجرد، أو صارت مجردة بالفعل ازدادت فيها هذه الصفات قوة وشدة ووضوحاً، وكلّما ازدادت اقتراباً من المادة والمادية، وتعمّقت فيها، ضعفت فيها هذه الصفات، وضوَلت حتى تكاد تغيب فيها بالمرّة، كأنّها تغدو خلوة من العلم والشعور والاِدراك، ولكنّها ليست كذلك ـ كما نتوهم ـ إنّما بلغ فيها ذلك من الضعف، والضآلة بحيث لا يمكن إدراكها بسهولة وسرعة. (۱)

وليست هذه الآية هى الفريدة فى بابها، بل هناك آيات توَكد على جريان الشعور فى أجزاء العالم من الذرة إلى المجرّة.

يقول سبحانه: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً). (۲)

وبما أنّنا بسطنا الكلام فى سريان الشعور إلى أجزاء العالم برمّته فى الجزء الاَوّل من هذه الموسوعة، فلنقتصر على ذلك، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى محلّه_____.

۱ ـ الاَسفار:۱|۱۱۸ و ۶|۱۳۹، ۱۴۰.

۲ ـ الإسراء:۴۴.

(۹۹)

التمثيل الخامس

التمثيل الخامس (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاّ دُعاءً وَنِداءً صُمّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ). (۱)

تفسير الآية

النعيق: صوت الراعى لغنمه زجراً، يقال: نعق الراعى بالغنم، ينعق نعيقاً، إذا صاح بها زجراً.

والنداء: مصدر نادى ينادى مناداة، وهو أخص من الدعاء، ففيه الجهر بالصوت ونحوه، بخلاف الدعاء.

وفى تفسير الآية وجوه:

الاَوّل: انّ الآية بصدد تشبيه الكافرين بالناعق الذى ينعق بالغنم، ولا يصح التشبيه عندئذٍ إلاّ إذا كان الناعق أصم، ويكون معنى الآية: انّ الذين كفروا الذين لا يتفكرون فى الدعوة الاِلهية، كمثل الاَصم الذى ينعق بما لا يسمع نفسه ولا يميز من مداليل نعاقه معنى معقولاً إلاّ دعاءً ونداءً وصوتاً بلا معنى.

وجه التشبيه: انّ الناعق أصم كما أنّ هوَلاء الكافرين صم بكم عمى لا يعقلون_____.

۱ ـ البقرة:۱۷۱.

(۱۰۰)

وفى هذا المعنى المشبه هو الكافرون الذين لا يفهمون من الدعوة النبوية إلاّ صوتاً ودعوة فارغة من المعنى.

والمشبه به: هو الناعق الاَصم الذى ينعق بالغنم، ولكن لا يسمع من نعاقه إلاّ دعاءً ونداءً.

وهذا الوجه وإن كان ينطبق على ظاهر الآية، ولكنّه بعيد من حيث المعنى، إذ لو كان الهدف هو التركيز على أنّ الكافرين صم بكم عمى لا يعقلون لكفى تشبيههم بالحيوان الذى هو أيضاً كذلك، فما هو الوجه لتشبيههم بإنسان عاقل أخذ منه سمعه لا يسمع من نعاقه إلاّ صوتاً ونداءً؟

الثانى: انّ المشبه هو النبى (صلى الله علثيه وآله وسلم)، والمشبه به هو الناعق للغنم، والمراد ومثلك أيها النبى فى دعاء الذين كفروا كمثل الذى ينعق فى البهائم التى لا تسمع من نعيقه إلاّ دعاءً ونداءً ما، فتنزجر بمجرد قرع الصوت سمعها من غير ان تعقل شيئاً، فهم ـ الكافرون ـ صمّ لا يسمعون كلاماً يفيدهم، وبكم لا يتكلمون بما ينفع، وعمى لا يبصرون، فهم لا يعقلون شيئاً، لاَنّ الطرق المؤَدية إلى التعقل موصدة عليهم.

ومن ذلك ظهر أنّ فى الكلام قلباً أو عناية أُخرى يعود إليه، فانّ المثل بالذى ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً مثل الذى يدعوهم إلى الهدى لا مثل الكافرين المدعوين إلى الهدى، إلاّ انّ الاَوصاف الثلاثة التى استنتجت واستخرجت من المثل وذكرت بعده، وهى قوله: (صمّ بكمٌ عميٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُون) ، لما كانت أوصافاً للذين كفروا لا لمن يدعوهم إلى الحقّ استوجب ذلك أن ينسب المثل إلى الذين كفروا لا إلى رسول الله تعالى فأنتج ما أشبه القلب. (۱_____)

۱ ـ الميزان:۱|۴۲۰.

(۱۰۱)

ثمّ إنّ صاحب المنار فسّر الآيـة على الوجه الاَوّل وقال: (مثل الـذين كفروا) أى صـفتهم فى تقليدهم لآبائهم وروَسائهم كمثل الذى لا يسـمع إلاّ دعاء ونداءً، أى كصفة الراعى للبهائم السائمة ينعق ويصيح بها فى سوقها إلى المرعى ودعوتها إلى الماء وجزها عن الحمى، فتجيب دعوته وتنزجر بزجره بمـا ألفت من نعـاقه بالتكرار. شبّه حالهم بحال الغنم مع الراعى يـدعوها فتقبل، ويزجرها فتنزجر، وهى لا تعقل مما يقول شيئاً، ولا تفهم له معنى وإنّما تسمع أصواتاً تقبل لبعضها وتدبر للآخر بالتعويد، ولا تعقل سبباً للاِقبال ولا للاِدبار. (۱)

يلاحظ عليه: أنّ الآيـة بصـدد ذمهم وانّهم لا يعتنقون الاِيمان ولا يمتثلون الاَوامر الاِلهيـة ونواهيها، وعلى ذلك تصـبح الآيـة نوع مـدح لهم، لاَنّهم لو كانوا كالبهائم السائمـة يجيبون دعوة النبى كقبولها دعوة الراعى وينزجرون بزجره(صـلى الله عليه وآله وسـلم) كانتهائها عن نهى الراعى، فيكون ذلك على خلاف المقصود، فانّ المقصود بشـهادة قوله (صم بكم عمى)انّهم لا يسـمعون كلام النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم)ولا ينطقون بالحقّ ولا ينظرون إلى آيات الله وانّهم فى واد والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى واد آخر.

وأين هم من البهائم السائمة التى تقع تحت يد الراعى فتنتهى بنهيه_____؟!

۱ ـ تفسير المنار:۲|۹۳ـ ۹۴.

(۱۰۲)

التمثيل السادس

التمثيل السادس (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَـدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْساءُ وَالضَّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالّذين آمنوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ). (۱)

نزلت الآية عندما حوصر المسلمون واشتد الخوف والفزع بهم فى غزوة الاَحزاب فجاءت الآية لتثبّت قلوبهم وتعدهم بالنصر.

وقيل: إنّ عبـد الله بن أُبى قال للمسـلمين عنـد فشـلهم فى غزوة أحـد: إلى متى تتعرضون للقتل، ولو كان محمّـد نبياً لما واجهتم الاَسـر والتقتيل؟، فنزلت الآية.

تفسير الآية

وردت لفظة" أم "للاِضراب عما سبق و تتضمن معنى الاستفهام، و المعنى" بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة."

و (البَأساء): هى الشدة المتوجهة إلى الاِنسان من خارج نفسه كالمال والجاه والاَهل.

و"الضرّاء: "هى الشدة التى تصيب نفس الاِنسان كالجرح و القتل، وقيل:

---

۱ ـ البقرة:۲۱۴.

(۱۰۳)

انّ" البأساء"نقيض" النعماء"، "الضـراء "نقيض" السـراء ، "و"الزلزلـة "شـدة الحركـة، و الزلزال البليـة المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل، وأصله من قولك زلّ الشيء عن مكانه، ضوعف لفظه بمضاعف معناه، نحو صرى وصرصر، وصلى وصلصل، فإذا قلت زلزلته، فمعناه كرّرت تحريكه عن مكانه.

وقـد جـاء مـا يقرب من مضـمون الآيـة فى آيات أُخرى، منها قال سـبحانه: (وَالصّابِرينَ فِى البَأْساءِ وَالضَّرّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولئِكَ الّذينَ صَدَقُوا وَأُوْلئِكَ هُمُ المُتَّقُون). (۱)

وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُون). (۲)

وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَبِىٍ إِلاّ أَخَذْنا أَهْلَهَا بِالبَأْساءِ والضَّرّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرّعُون). (۳)

تدلُّ مجموع هذه الآيات على دوام الابتلاء والامتحان فى جميع الاُمم خصوصاً فى الاُمة الاِسلامية.

ثمّ إنّ الهدف من امتحان أبناء البشر هو تحصيل العلم بكفاءة الممتحن، لكنّه فيه سبحانه يستهدف إلى إخراج ما بالقوة من الكمال إلى الفعلية مثلاً ـ فانّ إبراهيم (عليه السلام) كان يتمتع بموهبة التفانى فى الله و بذل ما يملك فى سبيله غير انّه لم تكن لها ظهور و بروز، فلما وقع فى بوتقة الامتحان ظهرت تلك الموهبة إلى الوجود بعد ما كانت بالقوة_____.

۱ ـ البقرة:۱۷۷.

۲ ـ الاَنعام:۴۲.

۳ ـ الاَعراف:۹۴.

(۱۰۴)

وما ذكرنا هو المستفاد من الآيات وقد صرح به الاِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى بعض خطبه: قال:

"لا يقولنّ أحدكم: اللّهمّ إنّى أعوذ بك من الفتنة، لاَنّه ليس أحد إلاّ و هو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن، فانّ الله سبحانه يقول: (وَاعْلَمُوا أنّما أَموالكُمْ وَأَولادكُمْ فِتْنَة) ومعنى ذلك انّه يختبرهم بالاَموال والاَولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضى بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الاَفعال التى بها يُستحق الثواب والعقاب. ("۱)

إلى هنا تبين معنى مفردات الآية وسبب نزولها والآيات التى وردت فى هذا الصدد فى حقّ سائر الاُمم.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الآية.

يقول سبحانه: إنّ الابتلاء بالبأساء والضراء سنة إلهية جارية فى الاُمم كافة ولا تختص بالاُمة الاِسلامية، فالتمحيص وتمييز المؤمن الصابر عن غير الصابر رهن الابتلاء. فلا يتمحض إيمان المسلم إلاّ إذا غربل بغربلة الامتحان ليخرج نقياً.ولا يترسخ الاِيمان فى قلبه إلاّ من خلال الصمود والثبات أمام أعاصير الفتن الهوجاء.

وكأنّ الآية تسلية لنبيه وأصحابه مما نالهم من المشركين وأمثالهم، لاَنّ سماع أخبار الاُمم الماضية يسهّل الخطب عليهم، وانّ البلية لا تختص بهم بل تعم غيرهم أيضاً، ولذلك يقول: (أَمْ حَسِبْتُمْ)أى أظننتم وخلتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة (ولمّا يَأْتِكُمْ مَثلُ الّذين خَلوا مِنْ قَبْلِكُم)، أى أن تدخلوا الجنة ولما تبتلوا وتمتحنوا بمثل ما ابتليت به الاُمم السالفة وامتحنوا به. فعليكم بالصبر والثبات كما صبر هؤلاء وثبتوا_____.

۱ ـ نهج البلاغة: قسم الحكم: الحكمة ۹۳.

(۱۰۵)

وعلى ضوء هذا فالمثل بمعنى الوصف ـ وقد تقدم منّا القول ـ بأنّ من معانى المثل هو الوصف. فقوله: (وَلَما يَأْتِكُم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضراء)، أى "لمّا يأتكم وصف الذين خلوا من قبلكم "فلا يدخلون حظيرة الاِيمان الكامل إلاّ أن يكون لهم وصف مثل وصف الذين واجهوا المصائب والفتن بصبر وثبات وعانوا الكثير من القلق والاضطراب، كما قال تعالى فى حقّ المؤمنين: (وَزلزلوا زِلزالاً شَديداً) ففى خضّم هذه الفتنة التى تنفد فيها طاقات البشر ، فإذا بالرحمة تنزل عليهم من خلال دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصالح المؤمنين.

كما قال سبحانه: (وَزلزلوا حتى يقول الرسول والّذين آمنوا معه متى نصر الله)والجملة ليست إلاّ طلب دعاء للنصر الذى وعد الله به رسله والمؤمنين بهم واستدعاءً له، كما قال تعالى: (وَلَقدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُون) (۱)، وقال تعالى: (كَتَبَ اللهُ لاَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلى). (۲)

يقول الزمخشرى: ومعناه طلب الصبر وتمنّيه واستطالة زمان الشدة، وفى هذه الغاية دليل على تناهى الاَمر فى الشدة، وتماديه فى

العظم... فإذا لم يبق للرسل صبر حتى ضجّوا، كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح ورائها.

وعند ذلك يخاطبون بقوله سبحانه: (ألا إنّ نصر الله قريب) أى يقال لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر. (۳)

ثمّ إنّ القراءة المعروفة هى الرفع فى قوله: (حَتى يَقول الرسول)، وعند ذلك تكون الجملة لحكاية حال الأُمم الماضية . وقرئ بنصب "يقول "و على

---

۱ ـ الصافات:۱۷۱ـ۱۷۲.

۲ ـ المجادلة:۲۱.

۳ ـ الكشاف:۱| ۲۷۰فى تفسير الآية.

(۱۰۶)

هذا تكون الجملة فى محل الغاية لما سبقها وهو قوله (مسّتهم البأساء والضراء) و (زلزلوا) ولعل القراءة الأُولى أفضل لبعد كون الجملة غاية لمس البأساء والضراء والزلزال.

وقد تبين ممّا ذكرنا أنّ المثل بمعنى التمثيل والتشبيه، فتشبيه حال الأُمة الإسلامية بالأُمم السابقة فى أنّهم يعمّهم البأساء والضراء والزلزال، فإذا قرب نفاد طاقاتهم وصمودهم فى المعارك يدعو الرسول ومن معه من المؤمنين لهم بالنصر والغلبة والنجاح.

ثمّ إنّ بعض الكتّاب ممن كتب فى أمثال القرآن جعل الآيات الثلاث التالية من الأمثال القرآنية. (۱)

أ: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِى حاجَّ إِبْراهيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهيمُ رَبّى الّذى يُحْيى وَيُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيى وَأُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الّذِى كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَومَ الظّالِمين).(۲)

ب: (أَوْ كَالّذِى مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِىَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنّى يُحْيى هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللهُ مائَةَ عام ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوماً أَوْ بَعْضَ يَوْم قالَ بَلْ لَبِثْتَ مائَةَ عام فَانْظُر إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُر إِلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ وَانْظُرْ إِلى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ). (۳_____)

۱ ـ الدكتور محمد حسين على الصغير: الصورة الفنية فى المثل القرآنى:۱۴۴؛و الدكتور إسماعيل إسماعيلى: تفسير أمثال القرآن:۱۹۱.

۲ ـ البقرة: ۲۵۸.

۳ ـ البقرة:۲۵۹.

(۱۰۷)

ج: (وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). (۱)

ولا يخفى ما فيها من الضعف.

أمّا الآية الأُولى فلأنّ المراد من التمثيل هو التشبيه الذى يصور فيه غالباً غير المحسوس بالمحسوس ويقرّب المعنى إلى ذهن المخاطب، ولكن التشبيه فى الآية الأُولى الذى قام به مناظر إبراهيم كان تشبيهاً غير صحيح، وذلك لأنّه لمّا وصف إبراهيم ربّه بأنّه يحيى ويميت أراد منه من يضفى الحياة على الجنين ويقبضه عندما يَطعن فى السن، ولكن المناظر فسّره بوجه أعم وقال: أنا أيضاً أُحيى وأُميت، فكان إحياؤه بإطلاق سراح من كُتب عليه القتل، وقتل من شاء من الأحياء، مع الفرق الشاسع بين الإحياء والإماتة فى كلام الخليل وكلام المناظر، فلم يكن هناك أى تشبيه بل مغالطة واضحة فيه.

وأمّا الآية الثانية، فلم يكن هناك أى تشبيه أيضاً، لأنّه يشترط فى التمثيل الاختلاف بين المشبه و المشبه به اختلافاً نوعياً، كتشبيه الرجل الشجاع بالأسد ومُحمرَّ الشقيق بأعلام الياقوت، و أمّا الآية المباركة فانّما هى من قبيل إيجاد مِثْل للمشبه، فالرجل لما مرّ على

القريـة الخاوية على عروشـها و قد شاهد بأنّه باد أهلها ورأى عظاماً فى طريقها إلى البِلاء فقال: (كيف يحيى هذه الله بعد موتها) فأماته الله سبحانه مائة عام ثم أحياه كما هو ظاهر الآية، وعلى ذلك فأوجد مِثْلاً للمشبه مع الوحدة النوعية وإنّما الاختلاف فى الصنف، وقد عرفت لزوم وجود التباين النوعى بين المشبّه و المشبّه به_____.

۱ ـ البقرة:۲۶۰.

(۱۰۸)

وأمّا الآيـة الثالثة، فمفادها هو أنّ إبراهيم كان مؤمناً بقدرته على إحياء الموتى ولكن طلب الاِحياء ليراه بعينه، لاَنّ للعيان أثراً كبيراً فى الاطمئنان ورسوخ العلم فى القلب، فطلب الروَيـة ليطمئن قلبه ويزداد يقينه، فخاطبه سبحانه بقوله: (فَخُذْ أَربَعة من الطّير فصـرهنّ إليك)، أى أملهنّ وأجمعهنّ وضـمهنّ إليـك. (ثُمّ اجعـل عَلى كُـلّ جَبـل مِنهُنَّ جزءاً) هـذا دليل على أنّه سبق الاَمر بقطعهنّ وذبحهنّ. (ثمّ ادعُهُنَّ يأتينك سعياً)، ولم يذكر فى الآية قيام إبراهيم بهذه الاَعمال استغناء عنه بالقرائن.

هـذا هو مفهوم الآيـة وأمّـا انّهـا ليست مَثَلاً، فلعـدم توفر شـرائط المثَل من المشـبه والمشـبه به، وإنّما هو من قبيل إيجاد الفرد من الاَمر الكلى أى إحياء الموتى سواء أكان إنساناً أم لا.

فالاَولى عـدّ هـذه الآيات من القصـص التى حكاها القرآن الكريم للعبرة والعظـة لكن لا فى ثوب المثل. فلننتقل إلى التمثيل السابع فى سورة البقرة.

التمثيل السابع

التمثيل السابع (مَثَلُ الّـذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فى سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَـبْعَ سَـنَابِلَ فِى كُلّ سُـنْبُلَةٍ مائَـةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم *الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فى سَبِيلِ اللهِ ثُمّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا منّاً وَلا أذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون * قَولٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذىً وَاللهُ غَنِىّ حَليم). (۱)

تفسير الآيات

وعد سبحانه فى غير واحد من الآيات بالجزاء المضاعف، قال سبحانه: (مَنْ ذَا الّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وإليهِ تُرْجَعُون). (۲)

ولاَجل تقريب هذا الاَمر أتى بالتمثيل الآتى وهو:

أنّ مثل الاِنفاق فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت ساقاً انشعب سبعة شعب خرج من كلّ شعبة سنبلة فيها مائة حبة فصارت الحبة سبعمائة حبة،بمضاعفة الله لها، ولا يخفى أنّ هذا التمثيل أبلغ فى النفوس من ذكر عدد السبعة، فإنّ فى

---

۱ ـ البقرة:۲۶۱ـ ۲۶۳.

۲ ـ البقرة:۲۴۵.

(۱۱۰)

هذه إشارة إلى أنّ الاَعمال الصالحة يمليها الله عزّ وجلّ لاَصحابها كما يملى لمن بذر فى الاَرض الطيبة.

وظاهر الآية أنّ المشبه هو المنفق، والمشبه به هو الحبة المتبدلة إلى سبعمائة حبة، ولكن التنزيل فى الواقع بين أحد الاَمرين:

أ: تشبيه المنفق بزارع الحبة.

ب: تشبيه الاِنفاق بالحبة المزروعة.

ففى الآية أحد التقديرين.

ثمّ إنّ ما ذكره القرآن من التمثيل ليس أمراً وهمياً وفرضاً خيالياً بل هو أمر ممكن واقع، بل ربما يتجاوز هذا العدد، فقد حكى لى بعض الزُّرّاع أنّه جنى من ساق واحد ذات سنابل متعددة تسعمائة حبة، ولا غرو فى ذلك فانّه سبحانه هو القابض والباسط.

ثمّ إنّه سبحانه فرض على المنفق فى سبيل الله الطالب رضاه ومغفرته أن لا يتبع ما أنفقه بالمنّ والاَذى.

أمّا المنُّ، فهو أن يتطاول المعطى على من أعطاه بأن يقول": ألم أعطك""ألم أحسن إليك "كلّ ذلك استطالة عليه، وأمّا الاَذى فهو واضح.

فهوَلاء ـ أى المنفقون ـ غير المتبعين إنفاقهم بالمنّ والاَذى (لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يَحْزنون).

ثمّ إنّه سبحانه يرشد المعوزين بأن يردّوا الفقراء إذا سألوهم بأحد نحوين:

أ: (قول معروف)كأن يتلطف بالكلام فى ردّ السائلين والاعتذار منهم والدعاء لهم.

(۱۱۱)

ب: (ومغفرة)لما يصدر منهم من إلحاف أو إزعاج فى المسألة.

فالمواجهة بهاتين الصورتين (خير من صدقة يتبعها أذى).

وعلى كلّ حال فالمغنى هو الله سبحانه، كما يقول: (وَالله غنى)، أى يغنى السائل من سعته ،ولكنّه لاَجل مصالحكم فى الدنيا والآخرة استقرضكم فى الصدقة وإعطاء السائل. (حليم) فعليكم يا عباد الله بالحلم و الغفران لما يبدر من السائل.

(۱۱۲)

التمثيل الثامن

التمثيل الثامن (يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنوا لا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنّ وَالاَذى كَالّذى يُنْفِقُ مَالَهُ رئَاءَ النّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصَابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شىءٍ مِمّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِى القَومَ الكَافِرِين).(۱)

الرئى من الروَية، وسمى المرائى مرائياً، كأنّه يفعل ليرى غيره ذلك.

والصفوان واحدته صفوانة، مثل سعدان وسعدانة، ومرجان و مرجانة، وهى الحجر الاَملس.

و"الوابل: "المطر الشديد الوقع.

و" الصلد: "الحجر الاَملس أى الصلب،و"الصلد "من الاَرض مالا ينبت فيه شيئاً لصلابته.

قدمرّ فى التمثيل السابق انّ التلطف بالكلام فى رد السائل والاعتذار منه، والعفو عما يصدر منه من إلحاف وإزعاج، أفضل من أن ينفق الاِنسان ويتبع عمله بالاَذى.

وأمّا ما هو سببه، فقد بيّنه سبحانه فى هذا التمثيل، وذلك بأنّ المنَّ والاَذى

---

۱ ـ البقرة: ۲۶۴.

(۱۱۳)

يبطل الاِنفاق السابق، لاَنّ ترتب الاَجر على الاِنفاق مشروط بترك تعقبه بهما، فإذا اتبع عمله بأحد الاَمرين فقد افتقد العمل شرط استحقاق الاَجر.

وبهذا يتبيّن أنّ الآية لا تدلّ على حبط الحسنة بالسيئة، لاَنّ معنى الحبط هو إبطال العمل السيّء الثواب المكتوب المفروض، والآية لا تدلّ عليه لما قلنا من احتمال أن يكون ترتب الثواب على الاِنفاق مشروطاً من أول الاَمر بعدم متابعته بالمنِّ والاَذى فى المستقبل، فإذا تابع عمله بأحدهما فلم يأت بالواجب أو المستحب على النحو المطلوب، فلا يكون هناك ثواب مكتوب حتى يزيله المنّ والاَذى.

وأمّا استخدام كلمة الإبطال، فيكفى فى ذلك وجود المقتضى للأجر وهو الإنفاق، ولا يتوقف على تحقّق الأجر ومفروضيته على الله بالنسبة إلى العبد.

ثمّ إنّ الحبط باطل عقلاً وشرعاً.

أمّا الأوّل فلما قُرِّر فى محله من استلزامه الظلم، لأنّ معنى الحبط أنّ مطلق السيئة يذهب الحسنات وثوابها على وجه الإطلاق مع أنّه مستلزم للظلم، لأنّ من أساء وأطاع وكانت إساءته أكثر ـ فعلى القول بالإحباط ـ يكون بمنزلة من لم يحسن.

وإن كان إحسانه أكثر يكون بمنزلة من لم يسئ، وإن تساويا يكون مساوياً لمن يصدر عنهما. (۱)

وأمّا شرعاً فلقوله سبحانه: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَذَرَّةٍ شَراً يَرَه). (۲_____)

۱ ـ كشف المراد: المقصد السادس، المسألة السابعة.

۲ ـ الزلزلة:۷ـ ۸.

وإلى هذين الوجهين أشار المحقّق الطوسى بقوله:

والإحباط باطل، لاستلزامه الظلم ولقوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَل مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه). (۱)

ثمّ إنّ العبد بما انّه لا يملك شيئاً إلاّ بما أغناه الله وأعطاه، فهو ينفق من مال الله سبحانه، لأنّه وما فى يده ملك لمولاه فهو عبد لا يملك شيئاً إلاّ بتمليكه سبحانه، فمقتضى تلك القاعدة أن ينفق لله وفى سبيل الله ولا يتبع عمله بالمنّ والأذى.

وبعبارة أُخرى: أنّ حقيقة العبودية هى عبارة عن حركات العبد وسكناته لله سبحانه، ومعه كيف يسوّغ له اتّباع عمله بالمنّ والأذى.

ولذلك يقول سبحانه: (يا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالمَنّ وَالأَذى).

ثمّ إنّه سبحانه شبّه أصحاب المنّ والأذى بالمرائى الذى لا يبتغى بعمله مرضاة الله تعالى، ولا يقصد به وجه الله غير انّ المانّ والموذى يقصد بعمله مرضاة الله ثمّ يتبعهما بما يبطله بالمعنى الذى عرفت، والمرائى لا يقصد بأعماله وجه الله سبحانه فيقع عمله باطلاً من رأس، ولذلك صحّ تشبيههما بالمرائى مثل تشبيه الضعيف بالقوى.

وأمّا حقيقة التمثيل فتوضيحها بالبيان التالى:

نفترض أرضاً صفواناً أملس عليها تراب ضئيل يخيل لأوّل وهلة أنّها أرض نافعة صالحة للنبات، فأصابها مطر غزير جرف التراب عنها فتركها صلداً

---

۱ ـ المصدر نفسه.

صلباً أملس لا تصلح لشىء من الزرع، كما قال سبحانه: (كمَثَل صَفْوان عَلَيْهِ تُراب فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكهُ صَلداً لا يَقْدِرُون على شىء مِمّا كسبوا).

فعمل المرائى له ظاهر جميل وباطن ردىء، فالإنسان غير العارف بحقيقة نيّة العامل يتخيل أنّ عمله منتج، كما يتصور الإنسان الحجر الأملس الذى عليه تراب قليل فيتخيل انّه صالح للنبات، فعند ما أصابه مطر غزير شديد الوقع ونفض التراب عن وجه الحجر تبين أنّه حجر أملس لا يصلح للزراعة، فهكذا عمل المرائى إذا انكشفت الوقائع ورفعت الأستار تبين أنّه عمل ردىء عقيم غير ناتج.

ثمّ إنّ المانّ و الموذى بعد الإنفاق أشبه بعمل المرائى .

التمثيل التاسع

التمثيل التاسع (وَمَثَلُ الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغاءَ مَرضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَين فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). (۱)

تفسير الآية

"الربوة : "هى التلُّ المرتفع .

و"الطلّ: "المطر الخفيف، يقال: أطلّت السماء فهى مطلّة. وروضة طلّة نديّة.

شبّه سبحانه فى التمثيل السابق عمل المانّ والموَذى بعد الإنفاقب والمرائى بعمله بالأرض الصلبة التى عليها تراب يصيبها مطر غزير يكتسح التراب فلا يظهر إلّا سطح الحجر لخشونته وصلابته، على عكس التمثيل فى هذه الآية حيث إنّها تشبّه عمل المنفق لمرضاة الله تبارك و تعالى بجنة خضراء يانعة تقع على أرض مرتفعة خصبة تستقبل النسيم الطلق و المطر الكثير النافع، وقيّد المشبه به ببستان مرتفع عن الأرض، لأنّ تأثير الشمس والهواء فيه أكمل فيكون أحسن منظراً وأذكى ثمراً، أمّا الأماكن المنخفضة التى لا تصيبها الشمس فى الغالب إلّا قليلاً فلا تكون كذلك_____ .

۱ ـ البقرة:۲۶۵.

(۱۱۷)

قال الرازى: إنّ المراد بالربوة الأرض المستوية الجيدة التربة بحيث تربو بنزول المطر عليها وتنمو ، كما قال سبحانه: (فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الماء اهْتَزَّت وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ).

ويؤيده أنّ المثل مقابل الصفوان الذى لا يؤثر فيه المطر.

وعلى كلّ حال فهذا النوع من الأرض إن أصابها وابل أتت أُكلها ضعفين فكان ثمرها مِثْلَى ما كانت تثمر فى العادة، وإن لم يصبها وابل بل أصابها الطلّ تعطى أُكلها حسب مايترقّب منها.

فالذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله أشبه بتلك الجنة ذات الحاصل الوافر المفيد والثمين.

ثمّ إنّ قوله سبحانه: (ابتغاء مرضات الله و تثبيتاً من أنفسهم)بيان لدوافع الإنفاق وحواجزه وهو ابتغاء مرضاة الله أولاً، وتقوية روح الإيمان فى القلب ثانياً، ولعلّ السرّ فى دخول" من "على (من أنفسهم)مع كونه مفعولاً لقوله (تثبيتاً) لبيان أنّ هذا المنفق ينفق من نفس قد روّضها وثبّتها فى الجملة على الطاعة حتى سمحت لله بالمال الغزير فهو يجعل من مقاصده فى الإنفاق، تثبيتها على طاعة الله وابتغاء مرضاته فى المستقبل.

(۱۱۸)

التمثيل العاشر

التمثيل العاشر (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلّ الثَّمَراتِ وَأَصابهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرّيّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون). (۱)

تفسير الآية

ودّ الشىء: أحبه. و"الجنة "هى الشجر الكثير الملتفّ كالبستان سمّيت بذلك، لأنّها تجن الأرض وتسترها وتقيها من ضوء الشمس ونحوه.

و"النخيل "جمع نخل أو اسم جمع.

و"الأعناب "جمع عنب وهو ثمر الكرم، والقرآن يذكر الكرم بثمره والنخل بشجره لا بثمره.

و"الإعصار "ريح عاصفة تستدير فى الأَرض ثمّ تنعكس عنها إلى السماء حاملة معها الغبار كهيئة العمود، جمعه أعاصير، وخصّ الأَعاصير بما فيها نار، وقال: (إعصار فيه نار)، وفيه احتمالات:

أ: أن يكون المراد الرياح التى تكتسب الحرارة أثناء مرورها على الحرائق

---

١ ـ البقرة:٢۶۶.

(١١٩)

فتحمل معها النيران إلى مناطق نائية.

ب: العواصف التى تصاحبها الصواعق وتصيب الأَرض وتحيلها إلى رماد.

ج: البرد الشديد الذى يطلق على كلّ ما يتلف الشيء ولو بتجفيف رطوبته.

والمتعين أحد الأَوّلين دون الثالث، وإلّا لكان له سبحانه أن يقول كمثل ريح صرّ وهو البرد الشديد، قال سبحانه فى صدقات الكفار ونفقاتهم فى الدنيا: (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فى هذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ ريحٍ فِيهَا صِرّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون). (١)

نعم ربما يفسر الصرّ بالسموم الحارة القاتلة. (٢)وعندئذ تّتحد الآيتان فى المعنى.

وعلى كلّ حال فالمقصود هو نزول البلاء على هذه الجنة الذى يؤدى إلى إبادتها بسرعة.

ثمّ إنّه سبحانه بينما يقول: (جنّة من نَخيلٍ وَأَعْناب)الظاهر فى كون الجنّة محفوفة بهما، يقول أيضاً: (فِيها مِنْ كُلّ الثَّمَرات)، فكيف يمكن الجمع بين الأَمرين؟

والظاهر انّ النخيل والأَعناب لمّا كانا أكرم الشجر وأكثرها نفعاًخصّهما بالذكر وجعل الجنة منهما، وإن كانت محتوية على سائر الأَشجار تغليباً لهما على غيرهما.

إلى هنا تم تفسير مفردات الآية_____.

١ ـ آل عمران:١١٧.

٢ ـ مجمع البيان:١|۴٩١.

(١٢٠)

وأمّا التمثيل فيتركب من مشبه ومشبه به.

أمّا المشبه فهو عبارة عمن يعمل عملاً صالحاً ثمّ يردفه بالسيئة، كما هو المروى عن ابن عباس، عندئذٍ يكون المراد من ينفق ويتبع عمله بالمنّ والأَذى.

قال الزمخشرى: ضربت الآية مثلاً لرجل غنى يعمل الحسنات، ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها. (١)

وأمّا المشبه به فهو عبارة عن رجل طاعن فى السن لَحِقته الشيخوخة وله أولاد صغار غير قادرين على العمل وله جنّة محفوفة بالنخيل والأَعناب تجرى من تحتها الأَنهار وله من كلّ الثمرات، وقد عقد على تلك الجنة آمالاً كبيرة، وفجأة هبّت عاصفة محرقة فأحرقتها وأبادتها عن بكرة أبيها فكيف يكون حال هذا الرجل فى الحزن والحسرة والخيبة والحرمان بعد ما تلاشت آماله، فالمنفق فى سبيل الله الذى هيأ لنفسه أجراً وثواباً أُخروياً عقد به آماله، فإذا به يتبع عمله بالمعاصى، فقد سلط على أعماله الحسنة تلك أعاصير محرقة تبيد كلّ ما عقد عليه آماله_____.

١ ـ الكشاف:١|٢٩٩.

(١٢١)

التمثيل الحادى عشر

التمثيل الحادى عشر

(الّذينَ يَأْكُلُونَ الرّبا لا ـ يَقُومُونَ إِلاّ ـ كَما يَقُومُ الّذى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرّبوا وَأَحَلَّ اللهُ البيعَ وَحَرَّمَ الرّبوا فَمَنْ جاءَهُ مَوعِظَةٌ مِنْ رَبّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ). (۱)

تفسير الآية

"الربا "الزيادة كما فى قولهم ربا الشىء يربو إذا زاد، والربا هو الزيادة على رأس المال، فلو أقرض أحد أحداً عشرة إلى سنة فأخذ منه فى نهاية الأَجل أكثر ممّا دفع فهو ربا إذا شرطه فى العقد.

و"التخبّط "والخبط بمعنى واحد ، و هو المشى على غير استواء، يقال: خبط البصير إذا اختلّت جهة مشيه، ويقال للذى يتصرف فى أمر ولا يهتدى فيه: هو يخبط خبطة عشواء، أى يضرب على غير اتساق.

وعلى هذا فالمراد من قوله: (يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطان)أى يخبطه الشيطان ويضربه، وبالتالى يصرعه_____.

۱ ـ البقرة:۲۷۵.

و"السَلَف "أى الماضى يقال سلف يسلف سلوفاً، ومنه الأُمم السالفة أى الماضية.

وأمّا قوله (مِنَ المَسّ)فالظرف متعلق بيقوم، أى لا يقومون إلّا كما يقوم المصروع من المسّ.

وحاصل معنى الآية أنّ آكل الربا لا يقوم إلّا كقيام من يخبطه الشيطان فيصرعه، فكما أنّ قيامه على غير استواء فهكذا آكل الربا.

فالتشبيه وقع بين قيام آكل الربا و قيام المصروع من خبط الشيطان ، فيطرح هنا سؤالان:

الأوّل: ما هو المراد من أنّ آكل الربا لا يقوم إلّا كقيام المصروع؟

الثانى: ما هو المراد من كون الصرع من مس الشيطان؟

أمّا الأوّل: فقد اختلف فيه كلمة المفسرين على وجوه:

۱. ذهب أكثرهم إلى أنّ المراد قيامهم يوم القيامة قيام المتخبطين، فكأنّ آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً، وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا، فيعرفه أهل الموقف أنّه آكل الربا فى الدنيا.

و على ضوء هذا فيكون معنى الآية انّهم يقومون مجانين كمن أصابه الشيطان بمسٍّ.

۲. انّهم إذا بعثوا من قبورهم خرجوا مسرعين لقوله: (يخرجون من الأَجداث سراعاً)إلّا ـ آكلة الربا فانّهم يقومون ويسقطون ، لأَنّه سبحانه أرباه فى بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الإسراع ولا يقدرون.

ويؤيده ما روى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: أُسرى بى إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيّات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء ياجبرئيل؟ قال: هؤلاء آكلة الربا.

۳. انّ المراد من المسّ ليس هو الجنون، و إن كان المسّ يستعمل فيه، بل المراد من تبع الشيطان وأجاب دعوته، كما هو الحال فى قوله سبحانه: (إِنَّ الّذينَ اتَّقَوا إِذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُون) (۱)، وذلك لأَنّ الشيطان يدعو إلى طلب اللّذات والشهوات والاشتغال بغير الله ، فهذا هو المراد من مسّ الشيطان، و من كان كذلك كان فى أمر الدنيا متخبطاً، فتارة يجرّه الشيطان إلى اتّباع النفس والهوى، وتارة تجرّه الفطرة إلى الدين والتقوى فتضطرب حياته ويسودها القلق.

فلا شكّ أنّ آكل الربا يكون مفرطاً فى حب الدنيا متهالكاً عليها، ولذلك تكون حياته الدنيوية حياة غير منظمة وعلى غير استواء.

وهناك وجه رابع ذكره السيد الطباطبائى وهو:

إنّ الإنسان الممسوس الذى اختلّت قوته المميزة لا يفرق بين الحسن والقبيح، والنافع والضار، والخير والشر، فهكذا حال المرابى فى أخذه للربا فانّ الذى تدعو إليه الفطرة أن يعامل بمعاوضة ما عنده من المال الذى يستغنى عنه مما عند غيره من المال الذى يحتاج إليه. وأمّا إعطاء المال وأخذ ما يماثله بعينه مع زيادة، فهذا شىء ينهدم به قضاء الفطرة وأساس المعيشة، فانّ ذلك ينجرّ من جانب المرابى إلى اختلاس المال من يد المدين وتجمّعه وتراكمه عند المرابى، فانّ هذا المال لا يزال ينمو و يزيد، ولا ينمو إلّا من مال الغير، فهو

---

۱ ـ الأعراف:۲۰۱.

بالانتقاص والانفصال من جانب، والزيادة والانضمام من جانب آخر.

وينجرّ من جانب المدين المؤدى للربا إلى تزايد المصرف بمرور الزمان تزايداً لا يتداركه شىء مع تزايد الحاجة، وكلما زاد المصرف أى نما الربا بالتصاعد زادت الحاجة من غير أمر يجبر النقص ويتداركه وفى ذلك انهدام حياة المدين.

فالربا يضادّ التوازن والتعادل الاجتماعى ويفسد الانتظام الحاكم على هذا الصراط المستقيم الإنسانى الذى هدته إليه الفطرة الإلهية.

وهذا هو الخبط الذى يبتلى به المرابى كخبط الممسوس، فانّ المراباة يضطره أن يختل عنده أصل المعاملة والمعاوضة فلا يفرّق بين البيع والربا، فإذا دُعى إلى أن يترك الربا ويأخذ بالبيع، أجاب: انّ البيع مثل الربا لا يزيد على الربا بمزية، فلا موجب لترك الربا وأخذ البيع، ولذلك استدل تعالى على خبط المرابين بما حكاه من قولهم: (إِنَّما البيعُ مثْل الرّبا). (۱)

وهناك سؤال: وهو انّه لماذا قيل البيع مثل الربا بل كان عليهم القول بأنّ الربا مثل البيع، لأنّ الكلام فى الربا لا فى البيع فوجب عليهم أن يشبهوا الربا بالبيع، لا على العكس.

والجواب انّهم شبهوا البيع بالربا لأجل المبالغة وهو انّهم جعلوا حلّية الربا أصلاً، وحلّية البيع فرعاً، فقالوا: إنّ البيع مثل الربا.

هذا كلّه حول الأمر الأوّل.

وأمّا الأمر الثانى وهو كون الجنون معلولاً لوطأة الشيطان ومسّه، فنقول:

إنّ ظاهر الآية أنّ الجنون نتيجة تصرف الجن فى المجانين، مع أنّ العلم

---

۱ ـ الميزان:۲|۴۱۱.

الحديث كشف علّة الجنون وهو حدوث اختلالات فى الأعصاب الإدراكية، فكيف يجمع بين مفاد الآية وما عليه العلم الحديث، وهذا من قبيل تعارض النقل والعقل؟

وأجاب عنه بعض المفسرين بأنّ هذا التشبيه من قبيل المجاراة مع عامّة الناس فى بعض اعتقاداتهم الفاسدة حيث كان اعتقادهم بتصرف الجن فى المجانين، ولا ضير فى ذلك، لأنّه مجرد تشبيه خال عن الحكم حتى يكون خطأً غير مطابق للواقع.

فحقيقة معنى الآية هو أنّ هؤلاء الآكلين للربا حالهم حال المجنون الذى يتخبطه الشيطان من المس، وأمّا كون الجنون مستنداً إلى مس الشيطان فأمر غير ممكن، لأنّ الله سبحانه أعدل من أن يسلط الشيطان على عقل عبده، أو على عبده المؤمن. (۱)

وأجاب عنه السيد الطباطبائى بأنّ الله تعالى أجلّ من أن يستند فى كلامه إلى الباطل، و لغو القول بأى نحو كان من الاستناد إلّا مع بيان بطلانه ورده على قائله، وقد قال تعالى فى وصف كلامه: (وَإِنَّهُ لكِتابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ). (۲)

وقال تعالى: (إِنَّهُ لَقَولٌ فَصْلٌ * وَما هُوَ بِالْهَزْلِ). (۳)

وأمّا انّ استناد الجنون إلى تصرف الشيطان و ذهاب العقل ينافى عدله تعالى، ففيه انّ الاشكال بعينه مقلوب عليهم فى اسنادهم ذهاب العقل إلى

---

۱ ـ نقله فى الميزان: ۲|۴۱۳ ولم يذكر المصدر ؛ وفى تفسير المنار : ۳|۹۵ ما يقرب من ذلك نقله عن البيضاوى فى تفسيره .

۲ ـ فصلت:۴۲.

۳ ـ الطارق:۱۳ـ ۱۴.

الأسباب الطبيعية فانّها مستندة أخيراً إلى الله تعالى مع إذهابها العقل. (۱)

وهناك كلام آخر للسيد الطباطبائى ولعلّه يقلع الشبهة: انّ استناد الجنون إلى الشيطان ليس على نحو الاستقامة ومن غير واسطة بل الأسباب الطبيعية كاختلال الأعصاب والآفة الدماغية أسباب قريبة وراءها الشيطان ، كما أنّ أنواع الكرامات تستند إلى الملك مع تخلل الأسباب الطبيعية فى البين، وقد ورد نظير ذلك فيما حكاه الله عن أيوب (عليه السلام) إذ قال: (أَنّى مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ)(۲)، وإذ قال: (أَنّى مَسَّنِيَ الضُرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ) (۳)والضرّ هو المرض وله أسباب طبيعية ظاهرة فى البدن، فنسب ما به من المرض المستند إلى أسبابه الطبيعية إلى الشيطان. (۴_____)

۱ ـ الميزان: ۲|۴۱۲.

۲ ـ ص:۴۱.

۳ ـ الأنبياء:۸۳.

۴ ـ الميزان:۲|۴۱۳.

التمثيل الثانى عشر

التمثيل الثانى عشر

(إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون * الحَقُّ مِنْ رَبّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِين). (۱)

تفسير الآية

ذكر سبحانه كيفية ولادة المسيح من أُمّه" مريم العذراء "وابتدأ بيانه بقوله: (إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ...) وانتهى بقوله: (قالَتْ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكَ اللهُ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). (۲)

وبذلك أثبت انّ المسيح مخلوق لله سبحانه مولود من أُمّه العذراء دون أن يمسّها بشر وانّه (عليه السلام) آية من آيات الله سبحانه، ولما كانت النصارى تتبنّى ألوهية المسيح وانّه يؤلف أحد أضلاع مثلث الألوهية الرب و الابن وروح القدس، وكانت تؤمن انّه ابن الرب، لأنّه ولد من مريم بلا أب .

ولما احتجوا بهذا الدليل أمام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وافاه الوحى مجيباً على

---

۱ ـ آل عمران:۵۹ـ۶۰.

۲ ـ آل عمران: ۴۵ـ۴۷.

(۱۲۸)

استدلالهم بأنّ كيفيـة خلق المسيح يضاهى كيفية خلق آدم. حيث إنّ آدم خلق من تراب بلا أب وأُمّ، فإذا كان هذا أمراً ممكناً، فمثله المسيح حيث ولد من أُمّ بلا أب فهو أهون بالإمكان.

وبعبـارة أُخرى: انّ المسيح مثل آدم فى أحـد الطرفين، ويكفى فى المماثلـة المشاركـة فى بعض الأوصاف، ففى الحقيقـة هو من قبيل تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة الشبهة.

إنّ من الأسـئلة المثارة حول قوله سـبحانه: (ثُمَّ قال لَهُ كُنْ فيكون) هو انّ الأنسب أن يقول": ثم قال له كن فكان "فلماذا قال: (فيكون) لأنّ أمره سبحانه بالتحقّق أمر يلازم تحقّق الشىء دفعة؟.

والجواب انّه وضع المضارع مكان الماضـى وهو أمر جائز، والنكتـة فيه هى تصوير الحالة الماضـية فإنّ تكوّن آدم كان أمراً تدريجياً لا أمراً دفعياً.

وبعبارة أُخرى: انّ قوله: (كن)وإن كان دالاً على انتفاء التدريج ولكنّه بالنسـبة إليه سبحانه، وأمّا بالنسبة إلى المخلوق فهو على قسمين: قسم يكون فاقـداً له كالنفوس والعقول الكليـة، وقسم يكون أمراً تـدريجياً حاصـلاً بالنسـبة إلى أسـبابها التدريجيـة، فإذا لوحظ الشـىء بالقيـاس إليه تعـالى فلا تدريـج هناك ولا مهلـة ـ لانتفاء الزمان والحركـة فى المقام الربوبى، ولـذا قال سـبحانه: (وَما أَمْرنا إِلاّ واحـدةٌ كَلَمْحٍ بالْبَصَر) (۱)وأمّا إذا لوحظ بالقياس إلى وجود الممكن وأسـبابه فالتدريج أمر متحقق، وبالجملة فقوله (فيكون)ناظر إلى الحالة الماضية. (۲)

وهناك وجه آخر ذكره المحقّق البلاغى عند تفسير قوله سبحانه: (بَدِيعُ

---

۱ ـ القمر : ۵۰.

۲ ـ الميزان: ۳|۲۱۲؛ المنار:۳|۳۱۹.

(۱۲۹)

السَّمواتِ والأَرْض وَإِذا قَضى أَمْراً فَانَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون).

إنّ قوله: (فيكون)تفريع على قوله (يقول)وليس جزاءً لقوله تعـالى (كن)، لأنّ الكون بعـد الفـاء، هو نفس الكون المأمور به لا جزاءه المترتب عليه، وتوهم أنّه جزاء لذات الطلب أو ملكوت مع الطلب مدفوع، بأنّه لو صحّ لوجب أن ينصب مع أنّه مرفوع. (۱)

وعلى كـلّ تقـدير فـالقرآن الكريم يسـتدل على إبطـال إلوهيـة المسيح بوجوه مختلفـة، منهـا هو تشبيه ولادة المسيح بـآدم. والتمثيل المذكور يتكفّل بيان هذا الأمر أيضاً، وفى الحقيقة الآية منحلّة إلى حجتين تفى كلّ واحدة منهما بنفى الألوهية عن المسيح.

إحداهما: انّ عيسى مخلوق لله ـ على ما يعلمه الله لا يضل فى علمه ـ خلقة بشر وإن فقد الأب ومن كان كذلك كان عبداً لا رباً.

وثانيهما: انّ خلقته لا تزيد على خلقة آدم، فلو اقتضى سنخ خلقه أن يقال بإلوهيته بوجه لاقتضى خلق آدم ذلك مع أنّهم لا يقولون بها فيه فوجب أن لا يقولوا بها فى عيسى (عليه السلام) أيضاً لمكان المماثلة.

ويظهر من الآية انّ خلقة عيسـى كخلقة آدم خلقة طبيعية كونية و إن كانت خارقة للسـنّة الجارية فى النسل وهى حاجة الولد فى تكوّنه إلى والد. (۲_____)

۱ ـ آلاء الرحمن:۱|۱۲۰.

۲ ـ الميزان:۳|۲۱۲.

سورة آل عمران

سورة آل عمران التمثيل الثالث عشر

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَولادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ * مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فى هذِهِ الحَياةِ الدُّنيا كَمَثَلِ ريحٍ فِيها صِرٌ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون). (۱)

تفسير الآيات

الصرّ : الريح الباردة نحو صرصر، قال الشاعر:

لا تعدلنّ أتاويين (۲)تضربهمنكباء صرّ بأصحاب المحلات

ونقل الطبرسى عن الزجّاج أنّه قال: الصرّ صوت لهب النار التى كانت فى تلك الريح، وأضاف: و يجوز أن يكون الصرّ صوت الريح الباردة الشديدة.

وعلى كلّ تقدير فالمراد هو الريح السامة التى تهلك الحرث.

والمراد من (حرث قوم ظلموا أنفسهم)الذين زرعوا فى غير موضع

---

۱ ـ آل عمران: ۱۱۶ـ ۱۱۷.

۲ ـ الأتاوى: جمع الإتاوة: الخراج .

الزراعة أو فى غير وقتها، فهبّت عليه العواصف فذهب أدراج الرياح، إذ لا شكّ انّ للزمان و المكان تأثيراً بالغاً فى نمو الزرع، فالنسيم الهادئ الذى يهب على الزرع ويلامسه والأرض الخصبة كلها عوامل تزيد فى طراوة الزرع ونضارته.

هذا هو المشبه به، فالكافر إذا أنفق ماله فى هذه الحياة الدنيا بغية الانتفاع به، فهو كمن زرع فى غير موضعه أو زمانه، فلا ينتفع من إنفاقه شيئاً، فانّ الكفر وما يتبعه من الهوى يبيد إنفاقه، ولذلك قال سبحانه: (إِنَّ الّذينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنى عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَولادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً).

سورة الانعام

سورة الانعام التمثيل الرابع عشر

(أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِى النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيّنَ لِلْكافِرِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُون). (۱)

تفسير الآية

نزلت الآية فى حمزة بن عبد المطلب وأبى جهل بن هشام، و ذلك انّ أبا جهل آذى رسول الله فأخبر بذلك حمزة، وهو على دين قومه، فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس أبى جهل وآمن، وهو المروى عن ابن عباس.

وقيل: إنّها نزلت فى عمار بن ياسر حين آمن وأبى جهل، و هو المروى عن أبى جعفر، ولكن الظاهر انّها عامة فى كلّ مؤمن وكافر، ومع ذلك لا يمنع هذا نزولها فى شخصين خاصين.

ففى هذه الآية تمثيلات وتشبيهات جعلتها من قبيل التشبيه المركب نذكرها تباعاً:

۱. يقول سبحانه: (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ)وقد شبّه الكافر بـ"الميت "الذى هو مخفف الميّت والمؤمن بالحى_____.

۱ ـ الأَنعام:۱۲۲.

(۱۳۳)

وليست الآيـة نسيجاً وحـدها فقد شبّه المومن فى غير واحد من الآيات بالحى، والكافر بالميت، قال سبحانه: (فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوتَى)(۱) (لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً) (۲) و (وَما يَسْتَوِى الأَحْياءُ وَلاَ الأَمْواتُ). (۳)

۲. يقول سبحانه: (وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشى بِهِ فِى النّاس) فقد شبّه القرآن بالنور، حيث إنّ المومن على ضوء القرآن يشق طريق السعادة، قال سبحانه: (يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُم بُرهانٌ مِنْ رَبّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً). (۴)

وقال سبحانه: (مَا كُنْتَ تَدرى مَا الكِتابُ ولاَ الإِيمَانُ ولكِن جَعَلْناهُ نُوراً)(۵) ، فالقرآن ينوّر الدرب للمومن.

۳.يقول سبحانه (كمَن مَثله فِى الظُلمات لَيس بِخارجٍ مِنْها)، فالمراد من الظلمة إمّا الكفر أو الجهل، ويوَيد الأوّل قوله سبحانه: (اللهُ وَلِىُّ الّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّور). (۶)

ثمّ إنّه سبحانه شبه الكافر بالذى يمكث فى الظلمات لا ـ يهتدى إلى شىء بقوله: (كَمَنْ مَثَلهُ فِى الظُّلمات)ولم يقل: كمن هو فى الظلمات، بل توسط لفظ المثل فيه، ولعل الوجه هو تبيين انّه بلغ فى الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل.

هذا هو تفسير الآية على وجه التفصيل_____.

۱ ـ الروم:۵۲.

۲ ـ يَس:۷۰.

۳ ـ فاطر:۲۲.

۴ ـ النساء:۱۷۴.

۵ ـ الشورى:۵۲.

۶ ـ البقرة:۲۵۷.

(۱۳۴)

وحاصل الآية: انّ مثل من هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذى يميز به بين المحق والمبطل، والمهتدى والضال، ـ مثله ـ من كان ميتاً فأحياه الله و جعل له نوراً يمشى به فى الناس مستضيئاً به، فيميز بعضه من بعض.

هذا هو مثل المومن، ولا ـ يصح قياس المومن بالباقى على كفره غير الخارج عنه، الخابط فى الظلمات المتحير الذى لا يهتدى سبيل الرشاد.

وفى الحقيقة الآية تشتمل على تشبيهين:

الأوّل: تشبيه المومن بالميّت المحيا الذى معه نور.

الثانى: تشبيه الكافر بالميّت الفاقد للنور الباقى فى الظلمات، والغرض انّ المومن من قبيل التشبيه الأوّل، دون الثانى.

(۱۳۵)

سورة الأعراف

التمثيل الخامس عشر

التمثيل الخامس عشر (وَهُوَ الّذِى يُرْسِلُ الرّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ المَوتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون * وَالبَلَد الطَّيّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبّهِ وَالّذى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً كَذلِكَ

نُصَرّفُ الآيات لِقَومٍ يَشْكَرُون). (۱)

تفسير الآية

"أقلّ "من الإقلال، وهو حمل الشيء بأسره.

والنكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير، يقال نكد إذا سئل فبخل ، قال الشاعر:

وأعطى ما أعطيته طيّباًلا خير فى المنكود والناكد" البلد الطيب: "عبارة عن الأرض الطيب ترابها، ففى مثلها يخرج الزرع نامياً زاكياً من غير كدٍّ ولا عناء، كلّ ذلك بإذنه سبحانه.

والبلد الخبيث هى الأرض السبخة التى خبث ترابها لا يخرج ريعها إلّا

---

۱ ـ الأعراف:۵۷ـ ۵۸.

شيئاً قليلاً، و كأنّها لا تعطى إلّا شيئاً قليلاً وهو بالعسر.

وتصريف الآيات عبارة عن تكررها.

ذكر سبحانه فى الآية الأُولى بأنّه يرسل الرياح مبشرةً برحمته، فإذا حملت سحاباً ثقالاً بالماء ساقه سبحانه إلى بلد ميت فتحيا به الأرض وتوَتى ثمراتها.

وعاد سبحانه فى الآية الثانية إلى القول بأنّ هطول المطر وسقى الأرض جزء مما يتوقف عليه خروج النبات، وهناك شرط آخر وهو أن تكون الأرض خصبةصالحة للزراعة دونما إذا كانت خبيثة، هذا هو حال المشبه به.

وأمّا المشبه فهو انّه سبحانه يُشبِّهُ المؤمن بأرض طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها، كما تشبه قلب الكافر بالأرض السبخة لا تنبت شيئاً، فقلب المؤمن كالأرض الطيبة وقلب الكافر كالأرض السبخة.

التمثيل السادس عشر

التمثيل السادس عشر

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغَاوِين *وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذلِكَ مَثَلُ الْقَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * ساءَ مَثَلاً الْقَومُ الّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُون). (۱)

تفسير الآيات

النبأ: الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة، أخلد إلى الأرض أى سكن إليها.

السلخ: النزع، وقوله : (أخْلد إلى الأرض)لصق بها، واللهث أن يدلع الكلب لسانه من العطش، واللهاث حرّ العطش.

هذا هو تفسير مفردات الآية، وأمّا المضمون فالآية تمثيل يتضمن مشبهاً ومشبهاً به، أمّا الثانى فقد اختلفت كلمة المفسرين فى المراد منه، فالأكثر على أنّ المراد هو بلعم بن باعوراء الذى كان عالماً من علماء بنى إسرائيل، وقيل من

---

۱ ـ الأعراف:۱۷۵ـ۱۷۷.

الكنعانيين أوتى علم بعض كتاب الله ، ولكنّه كفر به ونبذه وراء ظهره، فلحقه الشيطان وصار قريناً له وكان من الغاوين الضالين الكافرين.

والإمعان فى الآية يعرب عن بلوغ الرجل مقاماً شامخاً فى العلم والدراية، وعلى الرغم من ذلك فقد سقط فى الهاوية، وإليك ما يدل على ذلك فى الآية:

أ: لفظ (نبأ) حاك عن أنّه كان خبراً عظيماً لا خبراً حقيراً.

ب: قوله: (الذى آتَيْناهُ آياتنا) حاك عن إحاطته بالحجج والبيّنات وعلم الكتب السماوية.

ج: قوله: (فانسلخ منها)يدل على أنّ الآيات والعلوم الإلهية كانت تحيط به إحاطة الجلد بالبدن إلّا انّه خرج منها.

ويؤيد ذلك انّه سبحانه يعبر عن التقوى باللباس، ويقول: (وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيرٌ). (۱)

د: قوله: (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطان)يدل على أنّ الشيطان كان آيساً من كفره وقد انقطعت صلته به، لكنّه لما انسلخ من الآيات لحقه الشيطان واتبعه فأخذ يوسوس له كلّ يوم إلى أن جعله من الضالين.

إلى هنا تم تفسير الآية الاُولى، وأمّا الآية الثانية فهى تتضمن حقيقة قرآنية، وهى انّه سبحانه تبارك و تعالى كان قادراً على رفعه وتنزيهه وتقريبه إليه، ولكنّه لم يشأ، لأنّ مشيئته سبحانه لا تتعلق بهداية من أعرض عنه واتّبع هواه، إذ كيف يمكن تعلق مشيئته بهداية من أعرض عن الله وكذب آياته، ولذلك يقول:

(وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها)أى لرفعناه بتلك الآيات" ولكن ما شئنا "وليس

---

۱ ـ الأعراف:۲۶.

ذلك للبخل منه سبحانه، بل لفقدان الأرضية الصالحة، لأنّه أخلد إلى الأرض ولصق بها، وكأنّها كناية عن الميل والنزوع إلى التمتع بالملاذ الدنيوية، ومعه كيف تشمله العناية الربانية.

ثمّ إنّه سبحانه يشير إلى وجه آخر لعدم تعلّق مشيئته بهدايته، وهو انّ هذا الإنسان بلغ فى الضلالة والغواية مرحلة صارت سجية وطبيعة له، ومزج بها روحه ونفسه وفطرته، فلا يصدر منه إلّا التكذيب والإدبار عن آياته، فلذلك لا يؤثر فيه نصيحة ناصح ولا وعظ واعظ، ولتقريب هذا الأمر نأتى بتمثيل فى ضمن تمثيل، ونقول:

(فَمَثَلُهُ كَمَثل الكَلْب انْ تَحْمل عَلَيه يَلْهَث أَوْ تَتْركهُ يَلهَث)، وذلك لأنّ اللهث أثر طبيعى لسجيته فلا يمكن أن يخلّص نفسه منها.

هذا هو المشبه به، وهو يعرب عن أنّ الهداية والضلالة بيد الله تبارك وتعالى، وقد تعلّقت مشيئته بهداية الناس بشرط أن تتوفر فيه أرضية خصبة توهله لتعلّق مشيئته تعالى به، فمن أخلد إلى الأرض ولصق بها، أى أخلد إلى المادة والماديات، فلا تشمله الهداية الإلهية بل هو محكوم بالضلال لكن ضلالاً اختيارياً مكتسباً.

هذا هو حال المشبه به، وقد عرفت أنّ التمثيل يتضمن تمثيلاً آخر.

وأمّا المشبه فقد اختلفت كلمة المفسرين فيه، فربما يقال: إنّ المراد اُمية بن أبى الصلت الثقفى الشاعر، وكانت قصته انّه قرأ الكتب وعلم أنّ الله سبحانه يرسل رسولاً فى ذلك الوقت، ورجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلمّا بعث سبحانه محمداً حسده ومرّ على قتلى بدر فسأل عنهم، فقيل: قتلوا فى حربهم مع النبى، فقال: لو كان نبياً لما قتل أقرباءه، وقد ذهب إلى الطائف ومات بها،

فأتت أُخته الفارعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فسألها عن وفاته، فذكرت له انّه أنشد عند موته:

كل عيش وإن تطاول دهراًصائر مرة إلى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بداليفى قلال الجبال أرعى الوعولا

إنّ يوم الحساب يوم عظيمشاب فيه الصغير يوماً ثقيلاً ثمّ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها أنشدينى من شعر أخيك فأنشدت:

لكَ الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربّناولا شيء أعلى منكَ جدّاً وأمجدُ

مليكٌ على عرش السّماءِ مهيمنٌلعزّته تعنُو الوجوهُ وتسجدُ

ثمّ أنشدته قصيدته التى يقول فيها:

وقف الناس للحسابِ جميعاً فشقيّ معذّب وسعيد والتى فيها:

عند ذى العرش تُعرضونَ عليهيعلمُ الجهرَ والسِراءَ الخفيّا

يوم يأتى الرحمنُ وهو رحيمإنّه كان وعدُهُ مأتيّا

(۱۴۱)

ربّ إن تعفُ فالمعافاةُ ظنّيأو تُعاقِبْ فلم تعاقِب بريّا

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم") : إنّ أخاك آمن شعره، وكفر قلبه "وأنزل الله تعالى الآية.(۱)

وقيل: إنّه أبو عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سمّاه النبى الفاسق، وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح، فقدم المدينة، فقال للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما هذا الذى جئت به، قال": جئت بالحنيفية دين إبراهيم، "قال: فأنا عليها، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم") : لست عليها ولكنّك أدخلت فيها ما ليس منها."

فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منّا طريداً وحيداً، فخرج إلى أهل الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدّوا السلاح، ثمّ أتى قيصر وأتى بجند ليخرج النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة، فمات بالشام طريداً وحيداً.

والظاهر انّ المشبه ليس خصوص هذين الرجلين، بل كما قال الإمام الباقر(عليه السلام "): الأصل فى ذلك بلعم، ثم ضربه الله مثلاً لكل موَثر هواه على هدى الله من أهل القبلة. ("۲)

وفى الآية دلالة واضحة على أنّ العبرة فى معرفة عاقبة الإنسان هى أُخريات حياته، فربما يكون موَمناً فى شبابه ويرتد عن الدين فى شيخوخته وهرمه، فليس صلاح الإنسان وفلاحه فى عنفوان شبابه دليلاً على صلاحه ونجاته فى آخر عمره_____.

۱ ـ مجمع البيان:۲|۴۹۹ـ ۵۰۰.

۲ ـ مجمع البيان:۲|۵۰۰.

(۱۴۲)

وبذلك يعلم أنّ ترضّى القرآن عن المهاجرين والأنصار فى قوله سبحانه: (لَقَدْ رَضِى اللهُ عَنِ الْمُوْمِنينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً). (۱)

ويوَيد ما ذكرناه انّه سبحانه حدّد ظرف الرضا بقوله: (إذ يُبايعونك)ولا يكون دليلاً على رضاه طيلة حياتهم، فلو دلّ دليل على زلّة واحد منهم، فيوَخذ بالثانى جمعاً بين الدليلين.

وقد يظهر مفاد قوله سبحانه: (والسَّابِقُونَ الأَوّلُونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنْصارِ وَالّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرى تَحْتَهَا الأَنهَارُ خالِدينَ فِيهَا أَبَداً ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ). (۲)

فانّ الآية دليل على شمول رضى الله لهم، فيوَخذ بالآية مالم يدل دليل قطعى على خلافها، فلو ثبت بدليل متواتر أو خبر محفوف بالقرينة ارتداد واحد منهم أو صدور معصية كبيرة أو صغيرة، فيوَخذ بالثانى، وليس بين الدليلين أى خلاف، إذ ليس مقام صحابى أو تابعى أعلى من مقام ما جاء فى هذه الآية، أعنى من آتاه الله سبحانه آياته وصار من العلماء الربانيين ولكن اتبع هواه فانسلخ عنها.

فما ربما يتراءى من إجماع غير واحدمن المفسرين بهذه الآيات كلى عدالة كافة الصحابة فكأنّها غفلة عن مفادها وإغماض عما صدر

عن غير واحد من الصحابة من الموبقات والمعاصى والله العالم_____.

۱ ـ الفتح:۱۸.

۲ ـ التوبة:۱۰۰.

(۱۴۳)

سورة التوبة

سورة التوبة التمثيل السابع عشر (وَالّذين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنينَ وإِرْصاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاّ الحُسْنى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسّسَ عَلى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوم أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهّرين * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللهِوَرِضْوانٍ خَيرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ على شَفَا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِى نارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدى القَومَ الظّالِمين). (۱)

تفسير الآيات

"الضرار: "هو إيجاد الضرر عن عناد.

"الإرصاد "بمعنى الإعداد.

"البنيان "مصدر بنى.

و"التقوى "خصلة من الطاعة يحترز بها عن العقوبة، والواو فيه مبدلة من الياء لأنّها من وقيت.

"شفا: "شفا البئر وغيره، جُرفُه، ويضرب به المثل فى القرب من الهلاك_____.

۱ ـ التوبة:۱۰۷ـ ۱۰۹.

(۱۴۴)

"الجرف "جرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء،وتجرفه السيول فيبقى واهياً.

قال الراغب: يقال للمكان الذى يأكله السيل فيجرفه، أى يذهب به، جرف هار البناء وتهوّر : إذا سقط، نحو: إنهار.

ذكر المفسرون انّ بنى عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء، وبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتيهم، فأتاهم وصلى فيه، فحسدهم جماعة من المنافقين من بنى غُنْم بن عوف، فقالوا: نبنى مسجداً فنصلى فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثنى عشر رجلًا، وقيل خمسة عشر رجلًا، منهم: ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، ونبتل بن الحرث، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، فلمّا فرغوا منه، أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتجهّز إلى تبوك.

فقالوا: يا رسول الله إنّا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنّا نحبّ أن تأتينا فتصلّى فيه لنا وتدعو بالبركة.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم") :إنّى على جناح سفر، ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلّينا لكم فيه، "فلمّا انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تبوك نزلت عليه الآية فى شأن المسجد.

إنّ الآية تشير إلى الفرق الشاسع بين من بنى بنياناً على أساس محكم، ومن بناه على شفا جرف، فالأوّل يبقى عبر العصور ويحتفظ بكيانه فى الحوادث المدمرة، بخلاف الثانى فانّه سوف ينهار لا محالة بأدنى ضربة.

فالمؤمن هو الذى يعقد إيمانه على قاعدة محكمة وهو الحقّ الذى هو تقوى الله ورضوانه، بخلاف المنافق فانّه يبنى إيمانه على أضعف القواعد

(۱۴۵)

وأرخاها وأقلّها بناءً وهو الباطل، فإيمان المؤمن و دينه من مصاديق قوله: (أَفَمَنْ أَسَّس بُنيانه على تقوى من الله ورضوان)ولكن دين

المنافق كمن (أسّس بنيانه على شفا جرف هار)فلا محالة ينهار به فى نار جهنم.

(۱۴۶)

سورة يونس

سورة يونس التمثيل الثامن عشر

(إِنَّما مَثَلُ الحَياة الدُّنيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ مِمّا يَأْكُلُ النَّاسُ والأَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَن لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُون * واللهُ يَدعُو إلى دارِ السَّلامِ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ). (۱)

تفسير الآيات

قوله: (فاخْتَلَطَ بِهِ نَبات الأَرض)فلو قلنا بأنّ الباء للمصاحبة، يكون معناه أى اختلط مع ذلك الماء نبات الأَرض، لأنّ المطر ينفد فى خلل النبات، وإن كانت الباء للسببية يكون المراد انّه اختلط بسبب الماء بعض النبات ببعض حيث إنّ الماء صار سبباً لرشده والتفاف بعضه ببعض.

قوله: (ازّيّنت)أصله تزينت، فادغمت التاء بالزاى وسكّنت الزاى فاجلبت لها ألف الوصل.

فقوله: (أخذت الأَرْضُ زُخرفها وازَّيّنت)تعبير رائع حيث جعلت

---

۱ ـ يونس:۲۴ـ ۲۵.

(۱۴۷)

الأَرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كلّ لون فاكتستها وتزيّنت بغيرها من ألوان الزين.

قوله: (قادرون عليها)، أى متمكنون من استثمارها والانتفاع بثبوتها.

قوله: (أتاها أمرنا)كناية عن نزول بعض الآفات على الجنات والمزارع حيث يجعلها" حصيداً "شبيهاً بما يحصد من الزرع فى استأصاله.

قوله: (كأن لم تغن)بمنزلة قوله: كأن لم ينبت زرعها.

قوله: (دار السلام)فهو من أوصاف الجنة، لأنّ أهلها سالمون من كل مكروه، بخلاف المقام فانّها دار البلاء.

هذا ما يرجع إلى تفسير مفردات الآية.

وأمّا تفسيرها الجملى، فنقول:

نفترض أرضاً خصبة رابية صالحة لغرس الأشجار وزرع النبات وقد قام صاحبها باستثمارها من خلال غرس كلّ ما ينبت فيها، فلم يزل يتعاهدها بمياه الأمطار والسواقى، فغدت روضة غنّاء مكتظة بأشجار ونباتات متنوعة، وصارت الأرض كأنّها عروس تزيّنت وتبرجت، وأهلها مزهوّون بها يظنّون انّها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزيّنت وانّهم أصحاب الأمر لا ينازعهم فيها منازع. فيعقدون عليها آمالاً طويلة، ولكن فى خضم هذه المراودات يباغتهم أمره سبحانه ليلاً أو نهاراً فيجعل الطرى يابساً، كأنّه لم يكن هناك أى جنة ولا روضة. هذا هو المشبه به والله سبحانه يمثل الدنيا بهذا المثل، وهو انّ الإنسان ربما يغتر بالدنيا ويعوّل الكثير من الآمال عليها مع سرعة زوالها وفنائها، وعدم ثباتها واستقرارها.

(۱۴۸)

يقول موَيد الدين الاصفهانى المعروف بالطغرائى فى لاميته المعروفة بلامية العجم:

ترجو البقاء بدار لا ثبات لهافهل سمعت بظل غير منتقل وقد أسماها سبحانه متاع الحياة الدنيا فى مقابل الآخرة التى أسماها بدار السلام فى الآية التالية، وقال: (الله يدعو إلى دار السلام).

ثمّ إنّه يبدو من كلام الطبرسى انّ هذا التمثيل من قبيل التمثيل المفرد، فذكر أقوالاً:

أحدها : انّه تعالى شبَّه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثمّ الانقطاع.

وثانيها : إنّه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثمّ المصير إلى الزوال عن الجبائى وأبى مسلم.

وثالثها: إنّه تعالى شبَّه الحياة الدنيا بحياة مقدَّرة على هذه الاَوصاف. (۱)

والحقّ أنّه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث يعبر عن عدم الاعتماد والاطمئنان بالدنيا بما جاء فى المثل، وإنّما اللائق بالاعتماد هو دار السلام الذى هو سلام على الإطلاق وليس فيها أى مكروه.

وقد قيّد سبحانه فى الآية دار السلام، بقوله: (عند ربّهم) للدلالة على قرب الحضور وعدم غفلتهم عنه سبحانه هناك.

ويأتى قريب من هذا المثل فى سورة الكهف، أعنى :قوله_____:

۱ ـ مجمع البيان:۳|۱۰۲.

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الاَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذرُوهُ الرّياحُ وَكانَ اللهُ على كُلّ شَىْءٍ مُقْتَدراً). (۱)

وسيوافيك بيانها فى محلها.

ويقرب من هذا ما فى سورة الحديد، قال سبحانه:

(اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولَهْو وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فى الاَمْوالِ وَالاَولادِ كَمَثلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِى الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الحَياةُ الدُّنيا إِلاّ مَتاعُ الغُرُور). (۲)

---

۱ ـ الكهف:۴۵.

۲ ـ الحديد:۲۰.

سورة هود

سورة هود التمثيل التاسع عشر

(إِنَّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات وَأَخْبَتُوا إِلى رَبّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُون * مَثَلُ الفَريقَين كَالاَعْمى وَالاَصَمّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُون). (۱)

تفسير الآيات

يصوّر سبحانه الكافر كالاَعمى والاَصم، والمؤمن بالبصيروالسميع، ثمّ ينفى التسوية بينهما ـ كما هو معلوم ـ غير انّ هذا التمثيل يستقى مما وصف به سبحانه كلا الفريقين بأوصاف خاصة.

فقال فى حقّ الكافر: (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُون). (۲)

والمراد كان لهم أسماعاً وأبصاراً ولكنّهم لم يكونوا يستخدمونها فى سماع الآيات وروَية الحقائق، فنفى الاستطاعة كناية عن عدم استخدام الاَسماع، كما أنّ نفى الاَبصار كناية عنه.

ثمّ إنّه سبحانه وصف المؤمن فى الآية التالية بأوصاف ثلاثة_____:

۱ ـ هود:۲۳ـ ۲۴.

۲ ـ هود:۲۰.

(۱۵۱)

أ: الإيمان بالله .

ب: العمل الصالح.

ج: التسليم إلى الله حيث قال: (وأخبتوا إلى ربّهم).

فالمؤمن الصالح ثمرة من شجرة الإيمان كما انّ التسليم والانقياد والخضوع والاطمئنان لما وعد الله من آثاره أيضاً.

فالمؤمن هو الذى يسمع آياته ويبصرها فى سبيل ترسيخ الإيمان فى قلبه واثماره.

ثمّ إنّه مثّل الكافر و المؤمن بالتمثيل التالى، وقال: (مَثَلُ الفَريقَين كَالأَعْمى والأَصم وَالبَصير وَالسَّميع هَلْ يَسْتَويان مَثلاً أَفَلا تَذَكَّرُون).

أى مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع. ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، لأنّ المؤمن ينتفع بحواسه بأعمالها فى معرفة المنعم وصفاته وأفعاله، والكافر لا ينتفع بها فصارت بمنزلة المعدومة.

ثمّ إنّه وصف الوضع بين الأعمى والأصم كما وصفها بين البصير والسميع، وذلك لإفادة تعدّد التشبيه بمعنى:

أنّ حال الكافر كحال الأعمى.

وحال الكافر أيضاً كحال الأصم.

كما أنّ حال المؤمن كالبصير.

وحاله أيضاً كالسميع.

وحاصل الكلام: انّه لا يستوى البصير والسميع مع الأعمى والأصم، والمؤمن والكافر أيضاً لا يستويان.

سورة الرعد

التمثيل العشرون

التمثيل العشرون

(لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ وَالّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَىءٍ إِلّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الماءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَمَا دُعاءُ الكافِرِينَ إِلّا فِى ضَلالٍ). (۱)

تفسير الآية

تقدم الظرف فى قوله: (لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ) لأجل إفادة الحصر، ويؤيّده ما بعده من نفى الدعوة عن غيره.

كما أنّ إضافة الدعوة إلى الحقّ من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، أى الدعوة الحقّة له ، لأنّ الدعوة عبارة عن توجيه نظر المدعو إلى الداعى، والإجابة عبارة عن إقبال المدعو إليه، وكلا الأمرين يختصان بالله عزّ اسمه. وأمّا غيره فلا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ـ وعند ذاك ـ كيف يمكن أن يجيب دعوة الداعى.

فالنتيجة انّ الدعوة الحقّة التى تستعقبها الإجابة هى لله تبارك و تعالى، فهو حى لا يموت، ومريد غير مكره، قادر على كلّ شىء، غنى عمّن سواه_____.

۱ ـ الرعد:۱۴.

(۱۵۳)

وبذلك يعلم أنّ الدعوة على قسمين : دعوة حقّة ودعوة باطلة، فالحقّة لله ودعوة غيره دعوة باطلة، أمّا لأنّه لا يسمع ولا يريد، أو يسمع ولا يقدر. و أشار إلى القسم الباطل بقوله: (وَالّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجيبُونَ لَهُمْ بِشَيءٍ)، وقد عرفت وجه عدم الاستجابة.

ثمّ إنّه سبحانه استثنى صورة واحدة من عدم الاستجابة، لكنّه استثناء صورى وهو فى الحقيقة تأكيد لعدم الاستجابة، وقال: (إِلّا كَباسِط كَفَيه إِلى الماء لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ).

فدعوة الأصنام والأوثان وطلب الحاجة منهم، أشبه بحال الظمآن البعيد من الماء كالجالس على حافة البئر والباسط كفه داخل البئر ليبلغ الماء فاه، مع البون البعيد بينه و بين الماء.

قال الطبرسى: هذا مثل ضربه الله لكلّ من عبد غير الله ودعاه رجاء أن ينفعه، فانّ مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته، وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعد المسافة بينهما، فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها إليهم ولا يستجيب دعاءهم. (۱)

وربما تفسّر الآية بوجه آخر، ويقال: لا يستجيبون إلّا استجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. (۲)

والظاهر رجحان الوجه الأوّل، لأنّ الآلهة بين جماد لا يشعر أو ملك أو

---

۱ ـ مجمع البيان:۳|۲۸۴.

۲ ـ الكشاف:۲|۱۶۲.

(۱۵۴)

جن أو روح يشعر ولكن لا يملك شيئاً، فهذا الوجه يختص بما إذا كان الإله جماداً لا غير.

ثمّ إنّه سبحانه يقول فى ذيل الآية : (وَما دُعاء الكافرينَ إلّا فى ضَلالٍ)، فانّ الضلال عبارة عن الخروج عن الطريق وسلوك ما لا يوصل إلى المطلوب، ودعاء غيره خروج عن الطريق الموصل إلى المطلوب، لأنّ الغاية من الدعاء هو إيجاد التوجّه ثمّ الإجابة، فالآلهة الكاذبة إمّا فاقدة للتوجّه، وإمّا غير قادرة على الاستجابة، فأى ضلال أوضح من ذلك.

(۱۵۵)

التمثيل الواحد والعشرون

التمثيل الواحد والعشرون

(أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فسالَتْ أَودِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فى النارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ). (۱)

تفسير الآية

"الوادى: "سفح الجبل العظيم، المنخفض الذى يجتمع فيه ماء المطر، ولعل منه اشتقاق الدية، لأنّه جمع المال العظيم الذى يؤدى عن القتيل.

"القدر: "اقتران الشيء بغيره دون زيادة أو نقصان، فإذاكانا متساويين فهو القدر، والقدْر والقَدَرْ لغتان مثل الشَّبْر والشَّبَر.

والاحتمال: رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل.

و"الزبد: "هو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل.

و"الجفاء "ممدوداً يقال: أجفأت القدر بزبدها، إذا ألقَتْ زبدها.

و"الإيقاد: "إلقاء الحطب فى النار_____.

۱ ـ الرعد:۱۷.

(۱۵۶)

"والمتاع "ما تمتّع به.

و"الحق "فى اللغة هو الاَمر الثابت ويقابله الباطل، فالاَوّل بمفهومه الواسع يشمل كلّ موجود أو ناموس ثابت لا يطرأ عليه التحول والتبدل حتى أنّ القوانين الرياضية والهندسية وكثير من المفاهيم الطبيعية إذا كانت على درجة كبيرة من الثبات فهى حقّ لا غبار عليها.

و" المكث: "الكون فى المكان عبر الزمان.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ الآية تمثل للحق والباطل مثلاً واحداً يستبطن تمثيلات متعددة:

الاَوّل: انّ السيل المتدفق من أعالى الجبال الجارى فى الوديان يحمل معه فى سيره زبداً رابياً عليه، فالحقّ كماء السيل والباطل الزبد الطافح عليه.

الثانى: انّ المعادن والفلزات المذابة فى القدر إذا أوقدت عليها النار، تذاب ويعلو عليها الخبث، فالغاية من الإذابة هو فصل المعادن والفلزات النفيسة عن خبثها وزبدها.

وعندئذٍ فالحقّ كالذهب والفضة والمعادن النفيسة والباطل كخبثهاوزبدها الطافح.

الثالث: انّ ما له دوام و بقاء ومكث وينتفع به الناس كالماء وما يتخذ للحلية أو المتاع يمثّل الحق، وما ليس كذلك كزبد السيل وخبث القدر الذى يذهب جفاءً يمثّل الباطل.

وأمّا التفصيل فإليك توضيح الآية:

(أَنْزَلَ مِنَ السماء ماءً فَسالَتْ أَودِيَةٌ) الواقعة فى محل الاَمطار المختلفة فى

(۱۵۷)

السعة والضيق، والكبر والصغر (بقدرها) أى كلّ يأخذ بقدره، ففيضه سبحانه عام لا يحدد وإنّما التحديد فى الآخذ، فكلّ يأخذ بقدره وحده، فقدر النبات يختلف عن قدر الحيوان، وهو عن الإنسان، فكلّ ما يفاض عليه الوجود إنّما هو بقدر قابليته، كما أنّ السيل المنحدر من أعالى الجبال مطلق غير محدد، ولكن يستوعب كل وادٍ من ماء السيل بقدر قابليته وظرفيته.

(فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبداً رابِياً) أى طافياً عالياً فوق الماء.

إلى هنا تمّت الإشارة إلى التمثيل الاَوّل.

ثمّ إنّ الزبد لا ينحصر بالسيل الجارف بل يوجد طافياً على سطح أنواع الفلزات والمعادن المذابة التى تصاغ منها الحلى للزينة والاَمتعة، كما قال سبحانه (ومِمّا يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله).

إلى هنا تمّت الإشارة إلى التمثيل الثانى، كما قال: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحقّ وَالباطل) أى كذلك يوصف الحقّ والباطل ليأخذ طريقه بين الناس، ثمّ أشار إلى التمثيل الثالث وهو انّ من سمات الحق بقاءه وانتفاع الناس به (فَأمّا الزبد فيذهب جفاءً) حيث إنّ زبد السيل وزبد ما يوقدون عليه ينطفئ بعد مدة قصيرة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً فيذهب جفاءً باطلاً متلاشياً.

(وَأمّا ما ينفع الناس فيمكث فى الاَرض) فانّ الماء الخالص أو المعادن الخالصة التى فيها انتفاع الناس يمكث فى الاَرض.

ثمّ إنّه سبحانه ختم الآية بقوله: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الاَمْثال) وقد مرّ فى المقدمات معنى ضرب المثل، وقلنا انّ المراد هو وصف حال المشبه وبيانه.

هذا ما يرجع إلى تفسير ظاهر الآية، لكن الآية من غرر الآيات القرآنية

(۱۵۸)

التى تبحث عن طبيعة الحقّ والباطل وتكونهما وكيفية ظهورهما والآثار المترتبة عليهما، ولا بأس بالإشارة إلى ما يمكن الاستفادة من الآية.

۱. انّ الإيمان والكفرمن أظهر مصاديق الحق والباطل، ففى ظل الإيمان بالله تبارك و تعالى حياة للمجتمع وإحياء للعدل، والعواطف الإنسانية، فالأُمّة التى لم تنل حظها من الإيمان يسودها الظلم والأنانية وانفراط الأواصر الإنسانية التى تعصف بالمجتمع الإنسانى إلى الهاوية.

۲. انّ الزبد أشبه بالحجاب الذى يستر وجه الحقّ مدة قصيرة، فسرعان ما يزول وينطفئ ويظهر وجه الحقيقة أى الماء و الفلزات النافعة. فهكذا الباطل ربما يستر وجه الحقيقة من خلال الدعايات المغرضة، ولكنّه لا يمكث طويلاً فيزول كما يزول الزبد، يقول سبحانه: (وَقُلْ جَاءَ الحَقّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً). (۱)

وقال تعالى: (وَيَمْحُ اللهُ الباطِلَ وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ). (۲)

۳. انّ الماء والفلزات منبع البركات والخيرات له، والزبد خبث لا ينتفع منه، فهكذا الحق والباطل، فما هو الحقّ كالإيمان و العدل ينتفع به الناس، وأمّا الباطل كالكفر والظلم لا ينتفع منه الناس.

۴. انّ الماء فيض مادى يفيضه الله سبحانه إلى السماء على الوديان والصحارى، فكل يأخذ بمقدار سعته، فالوادى الكبير يستوعب ماء كثيراً بخلاف الوادى الصغير فلا يستوعب سوى قليلاًمن الماء وهكذا الحال فى الأرواح والنفوس فكل نفس تنال حظها من المعارف الإلهية حسب قابليتها، فهناك نفس

---

۱ ـ الإسراء:۸۱.

۲ ـ الشورى:۲۴.

(۱۵۹)

كعرش الرحمن ونفس أُخرى من الضيق بمكان يقول سبحانه: (ولَقَدْ خَلَقكُمْ أَطواراً).

وفى الحديث النبوى" : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. ("۱)

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل": إنّ هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها.("۲)

فالمعارف الإلهية كالسيل المتدفق والقلوب كالأودية المختلفة.

ويمكن أن يكون قوله (بقدرها) إشارة إلى نكتة أُخرى، وهى انّ الماء المتدفق هو ماء الحياة الذى ينبت به الزرع والأشجار المثمرة فى الأراضى الخصبة. دون الأراضى السبخة التى لا ينبت فيها إلاّ الأشواك.

۵. انّ الماء يمكث فى الأرض وينفذ فى أعماقها ويبقى عبر القرون حتى ينتفع به الناس من خلال استخراجه، فهكذا الحقّ فهو ثابت لا يزول، ودائم لا يضمحل، على طرف النقيض من الباطل، فللحق دولة وللباطل جولة.

۶. انّ الباطل ينجلى بأشكال مختلفة، كما أنّ الزبد يطفو فوق الماء والمعدن المذاب بأنحاء مختلفة، فالحقّ واحد وله وجه واحد،أمّا الباطل فله وجوه مختلفة حسب بعده من الحقّ وتضادّه معه.

۷. انّ الباطل فى وجوده رهن وجود الحقّ، فلولا الماء لما كان هناك زبد، فالآراء والعقائد الباطلة تستمد مقوماتها من العقائد الحقّة من خلال إيجاد تحريف فى أركانها و تزييفها، فلو لم يكن للحقّ دولة لما كان للباطل جولة، وإليه يشير سبحانه: (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً_____).

۱ ـ بحار الأَنوار:۴|۴۰۵.

۲ ـ نهج البلاغة: قسم الحكم، برقم ۱۲۷.

(۱۶۰)

۸. انّ فى تشبيه الحقّ بالماء والباطل بالزبد إشارة لطيفة إلى أنّ الباطل كالزبد، فكما أنّه ينعقد فى الماء الذى له هيجان واضطراب والذى لا يجرى على منوال هادىَ، فهكذا الباطل إنّما يظهر فى الأَوضاع المضطربة التى لا يسودها أى نظام أو قانون.

۹. انّ حركة الباطل وإن كانت موَقتة إنّما هى فى ظل حركة الحقّ ونفوذه فى القلوب، فالباطل يركب أمواج الحق بغية الوصول إلى أهدافه، كما أنّ الزبد يركب أمواج الماء ليحتفظ بوجوده.

۱۰. انّ الباطل بما انّه ليس له حظ فى الحقيقة ، فلو خلص من الحقيقة فليس بإمكانه أن يظهر نفسه، ولو فى فترة قصيرة، ولكنّه يتوسم من خلال مزجه بالحقّ حتى يمكن له الظهور فى المجتمع، ولذلك فالزبد يتكون من أجزاء مائية، فلو خلص منها لبطل، فهكذا الباطل فى الآراء والعقائد.

قال أمير الموَمنين على (عليه السلام) :

"فلو انّ الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، و لو انّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين،ولكن يوَخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى. ("۱)

XXX

ثمّ إنّ بعض من كتب فى أمثال القرآن جعل قوله سبحانه : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الّتى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّهُا تِلْكَ عُقْبَى الّذينَ اتَّقَوا

---

۱ ـ نهج البلاغة، الخطبة ۴۹.

(۱۶۱)

وَعُقْبَى الْكافِرينَ النّارُ). (۱) من الأَمثال.

ولكن الظاهر انّه ليس من باب التمثيل، لأَنّه فرع وجود مشبه ومشبه به مع أنّ الآية هى بصدد بيان جزاء المتقين والكافرين، فقال: إنّ جزاء المتقين هو انّهم يسكنون الجنة التى تجرى من تحتها الأَنهار وأُكلها وظلها دائم.

وهذا بخلاف الكافرين فانّ عقباهم النار، وليست هاهنا أُمور أربعة بل لا تتجاوز الاثنين، وعلى ذلك فيكون المثل بمعنى الوصف، أى حال الجنة ووصفها التى وعد المتقون هو هذا.

نعم ذكر الطبرسى وجهاً ربما يصح به عدّ الآية مثلاً، فلاحظ. (۲_____)

۱ ـ الرعد:۳۵.

۲ ـ مجمع البيان:۳|۲۹۶.

(۱۶۲)

سورة إبراهيم

التمثيل الثانى والعشرون

التمثيل الثانى والعشرون

(مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرّيحُ فى يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا عَلى شَىءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيد). (۱)

تفسير الآيۀ

"العصف :"شدۀ الريح، يوم عاصف أى شديد الريح ،وإنّما جعل العصف صفۀ لليوم مع أنّه صفۀ للريح لاَجل المبالغۀ، وكأنّ عصف الريح صار بمنزلۀ جعل اليوم عاصفاً، كما يقال: ليل غائم ويوم ماطر.

انّه سبحانه يشبّه عمل الكافرين فى عدم الانتفاع به برماد فى مهب الريح العاصف، فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق، فكذلك هوَلاء الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شىء فلا ينتفعون بأعمالهم البتۀ.

وقال سبحانه فى آيۀ أُخرى: (وَقَدِمْنَا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً). (۲)

والمراد من أعمالهم ما يعد صالحاً فى نظر العرف كصلۀ الاَرحام وعتق

---

۱ ـ إبراهيم:۱۸.

۲ ـ الفرقان:۲۳.

الرقاب وفداء الاُسارى وإغاثۀ الملهوفين، لاَنّهم بنوا أعمالهم على غير معرفۀ الله والاِيمان به فلا يستحقون شيئاً عليه.

وأمّا الاَعمال التى تعد من المعاصى الموبقۀ، فهى خارجۀ عن مصبّ الآيۀ لوضوح حكمها.والآيۀ دليل على أنّ الكافر لا يثاب بأعماله الصالحۀ يوم القيامۀ إذا أتى بها لغير وجه الله .

نعم لو أتى بها طلباً لرضاه ورضوانه فلا غرو فى أن يثاب به ويكون سبباً لتخفيف العذاب.

التمثيل الثالث والعشرون

التمثيل الثالث والعشرون (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِى السَّماءِ * تُؤْتى أُكُلَهَا كُلَّ حينٍ بِإِذْنِ رِبّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الاَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون). (۱)

تفسير الآيات

انّه سبحانه تبارك و تعالى مثل للحق و الباطل، أو الكفر والاِيمان بتمثيلات مختلفۀ، وقد جاء التمثيل فى هذه الآيۀ بأنّ مثل الاِيمان كشجرۀ لها الصفات التالية:

أ: انّها طيبۀ: أى طاهرۀ ونظيفۀ فى مقابل الخبيثۀ، فانّ الشجر على قسمين: منها ما هو طيب الثمار كالتين والنخل والزيتون وغيرها، ومنها ما هو خبيث الثمار كالحنظل.

ب: أصلها ثابت، أى لها جذور راسخۀ فى أعماق الاَرض لا تزعزعها العواصف الهوجاء ولا الاَمواج العاتيۀ.

ج: فرعها فى السماء، أى لها أغصان مرتفعۀ، فهى بجذورها الراسخۀ تحتفظ بأصلها وبفروعها فى السماء و تنتفع من نور الشمس والهواء والماء_____.

۱ ـ إبراهيم:۲۴ـ ۲۵.

وهذه الفروع والاَغصان من الكثرة بحيث لا يزاحم أحدها الآخر، كما أنّها لا تتلوث بما على سطح الاَرض.

د: (تعطى أُكلها كل حين) أى فى كلّ فصل وزمان، لا بمعنى كلّ يوم وكل شهرحتى يقال بأنّه ليس على وجه البسيطة شجرة مثمرة من هذا النوع.

وبعبارة أُخرى: انّ مثل هذه الشجرة لا تبخس فى عطائها، بل هى دائمة الاَثمار فى كل وقت وقّته الله لاثمارها.

هذا حال المشبه به، وأمّا حال المشبه، فقد اختلفت كلمتهم إلى أقوال لا يدعمها الدليل، والظاهر انّ المراد من المشبه هو الاعتقاد الحقّ الثابت، أعنى التوحيد والعدل وما يلازمهما من القول بالمعاد.

فهذه عقيدة ثابتة طيبة لا يشوبها شىء من الشرك والضلال ولها ثمارها فى الحياتين.

والذى يدل على ذلك هو انّه سبحانه ذكر فى الآية التالية، قوله : (يُثَبِّتُ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَفِى الآخِرَةِ)(۱)، وهذا القول الثابت عبارة عن العقيدة الصالحة التى تمثلها كلمة التوحيد والشهادة بالمعاد وغيرهما، قال السيد الطباطبائى:

القول بالوحدانية والاستقامة عليه، هو حقّ القول الذى له أصل ثابت محفوظ عن كلّ تغير وزوال وبطلان، وهو الله عزّ اسمه أو أرض الحقائق، و له فروع نشأت ونمت من غير عائق يعوقه عن ذلك من عقائد حقة فرعية وأخلاق زاكية وأعمال صالحة يحيا بها المؤمن حياته الطيبة ويعمر بها العالم الاِنسانى

---

۱ ـ إبراهيم:۲۷.

حق عمارته، وهى التى تلائم سير النظام الكونى الذى أدى إلى ظهور الاِنسان بوجوده المنظور على الاعتقاد الحق والعمل الصالح. (۱) ثمّ إنّه سبحانه ختم الآية بقوله: (وَيَضْرِبُ اللهُ الاَمْثال للنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون)، أى ليرجعوا إلى فطرتهم فيتحقّقوا من أنّ السعادة رهن الاعتقاد الصحيح المثمر فى الحياتين.

وبذلك يعلم انّ ما ذكره بعض المفسرين بأنّ المراد كلمة التوحيد لا يخالف ما ذكرنا، لاَنّ المراد هو التمثل بكلمة التوحيد لا التلفظ بها وحده حتى أنّ قوله سبحانه: (إِنَّ الّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون) (۲) تلا يراد منه التحقّق بقوله (ربّنا الله) لا التلفظ بها، وقد أشار سبحانه إلى العقيدة الصحيحة، بقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيّبُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ)(۳)

فالكلم الطيّب هو العقيدة، والعمل الصالح يرفع تلك العقيدة.

وبذلك يعلم أنّ كلّ عقيدة صحيحةلها جذور فى القلوب، ولها فروع وأغصان فى حياة الاِنسان ولهذه الفروع ثمار، فالاعتقاد بالواجب العادل الحكيم المعيد للاِنسان بعد الموت يورث التثبت فى الحياة والاجتناب عن الظلم والعبث والفساد إلى غير ذلك من العقائد الصالحة التى لها فروع.

إلى هنا تمّ المثل الاَوّل للمؤمن والكافر أو للاِيمان والكفر_____.

۱ ـ الميزان:۱۲|۵۲.

۲ ـ الاَحقاف:۱۳.

۳ ـ فاطر:۱۰.

وربما يقال: الرجال العظام من المؤمنين هم كلمة الله الطيبة، وحياتهم أصل البركة، ودعوتهم توجب الحركة، آثارهم وكلماتهم وأقوالهم وكتبهم وتلاميذهم وتاريخهم... وحتى قبورهم جميعها ملهمة وحيّة ومربّية.

ولكن سياق الآيات لا يؤيده، لاَنّه سبحانه يفسر الكلمة الطيبة بما عرفت، أعنى قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة

الدنيا وفى الآخرة).

والمراد من القول الثابت هو الكلمة الطيبة ، وقلب المؤمن هو الأرض الطيبة التى ترسخ فيها جذور تلك الشجرة.

(۱۶۸)

التمثيل الرابع والعشرون

التمثيل الرابع والعشرون

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ منْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَار). (۱)

تفسير الآية

مثّل سبحانه تبارك وتعالى للعقيدة الصالحة بالمثل السابق ومقتضى الحال أن يمثل للعقيدة الباطلة بضد المثل السابق، فهى على طرف النقيض مما ذكر فى الآية السابقة، وإليك البيان:

فالكفر كشجرة لها هذه الأوصاف:

أ: انّها خبيثة مقابلة الطيبة، أى لا يطيب ثمارها كشجرة الحنظل.

ب: (اجتثت من فوق الأرض) فى مقابل قوله (أصلها ثابت) وحقيقة الاجتثاث هى اقتلاع الشىء من أصله ، أى اقتطعت واستؤصلت واقتلعت جذورها من الأرض.

ج: (ما لها من قرار) أى ليس لتلك الشجرة من ثبات، فالريح تنسفها وتذهب بها، وبالتالى ليس لها فروع وأغصان أو ثمار.

---

۱ ـ إبراهيم:۲۶.

(۱۶۹)

هذا هو المشبه به، وأمّا المشبه فهو عبارة عن العقيدة الضالة الكافرة التى لا تعتمد على برهان ولا دليل، يزعزعها أدنى شبهة وشك.

فينطبق صدر الآية التالية على التمثيل الأوّل، وذيله على التمثيل التالى، أعنى: قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) هذا هو المنطبق على التمثيل الأوّل

وأمّا المنطبق على التمثيل الثانى فهو قوله: (وَيُضِلُّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) أى يضل أهل الكتاب بحرمانهم من الهداية، وذلك لأجل قصورهم فى الاستفادة عن الهداية العامة التى هى متوفرة لكل إنسان، أعنى: الفطرة ودعوة الأنبياء.

وقوله: (يفعل الله ما يشاء) بمعنى انّه تعلّقت مشيئته بتثبيت المؤمنين وتأييدهم وإضلال الظالمين وخذلانهم، ولم تكن مشيئته عبثاً وإنّما نابعة من حكمة بالغة.

(۱۷۰)

التمثيل الخامس والعشرون

التمثيل الخامس والعشرون

(وَأَنذِرِ النّاسَ يَوم يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الّذينَ ظَلَمُوا رَبّنَا أَخّرْنَا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوال *وَسَكَنْتُمْ فِى مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الأَمْثالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولَ مِنْهُ الجِبال). (۱)

تفسير الآيات

إنّ الآية تمثل حال قوم شاهدوا نزول جزء من العذاب والبلاء فعادوا يظهرون الندم على أعمالهم البغيضة ويطلبون الإمهال حتى يتلافوا ما فاتهم من الإيمان والعمل الصالح، كما يحكى عنه سبحانه، ويقول: (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أى مشاهدة نزول العذاب فى الدنيا بشهادة استمهالهم، كما فى قوله تعالى: (فَيقول الذين ظلموا ربّنا أخّرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك و نتبع الرسل).

فيرد دعوتهم بأنّ هذا الطلب ليس طلباً صادقاًوإنّما ألجأهم إليه روَية

---

۱ ـ إبراهيم:۴۴ـ ۴۶.

العذاب.

فيخاطبهم سبحانه بقوله: (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال).

وعلى ما ذكرنا يكون مفاد الآية : حلفتم قبل نزول العذاب بأنّه ليس لكم زوال من الراحة إلى العذاب، وظننتم انّكم بما تمتلكون من القوة والسطوة أُمّة خالدة مالكة لزمام الأُمور، فلماذا تستمهلون؟ ثمّ يخاطبهم بجواب آخر وهو قوله: (وَسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) أى سكنتم ديار من كذب الرسل فأهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء و الهلاك والعذاب كقوم عاد وثمود، وضربنا لكم الأمثال وأخبرناكم بأحوال الماضين لتعتبروا فلم تتعظوا.

وعلى ذلك فالمشبه به هو حال الأُمم الهالكة بأفعالهم الظالمة.

والمشبه هو الأُمم اللاحقة لهم الذين رأوا العذاب فاستمهلوا الأجل وندموا ولات حين مناص.

سورة النحل

التمثيل السادس والعشرون

التمثيل السادس والعشرون (وَيَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمّا رَزَقْناهُم تَاللهِ لَتُسئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَه وَلَهُمْ ما يَشْتَهون * وإِذا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيم * يَتوارَى مِنَ القَومِ مِنْ سُوءِ ما بُشّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدسُّهُ فِى التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُون * لِلَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَة مثلُ السَّوءِ وَللهِ المَثَلُ الأَعلى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكيم) . (۱)

تفسير الآيات

إنّ الله سبحانه هو الواجب الغنى عن كل من سواه، قال سبحانه: (يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيد) (۲) فلا يصحّ وصفه بما يستشمُّ منه الفقر والحاجة، لكن المشركين غير العارفين بالله كانوا يصفونه بصفات فيها وصمة الفقر والحاجة، و قد حكاها سبحانه فى غير واحد من الآيات، فقال: (وَجَعَلُوا للهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعامِ نَصِيباً فَقَالُوا هذا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهذا لِشُرَكائِنا فَمَا كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللهِ وَمَا كانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ سَاءَ ما يَحْكُمُون). (۳)

۱ ـ النحل:۵۶ـ۶۰.

۲ ـ فاطر: ۱۵.

۳ ـ الأنعام:۱۳۶.

فقد أخطأوا فى أمرين:

أ: فرز نصيب لله من الحرث والأنعام ،وكأنّه سبحانه فقير يجعلون له نصيباً ممّا يحرثون و يربّون من أنعامهم.

ب: الجور فى التقسيم و القضاء، فيعطون ما لله إلى الشركاء دون العكس، وما هذا إلّا لجهلهم بمنزلته سبحانه وأسمائه وصفاته.

وقد أشار إلى ما جاء تفصيله فى سورة الأنعام على وجه موجز فى المقام، وقال: (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمّا رَزَقْناهُمْ تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَفتَرُون).

ونظير ما سبق انّهم كانوا يبغضون البنات ويجعلونها لله ، ويحبون البنين ويجعلونهم لأنفسهم، وإليه يشير سبحانه بقوله: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ البَناتِ سُبحانهُ وَلَهُم ما يَشتَهُون) والمراد من الموصول فى (ما يشتهون) هو البنون، وبذلك تبيّن معنى قوله سبحانه: (لِلّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوء) أى انّ المشركين المنكرين للآخرة يصفونه سبحانه بصفات السوء التى يستقبحها العقل ويذمّها، وقد عرفت كيفية وصفهم له فوصفوه عند التحليل بالفقر والحاجة والنقص والإمكان، والله سبحانه هو الغنى المطلق، فهو أعلى من أن يوصف بأمثال السوء، ولكن الموحّد يصفه بالكمال كالحياة والعلم والقدرةوالعزّة والعظمة والكبرياء، والله سبحانه عند المؤمنين (هُوَ الْمَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الجَبّارُ الْمتَكَبّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوّرُ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى) (۱) و يقول سبحانه: (وَلَهُ المَثَلُ الأعلى

---

۱ ـ الحشر:۲۳ـ ۲۴.

فِى السَّموات وَالأَرض) (۱) وقال: (لَهُ الأَسماءُ الحُسْنى). (۲)

ومنه يظهر جواب سؤال طرحه الطبرسى فى" مجمع البيان ، "وقال: كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه (وَلله المثل الأعلى) وقوله: (فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون). (۳)

والجواب انّ المراد من ضرب الأمثال هو وصفه بما يدل على فقره وحاجته أو تشبيهه بأُمور ماديـة، وقد تقدم انّ المشركين جعلوا له نصيباً من الحرث والأنعام، كما جعلوا الملائكة بناتاً له، يقول سبحانه: (وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الّذينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمن اناثاً) ، (۴) ويقول سبحانه: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنّةِ نَسباً). (۵) إلى غير ذلك من الصفات التى يتنزه عنها سبحانه، فهذا النوع من التمثيل أمر محظور، وهو المراد من قوله (فَلا تَضْرِبُوا لله الأَمْثال).

وأمّا التمثيل لله سبحانه بما يناسبه كالعزّةوالكبرياء والعلم والقدرة إلى غير ذلك، فقد أجاب عليه القرآن ولم ير فيه منعاً وحظراً، بشهادة انّه سبحانه بعد هذا الحظر أتى بتمثيلين لنفسه، كما سيتضح فى التمثيل الآتى.

وربما يذكر فى الجواب بأنّ الأمثال فى الآية جمع" المِثْل "بمعنى" الند، "فوزان قوله (لا تضربوا لله الأمثال) كوزان قوله : (فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً) (۶)، ولكنّه معنى بعيد، فانّ المثل بفتح العين يستعمل مع الضرب، دون المثل بسكون

---

۱ ـ الروم:۲۷.

۲ ـ طه:۸.

۳ ـ النحل:۷۴.

۴ ـ الزخرف:۱۹.

۵ ـ الصافات:۱۵۸.

۶ ـ البقرة:۲۲.

العين بمعنى الند فلم يشاهد اقترانه بكلمة الضرب.

ويقرب ممّا ذكرنا كلام الشيخ الطبرسى حيث يقول:

إنّ المراد بالأمثال الأشباه، أى لا تشبّهوا الله بشىء، و المراد بالمثل الأعلى هنا الوصف الأعلى الذى هو كونه قديماً قادراً عالماًحياً ليس كمثله شىء.

وقيل إنّ المراد بقوله: (المثل الأعلى) : المثل المضروب بالحق، وبقوله: (فلا تضربوا لله الأمثال) : الأمثال المضروبة بالباطل. (۱)

وفى الختام نودُّ أن نشير إلى نكتة، وهى انّ عدّ قوله سبحانه (للّذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) من قبيل الأمثال القرآنية لا يخلو من غموض، لأنّ الآية بصدد بيان نفى وصفه بصفات قبيحة سيئة دون وصفه بصفات عليا فأين التمثيل؟

إلاّ أن يقال: إنّ التشبيه ينتزع من مجموع ما وصف به المشركون، حيث شبّهوه بإنسان له حاجة ماسّة إلى الزرع والأنعام وله بنات ونسبة مع الجن إلى غير ذلك من أمثال السوء، فالآية بصدد ردّ هذا النوع من التمثيل، وفى الحقيقة سلب التمثيل، أو سوق المؤمن إلى وصفه سبحانه بالأسماء الحسنى والصفات العليا_____.

۱ ـ مجمع البيان:۳|۳۶۷.

(۱۷۶)

التمثيل السابع و العشرون

التمثيل السابع و العشرون (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ *فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمن رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَستَوون الحمدُ للهِ بَلْ أَكْثَرهُمْ لا يَعْلَمُون). (۱)

تفسير الآيات

نـدّد سبحانه بعمل المشركين الذين يعبدون غير الله سبحانه، بأنّ معبوداتهم لا تملك لهم رزقاً ولا نفعاً ولا ضراً، فكيف يعبدونها مع أنّها أشبه بجماد لا يرجى منها الخير والشر، وإنّما العبادة للإله الرازق المعطى المجيب للدعوة ؟

هذا هو المفهوم من الآية الأُولى.

ثمّ إنّه سبحانه يمثّل لمعبود المشركين والمعبود الحق بالتمثيل التالى:

افرض مملوكاً لا يقدر على شىء ولا يملك شيئاً حتى نفسه، فهو بتمام معنى الكلمة مظهر الفقر والحاجة، ومالكاً يملك الرزق ويقدر على التصرف فيه، فيتصرف فى ماله كيف شاء وينعم كيف شاء. فهل هذان متساويان؟ كلاّ_____.

۱ ـ النحل:۷۳ـ ۷۵.

(۱۷۷)

وعلى ضوء ذلك تمثّل معبوداتهم الكاذبة مثل العبد الرق المملوك غير المالك لشىء، ومثله سبحانه كمثل المالك للنعمة الباذل لها المتصرف فيها كيف شاء.

وذلك لأنّ صفة الوجود الإمكانى ـ أى ما سوى الله ـ نفس الفقر والحاجة لا يملك شيئاً ولا يستطيع على شىء.

وأمّا الله سبحانه فهو المحمود بكلّ حمد والمنعم لكلّ شىء، فهو المالك للخلق والرزق والرحمة والمغفرة والإحسان والإنعام، فله كلّ ثناء جميل، فهو الربّ ودونه هو المربوب، فأيّهما يصلح للخضوع والعبادة؟

ويدل على ما ذكرنا انّه سبحانه حصر الحمد لنفسه، وقال: الحمد لله أى لا لغيره، فالحمد والثناء ليس إلاّ لله سبحانه، و مع ذلك نرى صحة حمد الآخرين بأفعالهم المحمودة الاختيارية، فنحمد المعطى بعطائه والمعلم لتعليمه والوالد لما يقوم به فى تربية أولاده.

وكيفية الجمع انّ حمد هوَلاء تحميد مجازى، لاَنّ ما بذله المنعم أو المعلم أو الوالد لم يكن مالكاً له، وإنّما يملكه سبحانه فهو أقدرهم على هذه الاَعمال، فحمد هوَلاء يرجع إلى حمده وثنائه سبحانه، ولذلك صح أن نقول: إنّ الحمد منحصر بالله لا بغيره.ولذلك يقول سبحانه فى تلك الآية: (وَالحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرهُمْ لا يَعْلَمُون) أى الشكر لله على نعمه، يقول الطبرسى: وفيه إشارة إلى أنّ النعم كلّها منه. (۱_____)

۱ ـ مجمع البيان:۳|۳۷۵.

(۱۷۸)

التمثيل الثامن والعشرون

التمثيل الثامن والعشرون (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَىءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَينَمَا يُوَجّهُهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقيم). (۱)

تفسير الآية

كان التمثيل السابق يبيّن موقف الآلهة الكاذبة بالنسبة إلى العبادة والخضوع وموقفه تبارك و تعالى حيالها، ولكن هذا التمثيل جاء لبيان موقف عبدة الاَصنام والمشركين وموقف المؤمنين والصادقين، فيشبّه الاَوّل بالعبد الاَبكم الذى لا يقدر على شىء، ويشبّه الآخر بإنسان حرّ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.

نفترض عبداً رِقاً له هذه الصفات :

أ: أبكم لا ينطق وبالطبع لا يسمع لما فى الملازمة بين البكم وعدم السماع، بل الاَوّل نتيجة الثانى، فإذا عطل جهاز السمع يسرى العطل إلى اللسان أيضاً، لاَنّه إذا فقد السمع فليس بمقدوره أن يتعلم اللغة.

ب: عاجز لا يقدر على شىء، ولو قلنا بإطلاق هذا القيد فهو أيضاً لا

---

۱ ـ النحل:۷۶.

(۱۷۹)

يبصر، إذ لو أبصر لا يصح فى حقّه انّه لا يقدر على شىء.

ج: (كَلّ على مولاه) : أى ثقل ووبال على وليّه الذى يتولّى أمره.

د: (أَينما يُوجّهه لا يَأْتِ بِخَير) لعدم استطاعته أن يجلب الخير، فلا ينفع مولاه، فلو أرسل إلى أمر لا يرجع بخير.

فهذا الرق الفاقد لكلّ كمال لا يرجى نفعه ولا يرجع بخير.

وهناك إنسان حرٌّ له الوصفان التاليان :

أ: يأمر بالعدل.

ب: وهو على صراط مستقيم.

أمّا الاَوّل، فهو حاك عن كونه ذا لسان ناطق، وإرادة قوية، وشهامة عالية يريد إصلاح المجتمع، فمثل هذا يكون مجمعاً لصفات عليا، فليس هو أبكمَ ولا جباناً ولا ضعيفاً ولا غير مدرك لما يصلح الاُمة والمجتمع. فلو كان يأمر بالعدل فهو لعلمه به فيكون معتدلاً فى حياته وعبادته ومعاشرته التى هى رمز الحياة.

وأمّا الثانى: أى كونه على صراط مستقيم، أى يتمتع بسيرة صالحة ودين قويم.

فهذا المثل يبيّن موقف المؤمن والكافر من الهداية الاِلهية، وقد أشار سبحانه إلى مغزى هذا التمثيل فى آية أُخرى، وقال: (أَفَمَنْ يَهْدِى

إلى الحَقِّ أحَقُّ أن يُتَّبَعَ أمَّن لا يَهِدِّى إلاّ أن يُهَدى فَما لكَمْ كَيْفَ تَحْكَمُون). (۱)

هـذا التفسير مبنى على أنّ التمثيل بصـدد بيان موقف الكافر والمؤمن غير انّ هناك احتمالاً آخر، وهو انّ التمثيل تأكيد للتمثيل السابق وهو تبيين موقف الآلهة الكاذبة و الإله الحق_____.

۱ ـ يونس:۳۵.

(۱۸۰)

التمثيل التاسع والعشرون

التمثيل التاسع والعشرون

(وَأَوْفُوا بِعَهْـدِ اللهِ إِذَا عَاهَـدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَ يْمَانَ بَعْدَ تَوكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُون * وَلا تَكُونُوا كالّتى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوةٍ أَنكاثـاً تَتَّخِـذُونَ أَيْمَـانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أن تَكُونَ أُمّـةٌ هِى أَرْبى مِنْ أُمّـةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون). (۱)

تفسير الآيات

التوكيـد: التشديد، يقال أوكدها عقدك، أى شدّك، وهى لغة أهل الحجاز و"الأنكاث: "الانقاض، وكلّ شـىء نقض بعد الفتح، فقد انكاث حبلاً كان أو غزلاً.

و"الدخل "ما أُدخل فى الشـىء على فساد، وربما يطلق على الخديعة، وإنّمااستعمل لفظ الدخل فى نقض العهد، لأنّه داخل القلب على ترك البقاء، وقد نقل عن أبى عبيدة، انّه قال: كلّ أمر لم يكن صحيحاً فهو دخل، وكلّ ما دخله عيب فهو مدخول.

هذا ما يرجع إلى تفسير لغات الآية وجملها_____.

۱ ـ النحل:۹۱ ـ ۹۲.

(۱۸۱)

وأمّا شأن نزولها فقد نقل عن الكلبى أنّها امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار، ثمّ تأمرهنَّ أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها، واسمها" ريطة "بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، وكانت تسمّى فرقاء مكة. (۱)

إنّ لزوم العمـل بالميثاق من الأُمور الفطريـة التى جُبل عليها الإنسان، ولـذلك نرى أنّ الوالـد إذا وعـد ولـده شـيئاً، ولم يف به فسوف يعترض عليه الولد، وهذا كاشف انّ لزوم العمل بالمواثيق والعهود أمر فطر عليه الإنسان.

ولذلك صار العمل بالميثاق من المحاسن الأخلاقية التى اتّفق عليها كافة العقلاء.

وقد تضافرت الآيات على لزوم العمل به خصوصاً إذا كان العهد لله ، قال سبحانه: (وَأَوفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كانَ مَسْوَولاً) (۲)

وقال تعالى: (وَالّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُون). (۳)

وفى آية ثالثة: (وَأَوفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ). (۴)

وفيما نحن فيه يأمر بشىء وينهى عن آخر.

أ: فيقول (أَوفُوا بِعَهْـدِ اللهِ إِذا عاهَـدْتُمْ) فيأمر بالوفاء بعهـد الله ، أى العهود التى يقطعها الناس مع الله تعالى. ومثله العهـد الذى يعهده مع النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة المسلمين، فكلّ ذلك عهود إلهية وبيعة فى طريق طاعة الله سبحانه_____.

۱ ـ الميزان:۱۲|۳۳۵.

۲ ـ الإسراء:۳۴.

۳ ـ المؤمنون:۸.

۴ ـ البقرة:۴۰.

(۱۸۲)

ب: (وَلا تَنْقُضُوا الاَ ْيمان بَعْد تَوكيدها) فالاَيمان جمع يمين.

فيقع الكلام فى الفرق بين الجملتين، والظاهر اختصاص الاُولى بالعهود التى يبرمها مع الله تعالى، كما إذا قال: عاهدت الله لاَفعلنّه، أو عاهدت الله أن لا أفعله.

وأمّا الثانية فالظاهر انّ المراد هو ما يستعمله الاِنسان من يمين عند تعامله مع عباد الله .

وبملاحظة الجملتين يعلم أنّه سبحانه يوَكد على العمل بكلّ عهد يبرم تحت اسم الله ، سواء أكان لله سبحانه أو لخلقه.

ثمّ إنّه قيّد الاَيمان بقوله: بعد توكيدها، وذلك لاَنّ الاَيمان على قسمين: قسم يطلق عليه لقب اليمين،بلا عزم فى القلب وتأكيد له، كقول الاِنسان حسب العادة والله وبالله .

والقسم الآخر هو اليمين الموَكد، وهو عبارة عن تغليظه بالعزم والعقد على اليمين، يقول سبحانه: (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الاَ ْيمان). (۱)

ثمّ إنّه سبحانه يعلّل تحريم نقض العهد، بقوله: (وَقَد جَعَلتم الله علَيكم كفيلاً انّ الله يعلم ما تَفْعلون) أى جعلتم الله كفيلاً بالوفاء فمن حلف بالله فكأنّه أكفل الله بالوفاء.

فالحالف إذا قال: والله لاَفعلنّ كذا، أو لاَتركنّ كذا، فقد علّق ما حلف عليه نوعاًمن التعليق على الله سبحانه، وجعله كفيلاً عنه فى الوفاء لما عقد عليه_____

۱ ـ المائدة:۸۹.

(۱۸۳)

اليمين، فإن نكث ولم يفِ كان لكفيله أن يوَدبه، ففى نكث اليمين، إهانة وإزراء بساحة العزة.

ثمّ إنّه سبحانه يرسم عمل ناقض العهد بامرأة تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً، قال: (وَلاتَكُونُوا كَالّتى نَقَضَت غزلها مِنْ بعْدِ قُوّة أنكاثاً) مشيراً إلى المرأة التى مضى ذكرها و بيان عملها حيث كانت تغزل ما عندها من الصوف والشعر، ثمّ تنقض ما غزلته، وقد عرفت فى قوله بـ"الحمقاء "فكذلك حال من أبرم عهداً مع الله وباسمه ثمّ يقدم على نقضه، فعمله هذا كعملها بل أسوأ منها حيث يدل على سقوط شخصيته وانحطاط منزلته.

ثمّ إنّه سبحانه يبين ما هو الحافز لنقض اليمين، ويقول إنّ الناقض يتخذ اليمين واجهة لدخله وحيلته أوّلاً ، ويبغى من وراء نقض عهده ويمينه أن يكون أكثر نفعاً ممّا عهد له ولصالحه ثانياً، يقول سبحانه: (تَتَّخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أُمّة هى أربى من أُمّة) فقوله" أربى "من الربا بمعنى الزيادة، فالناقض يتخذ أيمانه للدخل والغش، ينتفع عن طريق نقض العهد وعدم العمل بما تعهد، ولكن الناقض غافل عن ابتلائه سبحانه، كما يقول سبحانه: (إنّما يبلوكم الله به وليبيّنَنَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون).

أى انّ ذلك امتحان إلهى يمتحنكم به، وأقسم ليبيّنن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فتعلمون عند ذلك حقيقة ما أنتم عليه اليوم من التكالب على الدنيا وسلوك سبيل الباطل لاِماطة الحق، ودحضه ويتبين لكم يومئذ من هو الضال و من هوا لمهتدى. (۱)

---

۱ ـ الميزان:۱۲|۳۳۶.

(۱۸۴)

التمثيل الثلاثون

التمثيل الثلاثون (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظالِمُون).(۱)

تفسير الآيات

"رغد "عيش رغد ورغيد: طيّب واسع، قال تعالى: (وكلا منها رغداً).

يصف سبحانه قرية عامرة بصفات ثلاث:

أ: آمنة: أى ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم، ولا يُشنُّ عليهم بقتل النفوس وسبى الذرارى ونهب الأموال، وكانت آمنة من الحوادث الطبيعية كالزلازل والسيول.

ب: مطمئنة: أى قارّة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق، فانّ ظاهرة الاغتراب إنّما هى نتيجة عدم الاستقرار، فترك الأوطان وقطع الفيافى وركوب البحار وتحمّل المشاق رهن عدم الثقة بالعيش الرغيد فيه، فالاطمئنان رهن الأمن.

---

۱ ـ النحل:۱۱۲ـ۱۱۳.

ج: (يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان)، الضمير فى يأتيها يرجع إلى القرية، والمراد منها حاضرة ما حولها من القرى، والدليل على ذلك، قوله سبحانه حاكياً عن ولد يعقوب: (وَاسئلِ القَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ التِى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنّا لَصادِقُون). (۱) والمراد من القرية هى مصر الحاضرة الكبيرة يومذاك.

وعلى ذلك فتلك القرية الواردة فى الآية بما انّها كانت حاضرة لما حولها من الأصقاع فينقل ما يزرع ويحصد إليها بغية بيعه أو تصديره.

هذه الصفات الثلاث تعكس النعم المادية الوافرة التى حظيت بها تلك القرية.

ثمّ إنّه سبحانه يشير إلى نعمة أُخرى حظيت بها وهى نعمة معنوية، أعنيبعث الرسول إليها، كماأشار إليه فى الآية الثانية، بقوله: (وَلَقد جاءهُمْ رسول منهم).

وهوَلاء أمام هذه النعم الظاهرة والباطنة بدل أن يشكروا الله عليها كفروا بها.

أمّا النعمة المعنوية، أعنى: الرسول فكذّبوه ـ كما هو صريح الآية الثانية ـ وأمّا النعمة المادية فالآية ساكتة عنها غير انّ الروايات تكشف لنا كيفية كفران تلك النعم.

روى العياشى، عن حفص بن سالم، عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، أنّه قال": إنّ قوماً فى بنى إسرائيل توَتى لهم من طعامهم حتى جعلوا منه تماثيل بمدن كانت فى بلادهم يستنجون بها، فلم يزل الله بهم حتى اضطروا إلى التماثيل يبيعونها_____

۱ ـ يوسف:۸۲.

ويأكلونها، وهو قول الله : (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون). (" ۱)

وفى رواية أُخرى عن زيد الشحّام، عن الصادق (عليه السلام) قال: كان أبى يكره أن يمسح يده فى المنديل وفيه شىء من الطعام تعظيماً له إلاّ أن يمصّها، أو يكون إلى جانبه صبىّ فيمصّها، قال: فانّى أجد اليسير يقع من الخوان فأتفقده فيضحك الخادم، ثم قال: إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم كان الله قد وسع عليهم حتى طغوا، فقال بعضهم لبعض: لو عمدنا إلى شىء من هذا النقى فجعلناه نستنجى به كان ألين علينا من الحجارة.

قال (عليه السلام) : فلمّا فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجراد، فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلّا أكلته من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الذى كانوا يستنجون به، فأكلوه وهى القرية التى قال الله تعالى: (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون). (۲)

وبذلك يعلم أنّ ما يقوم به الجيل الحاضر من رمى كثير من فتات الطعام فى سلة المهملات أمر محظور وكفران بنعمة الله . حتى أنّ كثيراً من الدول وصلت بها حالة البطر بمكان انّها ترمى ما زاد من محاصيلها الزراعية فى البحار حفظاً لقيمتها السوقية، فكلّ ذلك كفران لنعم الله .

ثمّ إنّه سبحانه جزاهم فى مقابل كفرهم بالنعم المادية والروحية، وأشار

---

۱ ـ تفسير نور الثقلين:۳|۹۱، حديث ۲۴۷.

۲ ـ تفسير نور الثقلين: ۳|۹۲، حديث ۲۴۸.

إليها بآيتين:

الاُولى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون).

الثانية: (فَأخذهم العذاب وهم ظالمون).

فلنرجع إلى الآية الاُولى، فقد جزاهم بالجوع والخوف نتيجة بطرهم.

وهناك سوَال مطروح منذ القدم وهو أنّه سبحانه جمع فى الآية الاُولى بين الذوق واللباس، فقال: (فَأَذاقَهَا الله لِباسَ الجُوعِ) مع أنّ مقتضى استعمال الذوق هو لفظ طعم، بأن يقول": فأذاقها الله طعم الجوع."

ومقتضى اللفظ الثانى أعنى: اللباس، أن يقول": فكساهم الله لباس الجوع "فلماذا عدل عن تلك الجملتين إلى جملة ثالثة لا صلة لها ـ حسب الظاهر ـ بين اللفظين؟

والجواب: انّ للاِتيان بكلّ من اللفظين وجهاً واضحاً.

أمّا استخدام اللباس فلبيان شمول الجوع والخوف لكافة جوانب حياتهم، فكأنّ الجوع والخوف أحاط بهم من كلّ الاَطراف كإحاطة اللباس بالملبوس، ولذلك قال: (لباس الجوع والخوف) ولم يقل" الجوع والخوف "لفوت ذلك المعنى عند التجريد عن لفظ اللباس.

وأمّا استخدام الذوق فلبيان شدة الجوع، لاَنّ الاِنسان يذوق الطعام ،وأمّا ذوق الجوع فانّما يطلق إذا بلغ به الجوع والعطش و الخوف مبلغاً يشعر به من صميم ذاته، فقال: (فَأَذاقَهُمُ الله لِباس الجوع والخَوف).

هذا ما يرجع إلى تفسير الآية، و أمّا ما هو المرادمن تلك القرية بأوصافها الثلاثة، فقد عرفت من الروايات خصوصياتها.

نعم ربما يقال بأنّ المراد أهل مكة، لاَنّهم كانوا فى أمن وطمأنينة ورفاه، ثمّ أنعم الله عليهم بنعمة عظيمة وهى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكفروا به وبالغوا فى إيذائه، فلا جرم أن سلط عليهم البلاء.

قال المفسرون: عذّبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام.

وأمّا الخوف، فهو انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم.

ويؤيد ذلك الاحتمال ما جاء من وصف أرض مكة فى قوله: (أَوَ لَمْ نُمَكّن لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلّ شَىْءٍ). (۱)

ومع ذلك كلّه فتطبيق الآية على أهل مكة لا يخلو من بُعد.

أمّا أوّلاً: فلاَنَّ الآية استخدمت الاَفعال الماضية مما يشير إلى وقوعها فى الاَزمنة الغابرة.

وثانياً: لم يثبت ابتلاء أهل مكة بالقحط والجوع على النحو الوارد فى الآية الكريمة، وان كان يذكره بعض المفسرين.

وثالثاً: انّ الآية بصدد تحذير المشركين من أهل مكة من مغبّة تماديهم فى كفرهم،والسورة مكية إلّا آيات قليلة، ونزولها فيها يقتضى أن يكون للمثل واقعية خارجية وراء تلك الظروف، لتكون أحوال تلك الاُمم عبرة للمشركين من أهل مكة و ما والاها.

---

۱ ـ القصص:۵۷.

سورة الإسراء

سورة الإسراء التمثيل الواحد والثلاثون

(وَلا تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْط فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً *إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً). (۱)

تفسير الآيات

"الغلُّ :"ما يقيَّد به، فيجعل الاَعضاء وسطه، وجمعه أغلال، ومعنى قوله: (مغلولة إلى عنقك) أى مقيّدة به.

"الحسرة: "الغم على ما فاته والندم عليه، وعلى ذلك يكون محسوراً، عطف تفسير لقوله" ملوماً ، "ولكن الحسرة فى اللغة كشف الملبس عما عليه، وعلى هذا يكون بمعنى العريان.

أمّا الآية فهى تتضمن تمثيلاً لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، والاَمر بالاقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير، فشبّه منع الشحيح بمن تكون يده مغلولة إلى عنقه لا يقدر على الإعطاء والبذل، فيكون تشبيه لغاية المبالغة فى النهى عن الشح والإمساك، كما شبّه إعطاء المسرف بجميع ما عنده بمن بسط يده حتى لا يستقر فيها شىء، وهذا كناية عن الإسراف، فيبقى الثالث وهو

---

۱ ـ الإسراء:۲۹ـ۳۰.

المفهوم من الآية وإن لم يكن منطوقاً، وهو الاقتصاد فى البذل والعطاء، فقد تضمّنته آية أُخرى فى سورة الفرقان، وهى: (وَالّذينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُروا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً). (۱)

وقد ورد فى سبب نزول الآية ما يوضح مفادها.

روى الطبرى أنّ امرأة بعثت ابنها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: قل له: إنّ أُمّى تستكسيك درعاً، فإن قال: حتى يأتينا شىء.، فقل له: انّها تستكسيك قميصك.

فأتاه، فقال ما قالت له، فنزع قميصه فدفعه إليه، فنزلت الآية.

ويقال انّه (عليه السلام) بقى فى البيت إذ لم يجد شيئاً يلبسه ولم يمكنه الخروج إلى الصلاة فلامه الكفّار، وقالوا:إنّ محمداً اشتغل بالنوم و اللهو عن الصلاة (إِنَّ ربّك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع مرة ويضيق مرة، بحسب المصلحة مع سعة خزائنه. (۲)

روى الكلينى عن عبدالملك بن عمرو الاَحول، قال: تلا أبو عبد الله هذه الآية: (وَالّذينَ إِذا أَنْفَقُوا لَم يسرفُوا وَلم يقتروا وَكان بين ذلكَ قواماً).

قال: فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده، فقال: هذا الإقتار الذى ذكره الله فى كتابه، ثمّ قبض قبضة أُخرى، فأرخى كفه كلها، ثمّ قال: هذا الإسراف، ثمّ قبض قبضة أُخرى فأرخى بعضها، وقال: هذا القوام. (۳_____)

۱ ـ الفرقان:۶۷.

۲ ـ مجمع البيان: ۳|۴۱۲.

۳ ـ البرهان فى تفسير القرآن: ۳|۱۷۳.

(۱۹۱)

هذا ما يرجع إلى تفسير الآية، وهذا الدستور الإلهى تمخض عن سنّة إلهية فى عالم الكون، فقد جرت سنته سبحانه على وجود التقارن بين أجزاء العالم و انّ كلّ شىء يبذل ما يزيد على حاجته إلى من ينتفع به، فالشمس ترسل ۴۵۰ ألف مليون طن من جرمها بصورة أشعة حرارية إلى أطراف المنظومة الشمسية وتنال الأرض منها سهماً محدوداً فتتبدل حرارة تلك الأشعة إلى مواد غذائية كامنة فى النبات والحيوان وغيرهما، حتى أنّ الأشجار والأزهار ما كان لها أن تظهر إلى الوجود لولا تلك الأشعة.

إنّ النحل يمتصّ رحيق الأزهار فيستفيد منه بقدر حاجته ويبدل الباقى عسلاً، كل ذلك يدل على أنّ التعاون بل بذل ما زاد عن الحاجة، سنة إلهية وعليها قامت الحياة الإنسانية.

ولكن الإسلام حدّد الإنفاق ونبذ الإفراط والتفريط، فمنع عن الشح، كما منع عن الإسراف فى البذل.

وكأنّ هذه السنّة تجلت فى غير واحد من شؤون حياة الإنسان، ينقل سبحانه عن لقمان الحكيم انّه نصح ابنه بقوله: (وَ اقْصُدْ فِى مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِير). (۱)

بل يتجلّى الاقتصاد فى مجال العاطفة الإنسانية، فمن جانب يصرح النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ عنوان صحيفة المؤمن حبّ على بن أبى طالب (عليه السلام). (۲)

ومن جانب آخر يقول الإمام على (عليه السلام") : هلك فىَّ اثنان :محب غال، ومبغض قال. ("۳_____)

۱ ـ لقمان: ۱۹.

۲ ـ حلية الأولياء:۱|۸۶.

۳ ـ بحار الأنوار: ۳۴|۳۰۷.

(۱۹۲)

فالإمعان فى مجموع ما ورد فى الآيات والروايات يدل بوضوح على أنّ الاقتصاد فى الحياة هو الأصل الأساس فى الإسلام، ولعله بذلك سميت الأُمة الإسلامية بالأُمة الوسط، قال سبحانه: (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النّاسِ). (۱)

وهناك كلمة قيمة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الاعتدال نأتى بنصها:

دخل الإمام على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعوده، فلمّا رأى سعة داره، قال:

"ما كنت تصنع بسعة هذه الدار فى الدنيا، وأنت إليها فى الآخرة كنت أحوج؟

بلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تقرى فيها الضيف، وتصل فيها الرَّحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة."

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخى عاصم بن زياد. قال": وماله "؟قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا. قال": علىّ به."

فلمّا جاء قال:

"يا عدىّ نفسك: لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك! أترى الله أحلّ لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها؟! أنت أهون على الله من ذلك."

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت فى خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!

قال": ويحك، إنّى لست كأنت، إنّ الله تعالى فرض على أئمّة العدل (الحق) أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره ("!۲_____)

۱ ـ البقرة:۱۴۳.

۲ ـ نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۹.

سورة الكهف

التمثيل الثانى والثلاثون

التمثيل الثانى والثلاثون (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً * وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً * وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبّى لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً * قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً * لكِنّا هُوَ اللهُ رَبّى وَلا أُشْرِكُ بِرَبّى أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً * فَعَسى رَبّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَيَقُولُ يا لَيْتَنى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبّى أَحَداً * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَ ما كانَ مُنْتَصِراً). (۱)

تفسير الآيات

"الحفُّ "من حفَّ القوم بالشيء إذا أطافوا به، وحفاف الشيء جانباه

---

۱ ـ الكهف:۳۲ـ۴۳.

كأنّهما أطافا به، فقوله فى الآية (فَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ) أى جعلنا النخل مطيفاً بهما، وقوله: (ما أظن أن تبيد) فهو من باد الشيء، يبيد بياداً إذا تفرق وتوزع فى البيداء أى المفازة.

"حسباناً: "أصل الحسبان السهام التى ترمى، الحسبان ما يحاسب عليه، فيجازى بحسبه فيكون النار والريح من مصاديقه، وفى الحديث انّه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الريح" : اللهم لا تجعلها عذاباً ولا حسباناً."

"الصعيد "يقال لوجه الأرض" زلق "أى دحضاً لا نبات فيه ويرادفه الصلد، كما فى قوله سبحانه: (فتركه صلداً) (۱)

هذا ما يرجع إلى مفردات الآية.

وأمّا تفسيرها، فهو تمثيل للمؤمن و الكافر بالله و المنكر للحياة الأُخروية، فالأوّل منهما يعتمد على رحمته الواسعة، والثانى يركن إلى الدنيا و يطمئن بها، ويتبين ذلك بالتمثيل التالى:

قد افتخر بعض الكافرين بأموالهم و أنصارهم على فقراء المسلمين، فضرب الله سبحانه ذلك المثل يبين فيها بأنّه لا اعتبار بالغنى المؤقت وانّه سوف يذهب سدى، أمّا الذى يجب المفاخرة به هو تسليم الإنسان لربه وإطاعته لمولاه.

وحقيقة ذلك التمثيل انّ رجلين أخوين مات أبوهما وترك مالاً وافراً فأخذ أحدهما حقه منه و هوالمؤمن منهما فتقرب إلى الله بالإحسان والصدقة، وأخذ الآخر حقه فتملك به ضياعاً بين الجنتين فافتخر الأخ الغنى على الفقير، وقال: (أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً)، وما هذا إلاّ لأنّه كان يملك جنتين من

---

۱ ـ البقرة: ۲۶۴.

(۱۹۵)

أعناب ونخل مطيفاً بهما و بين الجنتين زرع وافر، وقد تعلّقت مشيئته بأن تأتى الجنتان أُكلها ولم تنقص شيئاً وقد تخللها نهر غزير الماء و راح صاحب الجنتين المثمرتين يفتخر على صاحبه بكثرة المال والخدمة.

وكان كلما يدخل جنته يقول: ما أظن أن تفنى هذه الجنة و هذه الثمار ـ أى تبقى أبداًـ وأخذ يكذب بالساعة، ويقول: ما أحسب القيامة آتية، ولو افترض صحة ما يقوله الموحِّدون من وجود القيامة، فلئن بعثت يومذاك، لآتانى ربى خيراً من هذه الجنة، بشهادة أعطائى الجنة فى هذه الدنيا دونكم، و هذا دليل على كرامتى عليه.

هذا ما كان يتفوّه به وهو يمشى فى جنته مختالاً، و عند ذاك يواجهه أخوه بالحكمة والموعظة الحسنة.

و يقول: كيف كفرت بالله سبحانه مع أنّك كنت تراباً فصرت نطفة، ثمّ رجلاًـ سوياً، فمن نقلك من حال إلى حال وجعلك سوياً معتدل الخلقة؟

وبما انّه ليس فى عبارته إنكار للصانع صراحة، بل إنكار للمعاد، فكأنّه يلازم إنكار الربّ.

فإن افتخرت أنت بالمال، فأنا أفتخر بأنّى عبد من عباد الله لا أُشرك به أحداً.

ثمّ ذكّره بسوء العاقبة، وانّك لماذا لم تقل حين دخولك البستان ما شاء الله ، فانّ الجنتين نعمة من نعم الله سبحانه، فلو بذلت جهداً فى عمارتها فإنّما هو بقدرة الله تبارك و تعالى.

ثمّ أشار إلى نفسه، وقال: أنا وإن كنت أقل منك مالاً وولداً ، ولكن أرجو أن

(۱۹۶)

يجزينى ربى فى الآخرة خيراً من جنتك، كما أترقب أن يرسل عذاباً من السماء على جنتك فتصبح أرضاً صلبة لا ينبت فيها شىء، أو يجعل ماءها غائراً ذاهباً فى باطن الأرض على وجه لا تستطيع أن تستحصله.

قالها أخوه و هو يندّد به ويحذّره من مغبّة تماديه فى كفره وغيّه ويتكهن له بمستقبل مظلم.

فعندما جاء العذاب وأحاط بثمره، ففى ذلك الوقت استيقظ الأخ الكافر من رقدته، فأخذ يقلّب كفّيه تأسّفاً وتحسّراً على ما أنفق من الأموال فى عمارة جنتيه، وأخذ يندم على شركه، ويقول: يا ليتنى لم أكن مشركاً بربى، ولكن لم ينفعه ندمه ولم يكن هناك من يدفع عنه عذاب الله ولم يكن منتصراً من جانب ناصر.

هذه حصيلة التمثيل، وقد بيّنه سبحانه على وجه الإيجاز، بقوله: (المالُ والبنونَ زِينَةُ الحَياةِ الدُّنيا وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً).(۱)

وقد روى المفسرون انّه سبحانه أشار إلى هذا التمثيل فى سورة الصافات فى آيات أُخرى، وقال: (قالَ قائلٌ مِنْهُمْ إنّى كانَ لِى قَرِينٌ *يَقول أءِنّكَ لَمِنَ المُصَدّقينَ *أإذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أإنّا لَمَدِينُونَ * قالَ هَل أَنْتُمْ مُطَّلِعُون * فَاطَّلَعَ فرآهُ فِى سَواءِ الجَحِيم). (۲)

إلى هنا تبيّن مفهوم المثل، و أمّا تفسير مفردات الآية وجملها، فالإمعان فيما ذكرنا يغنى الباحث عن تفسير الآية ثانياً، ومع ذلك نفسرها على وجه الإيجاز_____.

۱ ـ الكهف:۴۶.

۲ ـ الصافات: ۵۱ـ۵۵.

(۱۹۷)

(واضرب لهم) أى للكفار مع المؤمنين (مثلاًـ رجلين جعلنا لأحدهما) أى للكافر (جنتين) أى بستانين (من أعناب وحففناهما) أحدقناهما بنخل (وجعلنا بينهما زرعاً) يقتات به (كلتا الجنتين آتت أكلها) ثمرها (لم تظلم) تنقص (منه شيئاً وفجّرنا خلالهما نهراً) يجرى بينهما (و كان له) مع الجنتين (ثمر فقال لصاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يفاخره (أنا أكثر منك مالاًـ وأعزّ نفراً) عشيرة

(ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويريه ثمارها. (وهو ظالم لنفسه) بالكفر (قال ما أظن أن تبيد) تنعدم (هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربّى) فى الآخرة على زعمك (لَاجدنّ خيراً منها منقلباً) مرجعاً (قال له صاحبه و هو يحاوره) يجادله (أكفرت بالذى خلقك من تراب) لَانّ آدم خلق منه (ثم من نطفة ثمّ سوّاك) عدلك وصيّرك (رجلًا). أمّا أنا فأقول (لكنّا هو الله ربى ولا أُشرك بربى أحداً ولولا إذ دخلت جنتك قلت) عند اعجابك بها (ما شاء الله لا قوة إلّا بالله). (إن ترن أنا أقل منك مالاً و ولداً فعسى ربى أن يوَتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً) و صواعق (من السماء فتصبح صعيداً زلقاً) أى أرضاً ملساء لا يثبت عليهاقدم (أو يصبح ماوَها غوراً) بمعنى غائراً (فلن تستطيع له طلباً) حيلة تدركه بها (وأُحيط بثمره) مع ما جنته بالهلاك فهلكت (فأصبح يقلب كفيه) ندماً وتحسراً (على ما أنفق فيها) فى عمارة جنته (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) دعائمها للكرم بأن سقطت ثمّ سقط الكرم (ويقول يا ليتنى) كأنّه تذكّر موعظة أخيه (لم أُشرك بربى أحداً و لم تكن له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) عند هلاكها و (ما كان منتصراً) عند هلاكها بنفسه (هنالك) أى يوم القيامة (الولاية) الملك (لله الحقّ). (۱_____)

۱ ـ السيوطى: تفسير الجلالين: تفسير سورة الكهف.

التمثيل الثالث والثلاثون

التمثيل الثالث والثلاثون (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الَارْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كُلّ شَيءٍ مُقتدراً). (۱)

تفسير الآيات

"الهشيم: "ما يكسر و يحطم فى يبس النبات، و"الذر "و التذرية: تطيير الريح الَاشياء الخفيفة فى كلّ جهة.

تحدّث التمثيل السابق عن عدم دوام نعم الدنيا التى ربما يعتمد عليها الكافر، ولَاجل التأكيد على تلك الغاية المنشودة أتى القرآن بتمثيل آخر يجسم فيها حال الحياة الدنيوية وعدم ثباتها بتمثيل رائع يتضمن نزول قطرات من السماء على الَاراضى الخصبة المستعدة لنمو البذور الكامنة فيها، فعندئذٍ تبتدىَ الحركة فيها بشقها التراب وإنباتها وانتفاعها من الشمس إلى أن تعود البذور باقات من الَازهار الرائعة، فربما يتخيل الِانسان بقاءها ودوامها، فإذا بالَاعاصير والعواصف المدمِّرة تهب عليها فتصيرها أعشاباً يابسة، وتبيدها عن بكرة أبيها وكأنّها لم تكن موجودة قط. فتنثر الرياح رمادها إلى الَاطراف، فهذا النوع من

---

۱ ـ الكهف:۴۵.

الحياة والموت يتكرر على طول السنة ويشاهده الِانسان بأُمّ عينه، دون أن يعتبر بها، فهذا ما صيغ لَاجله التمثيل.

يقول سبحانه: (وَاضربْ لَهُم مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الَارض) على وجه يلتف بعضه ببعض، يروق الِانسان منظره، فلم يزل على تلك الحال إلى أن ينتقل إلى حالة لا نجد فيها غضاضة، وهذا ما يعبر عنه القرآن، بقوله : (فأصبح هشيماً) أى كثيراً مفتتاً تذوره الرياح فتنقله من موضعه إلى موضع، فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات (و كان الله على كلّ شىء مقتدراً).

ثمّ إنّه سبحانه يشبّه المال والبنين بالورود والَازهار التى تظهر على النباتات ووجه الشبه هو طروء الزوال بسرعة عليها، فهكذا الَاموال والبنون.

وإنّما هى زينة للحياة الدنيا، فإذا كان الَاصل موَقتاً زائلًا، فما ظنّك بزينته، فلم يكتب الخلود لشىء مما يرجع إلى الدنيا، فالاعتماد على الَامر الزائل ليس أمراً صحيحاً عقلائياً، قال سبحانه: (المال وَالبَنُون زينَة الحَياة الدُّنيا).

نعم ، الخلود للاَعمال الصالحة بمالها من نتائج باهرة فى الحياة الاَخروية، قال سبحانه: (وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَواباً وخَيرٌ مَرَدّا). (۱)

ثمّ إنّه سبحانه يوَكد على زوال الدنيا وعدم دوامها من خلال ضرب أمثلة، فقد جاء روح هذا التمثيل فى سورة يونس الماضية. (۲)

---

۱ ـ مريم:۷۶.

۲ ـ انظر التمثيل الرابع عشر وسورة يونس ۲۵، كما يأتى مضمونها عند ذكر التمثيل الوارد فى سورة الحديد، الآية ۲۰.

ايقاظ

ثمّ إنّه ربما يُعدُّ من أمثال القرآن قوله : (وَلَقَد صرفنا فى هذا القرآن للناسِ من كلّ مثل وكانَ الاِنسان أكثر شىء جدلاً). (۱)

والحق انّه ليس تمثيلاً مستقلاً وإنّما يوَكد على ذكر نماذج من الاَمثال خصوصاً فيما يرجع إلى حياة الماضين التى فيها العبر.

ومعنى قوله: (ولقد صرّفنا) أى بيّنا فى هذا القرآن للناس من كلّ مثل وإنّما عبر عن التبيين بالتصريف لاَجل الاِشارة إلى تنوّعها ليتفكر فيها الاِنسان من جهات مختلفة و مع ذلك (وَكانَ الاِنسانُ أكثرَ شىءٍ جَدلاً) أى أكثر شىء منازعة ومشاجرة من دون أن تكون الغاية الاهتداء إلى الحقيقة_____.

۱ ـ الكهف:۵۴.

التمثيل الرابع و الثلاثون

التمثيل الرابع و الثلاثون

(يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلوِ اجْتَمعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يَسْتَنْقِذُوه مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ * ما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِىّ عَزِيز). (۱)

تفسير الآيات

كان العرب فى العصر الجاهلى موحدين فى الخالقية، ويعربون عن عقيدتهم، بأنّه لا خالق فى الكون سوى الله سبحانه، و قد حكاه سبحانه عنهم فى غير واحد من الآيات، قال سبحانه: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالاَرضَ لَيَقُولُنَّ خَلقهُنَّ العَزِيزُ العَلِيم). (۲)

ولكنّهم كانوا مشركين فى التوحيد فى الربوبية، وكأنّه سبحانه ـ بزعمهم ـ خلق السماوات والاَرض وفوّض تدبيرهما إلى الآلهة المزعومة، ويكشف عن ذلك إطلاق المشركين لفظ الاَرباب فى جميع العهود على آلهتهم المزعومة، يقول سبحانه: (أَأَرْبابٌ مُتَفَرّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الواحِدُ القَهّار) (۳) والآية وإن كانت

---

۱ ـ الحج:۷۳ـ۷۴.

۲ ـ الزخرف:۹.

۳ ـ يوسف:۳۹.

تفصح عن عقيدة المشركين فى عهد يوسف إلاّ أنّها تماثل إلى حد كبير عقيدة المشركين فى مكة، بشهادة انّ الآية نزلت للتنديد بهم والحطِّ من عقيدتهم الفاسدة.

وهناك آيات أُخرى تكشف عن شركهم فى الربوبية :

يقول سبحانه: (وَ اتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلهةً لَعلَّهُمْ يُنْصَرُون) (۱) فقد كانوا يعبدون آلهتهم فى سبيل نصرتهم فى ساحات الوغى، قال سبحانه: (وَ اتّخذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلهةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً). (۲)

فكان الهدف من الخضوع لدى الآلهة هو طلب العزّ منهم فى مختلف المجالات، إلى غير ذلك من الآيات التى تدل على أنّ مشركى عصر الرسول لم يكونوا موحدين فى الربوبية، وإن كانوا كذلك فى مجال الخالقية.

وهناك آيات كثيرة تصف الأَصنام والأَوثان بأنّها لا تملك كشف الضرّ، كما لا تملك النفع والضرّ، ولا النصر فى الحرب، ولا العزة فى الحياة ،كل ذلك يدل على أنّ المشركين كانوا يعتقدون أنّ فى آلهتهم قوة وسلطاناً يكشف عنهم الضرّ ويجلب إليهم النفع، وهذه عبارة أُخرى عن تدبيرهم للحياة الإنسانية، يقول سبحانه: (قُلِ ادْعُوا الّذينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّر عَنْكُمْ وَلا تحْوِيلًا). (۳) وقال تعالى: (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرّكَ).(۴)

وقال تعالى: (إِن تَدَعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ) (۵) إلى غير ذلك من الآيات التى تبطل تدبير الآلهة المزيفة_____.

۱ ـ يَس:۷۴.

۲ ـ مريم:۸۱.

۳ ـ الإسراء:۵۶.

۴ ـ يونس:۱۰۶.

۵ ـ فاطر:۱۴.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّه سبحانه ضرب فى المقام أمثالاً أبطل بها ربوبية الأَصنام، بالبيان التالى:

أمّا الذباب، فهو عندهم أضعف الحيوانات وأوهنها، ومع ذلك فآلهتهم عاجزون عن خلق الذباب، وإن سلب الذباب منهم شيئاً لا يستطيعون استنقاذه منه.

فقد روى أنّ العرب كانوا يطلون الأَصنام بالزعفران و روَوسها بالعسل ويغلقون عليها الأَبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله، يقول سبحانه : (يا أَيُّها الناس ضربَ مثل فاستمعوا له انَّ الذينَ تَدعُون مِنْ دُونِ الله) أى يعبدونه والدعاء هنا بمعنى العبادة، كما فى قوله سبحانه: (وَقالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِين) (۱) فدعاوَه سبحانه عين عبادته كما أنّ دعاء الآلهة المزيّفة ـ بما انّها أرباب عند الداعى ـ عبادة لها.

(لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) مع صغره وضعفه (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه) كما عرفت من أنّ الذباب ربما يأكل العسل الموجود على روَوس الأَصنام.

(ضعف الطالب والمطلوب) وفيها احتمالات:

الأَوّل: انّ المراد من الطالب و المطلوب هو العابد و المعبود، فالإنسان ضعيف كما هو واضح، وقال سبحانه: (وَخلق الإنْسان ضعيفاً) والمطلوب، أعنى: الأَصنام مثله لأَنّه جماد لا يقدر على شىء_____.

۱ ـ غافر:۶۰.

الثانى: ويحتمل أن يكون المراد من الطالب هو الذباب الذى يطلب ما طليت به الأَصنام، والمطلوب هى الأَصنام التى تريد استنقاذ ما سلب منها.

الثالث: المراد من الطالب الآلهة فانّهم يطلبون خلق الذباب فلا يقدرون على استنقاذ ما سلبهم، والمطلوب الذباب حيث يطلب

للاستنقاذ منه، والغاية من التمثيل بيان ضعف الآلهة لتنزيلها منزلة أضعف الحيوانات فى الشعور والقدرة.

ثمّ إنّه سبحانه يعود ليبين منشأ إعراضهم عن عبادة الله وانكبابهم على عبادة الآلهة، بقوله: (ما قَدَرُوا الله حقّ قدره انّ اللَه لقوىّ عَزيز) أى ما نزلوه المنزلة التى يستحقها ولم يعاملوه بما يليق به، فلذلك أعرضوا عن عبادة الخالق وانصرفوا إلى عبادة المخلوق الذى لا ينفع ولا يضر، فلو كان هوَلاء عارفين بالله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، لاعترفوا بأنّه لا خالق ولا رب سواه، وعلى ضوء ذلك لا معبود سواه، ولكن لم يقدروا الله بما يليق به، فلذلك شاركوه أضعف المخلوقات وأذلّهم، مع أنّه سبحانه (هو القوىُّ العَزيز) بخلاف الآلهة فانّهم الضعفاء والاَذلاّء.

(۲۰۵)

سورة النور

التمثيل الخامس والثلاثون

التمثيل الخامس والثلاثون

(اللهُ نُورُ السَّمواتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكوة فِيها مِصْباحٌ المِصْباحٌ فِى زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوكَبٌ دُرِىّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرة مُبارَكةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِى الله لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ الله الاَمْثالَ لِلنّاسِ وَالله بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيم). (۱)

تفسير الآية

المشكاة: كوّة غير نافذة، وتُتخذ فى جدار البيت لوضع بعض الاَثاث ومنها المصباح وغيره، وربما تكون الكوّة مشرفة على ساحة الدار وتجعل بينها زجاجة، لتحفظ المصباح من الرياح، ولتضىء الساحة والغرفة معاً.

ومنه حافظة المصباح، وهى ما تصنع على شكل مخروطى توضع على المصباح لتحفظه من الرياح، وفى أعلاها ثقب يخرج منه الدخان.

"المصباح : "السراج، وهو آلة يتألف من أُمور أربعة:

أ: وعاء للزيت، ب: فتيل يشتعل بالزيت، ج: زجاجة منصوبة عليه، د: آلة التحكم بالفتيل_____.

۱ ـ النور:۳۵.

(۲۰۶)

ثمّ إنّ أفخر أنواع الزيوت هو المأخوذ من شجرة الزيتون المغروسة فى مكان تشرق عليه الشمس من كل الجوانب حيث تكون فى غاية الصفاء وسريعة الاشتعال، بخلاف المغروسة فى جانب الشرق أو جانب الغرب، فانّها لا تتعرض للشمس إلاّ فى أوقات معينة .

قال العلاّمة الطباطبائى:

والمراد بكون الشجرة لا شرقية ولا غربية، انّها ليست نابتة فى الجانب الشرقى، ولا فى الجانب الغربى حتى تقع الشمس عليها فى أحد طرفى النهار، ويضىء الظل عليها فى الطرف الآخر، فلا تنضج ثمرتها، فلا يصفو الدهن المأخوذ منها، فلا تجود الاِضاءة. (۱)

إلى هنا تمَّ ما يرجع إلى مفردات الآية، فعلى ذلك فالمشبه به عبارة عن مشكاة فيها مصباح و عليها زجاجة، يوقد المصباح من زيت شجرة الزيتون المغروسة المتعرضة للشمس طول النهار على وجه يكاد زيتها يضىء و لو لم تمسسه نار، لاَنّ الزيت إذا كان خالصاً صافياً يرى من بعيد كأنّ له شعاعاً فإذا مسّتْهُ النار ازداد ضوءاً على ضوء.

فالمشبه به هو النور المشرق من زجاجة مصباح، موقد من زيت جيد صافٍ موضوع على مشكاة، فانّ نور المصباح تجمعه المشكاة

وتعكسه فيزداد إشراقاً.

وأمّا قوله فى آخر الآية: (نور على نور) بمعنى تضاعف النور وأنّ نور الزجاجة مستمد من نور المصباح فى إنارتها.

قال العلاّمة الطباطبائى_____:

۱ ـ الميزان: ۱۵|۱۲۴.

(۲۰۷)

فأخذ المشكاة، لَاجل الدلالة على اجتماع النور فى بطن المشكاة وانعكاسه إلى جوِّ البيت.

واعتبار كون الدهن من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية للدلالة على صفاء الدهن و جودته المؤثر فى صفاء النور المشرق عن اشتعاله.

وجودة الضياءعلى ما يدل عليه كون زيته يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار.

واعتبار كون النور على النور للدلالة على تضاعف النور أو كون نور الزجاجة مستمد من نور المصباح. (۱)

هذا هو حال المشبه به، و إنّما الكلام فى المشبه أو الممثل له، فقد طبقت كلّ طائفة ذلك الممثل على ما ترومه، وإليك الَاقوال:

القول الَاوّل: المشبه به هداية الله ، إذ قد بلغت فى الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت بمنزلة المشكاة التى تكون فيها زجاجة صافية وفى الزجاجة مصباح يتّقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء.

وأمّا عدم تشبيهها بضوء الشمس مع أنّه أبلغ، فلَاجل انّ المراد وصف الضوء الكامل وسط الظلمة، لَانّ الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم إنّما هى الشبهات التى هى كالظلمات، وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذى يظهر فيما بين الظلمات.

القول الثانى: المراد من النور: القرآن، و يدل عليه قوله تعالى: (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبين). (۲_____)

۱ ـ لميزان: ۱۵|۱۲۵.

۲ ـ المائدة:۱۵.

(۲۰۸)

القول الثالث: المراد هو الرسول، لَانّه المرشد، ولَانّه تعالى قال فى وصفه: (وسِراجاً مُنِيراً). (۱) ولعلّ مرجع القولين الَاخيرين هو الَاوّل، لَانّ القرآن والرسول من شعب هداية الله سبحانه.

القول الرابع: إنّ المراد ما فى قلب المؤمنين من معرفة الشرائع، ويدل عليه انّه تعالى وصف الإيمان بأنّه نور والكفر بأنّه ظلمة، فقال: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلاِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ). (۲)

وقال تعالى: (لِتُخْرِجَ الناسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّور) (۳). وحاصله انّ إيمان المؤمن قد بلغ فى الصفاء عن الشبهات و الامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ السراج المذكور.

وعلى هذا فالتمثيل مفرداً وهو تشبيه الهداية وما يقرب منها بنور السراج، ولا يجب أن يكون فى مقابل كل ما للمشبه به من الَامور موجود فى المشبه بخلاف الوجه التالى.

القول الخامس: إنّ المراد هو القوى المدركة ومراتبها الخمس، وهى: القوة الحسّاسة، القوة الخيالية، القوة العقلية، القوة الفكرية، القوة القدسية.

وإليها أشارت الآية الكريمة: (وَكَذلِكَ أَوحَينا إِلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنتَ تَدرى ما الكِتابُ وَلا الإِيمانُ ولكِن جعلناهُ نُوراً نهدِى بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادنا).(۴)

فإذا عرفت هذه القوى فهى بجملتها أنوار ، إذ بها تظهر أصناف

---

۱ ـ الَاحزاب:۴۶.

۲ ـ الزمر:۲۲.

۳ ـ إبراهيم:۱.

۴ ـ الشورى: ۵۲.

(۲۰۹)

الموجودات، و هـذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالاُمور الخمسـة التى ذكرها الله تعالى، و هى: المشـكاة، والزجاجـة، والمصـباح، والشجرة، والزيت.

وعلى هذا فالتمثيل مركباً نظير القول الآتى:

القول السـادس: إنّ النفس الاِنسانيـة قابلـة للمعارف والاِدراكات المجردة، ثمّ إنّه فى أوّل الاَمر تكون خاليـة عن جميع هـذه المعارف، فهناك تسمى عقلاً هيولانياً، وهى المشكاة.

وفى المرتبـة الثانيـة يحصـل فيهـا العلوم البديهيـة التى يمكن التوصـل بتركيباتهـا إلى اكتساب العلوم النظريـة. ثم إن أمكنه الانتقال إن كانت ضعيفة فهى الشجرة، وإن كانت أقوى من ذلك فهى الزيت، وإن كانت شديدة القوة فهى الزجاجة التى كأنّها الكوكب الدرّى، وإن كانت فى النهاية القصوى وهى النفس القدسية التى للاَنبياء فهى التى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار).

وفى المرتبة الثالثة يكتسب من العلوم الضـرورية العلوم النظرية، إلاّ أنّها لا تكون حاضرة بالفعل، ولكنها تكون بحيث متى شاء صاحبها استحضارها قدر عليه، وهذا يسمّى عقلاً بالفعل وهو المصباح.

وفى المرتبـة الرابعـة أن تكون تلك المعارف حاصـلة بالفعل، وهذا يسـمّى عقلاً مسـتفاداً، وهو نور على نور، لاَنّ الحكمة ملكة نور و حصول مـا عليه الملكـة نور آخر. ثم إنّ هـذه العلوم التى تحصـل فى الاَرواح البشـرية، إنّما تحصل من جوهر روحانى يسـمى بالعقل الفعال وهو مدبر ما تحت كرة القمر وهو النار.

القول السابع: إنّه سبحانه شبّه الصدر بالمشكاة، والقلب بالزجاجة، والمعرفة بالمصباح، وهذا المصباح إنّما يوقد من شجرة مباركة وهى إلهامات الملائكة. وإنّما شبّه الملائكة بالشجرة المباركة لكثرة منافعهم، ولكنّه وصفها

(۲۱۰)

بأنّها لا شـرقية ولا غربيـة لاَنّها روحانيـة، ووصـفهم بقوله: (يكاد زيتها يضـىء ولو لم تمسـسه نار) لكثرة علومهم وشـدة اطّلاعهم على أسرار ملكوت الله تعالى.

القول الثـامن: إنّ المراد من (مثـل نوره) ، أى مثـل نور الاِيمـان فى قلب محمـد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) كمشـكاة فيهـا مصـباح، فالمشـكاة نظير صـلب عبد الله ، والزجاجة نظير جسد محمد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ، و المصـباح نظير الاِيمان فى قلب محمد أو نظير النبوة فى قلبه.

القول التاسع: إن"المشـكاة "نظير إبراهيم (عليه السـلام) ،والزجاجة نظير إسـماعيل (عليه السلام) ، والمصباح نظير جسد محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، والشجرة النبوة والرسالة.

القول العاشر: إنّ قوله: (مثل نوره) يرجع إلى المؤمن. (۱)

إنّ المشبه هو نور الله المشـرق على قلوب المؤمنين، والمشبه به النور المشـرق من زجاجة، وقوله سـبحانه: (يَهدى الله لنوره من يشاء) استئنـاف يعلّـل به اختصاص المؤمنين بنور الاِيمان والمعرفـة وحرمان غيرهم، ومن المعلوم من السـياق انّ المراد بقوله: (من يشاء) هم الذين يذكرهم الله سـبحانه بقوله بعد هذه الآية : (رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله) (۲) فالمراد بمن يشاء المؤمنون بوصف كمال إيمانهم.والمعنى انّ الله إنّما هدى المتلبسين بكمال الاِيمان إلى نوره دون المتلبسين بالكفر. (۳)

وقوله : (يضـرب الله الاَمثال للناس والله بكلّ شـىء عليم) إشارة إلى أنّ المثل المضـروب تحته طور من العلم، وإنّما اختير المثل لكونه

أسهل الطرق لتبين الحقائق والدقائق، ويشترك فيه العالم والعامى فيأخذ منه كلّ ما قسم له، قال تعالى: (وَتِلْكَ الاَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها إلاّ العالِمُون). (۴_____)

۱ ـ تفسير الفخر الرازى: ۲۳|۲۳۱ـ ۲۳۵.

۲ ـ النور:۳۷.

۳ ـ الميزان: ۱۸|۱۲۵ـ ۱۲۶.

۴ ـ العنكبوت:۴۳.

التمثيل السادس والثلاثون

التمثيل السادس والثلاثون (وَالّذينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَمآنُ ماءً حَتّى إذَا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوفّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ). (۱)

تفسير الآية

"السراب: "ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الاَرض كأنّه ماء يجرى، و"القيعة: "بمعنى القاع أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوى من الاَرض، والظمآن هو العطشان.

يشبه سبحانه أعمال الكفار تارة بالسراب كما فى هذه الآية، وأُخرى بالظلمات كما فى التمثيل الآتى، ولعلّ المشبه فى الاَوّل هو حسناتهم، وفى الثانى قبائح أعمالهم.

وإليك توضيح التمثيل الوارد فى الآية:

قال سبحانه: (وَالّذِينَ كَفَرُوا أَعمالهم) أى ما يعملون من الطاعات ويقدمون من قرابين وأذكار يتقربون بها إلى آلهتهم، مثلها كـ (سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء_____).

۱ ـ النور:۳۹.

(۲۱۲)

فقد وصف الظمآن بصفات عديدة:

الاُولى: حسبان السراب ماءً ،كما قال سبحانه: (كَسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء).

الثانية: إذا وصل إلى السراب لم يجده شيئاً نافعاً، كما قال سبحانه (حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وإنّما خصّ الظمآن به مع أنّ السراب يتراءى ماء لكلّ راءٍ، لاَن المقصود هو مجيء الرائى إلى السراب، ولا يجيئه إلاّ الظمآن ليرتوى ويرفع عطشه.

الثالثة: عند ما يشرف على السراب لا يجد فيه ماءً، ولكن يجد الله سبحانه عنده، كما قال سبحانه: (وَوَجد الله عنده).

وهذا خبر عن الظمآن، ولكن المقصود منه فى هذه الجملة هو الكافر، والمعنى وجد أمر الله ووجد جزاء الله ، وذلك عند حلول أجله واشرافه على الآخرة.

فالكافر يتصوّر أنّ ما يقدم من قرابين وأذكار سوف ينفعه عند موته و بعده، وسوف تقوم الآلهة بالشفاعة له، ولكن يتجلّى له خلاف ذلك وانّ الاَمر أمر الله لا أمر غيره فلا يجدون أثراً من ألوهية آلهتهم.

فعند ذلك يجدون جزاء أعمالهم، كما يقول سبحانه: (فَوَفّاهُمُ اللهُ حسابهم).

ثمّ إنّه سبحانه يصف نفسه بقوله: (وَاللهُ سريع الحساب).

وبذلك تبين انّ الآية المباركة لبيان حال الظمآن الحقيقى إلى قوله: (لم يجده شيئاً)، كما أنّها من قوله (ووجد...) يرجع إلى الظمآن لكن بالمعنى المجازى وهو الكافر.

(۲۱۳)

وحاصل التمثيل هو انّ الطاعة والعبادة والقربات كلها لله تبارك وتعالى، فمن قدمها إليه و قام بها لاَجله فقد بذر بذرة فى أرض خصبة سوف ينتفع بها فى لقائه سبحانه.

وأمّا من عبد غيره و قدم إليه القربات راجياً الانتفاع به، فهو كرجاء الظمآن الذى يتصوّر السراب ماءً فيجيئه لينتفع به ولكنّه سرعان ما يرجع خائباً.

إلى هنا تمَّ ما يشترك فيه الظمآن والكافر، أى المشبه به والمشبه، ولكن المشبه، أعنى: الكافر الذى شبه بالظمآن فهو يختص بأُمور أُخرى.

أولاً: انّه عند مجيئه إلى الانتفاع بأعماله يجد الله هو المجازى لا غير.

وثانياً: انّه سبحانه يجزيه بأعماله.

وثالثاً: فيوفيه حسابه.

وما ذلك إلاّ لاَنّ الله سريع الحساب.

وعلى ضوء ما ذكرنا فقد أُريد من الظمآن الاسم الظاهر الظمآن الحقيقى، وأُريد من الضمائر الثلاثة فى " وجد " " وفّاه " " حسابه " الظمآن المجازى أعنى الكافر الخائب.

(۲۱۴)

التمثيل السابع والثلاثون

التمثيل السابع والثلاثون

(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجّىّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها وَمَنْ لَمْ يَجعلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ). (۱)

تفسير الآية

"اللجىّ: "منسوب إلى اللجّة، وهى فى اللغة البحر الواسع العميق، ولكنّه استخدم فى لازم معناه وهو تردد أمواجه، فانّ البحر كلما كان عميقاً وواسعاً تزداد أمواجه، وعلى ذلك فيكون المراد من قوله (بحرٍ لجىّ) أى بحر متلاطم.

و" السحاب: "عبارة عن الغيوم الممطرة، بخلاف الغيم فهو أعم، وانّمااستخدم كلمة السحاب ليكون سبباً لازدياد الظلم.

هذا ما يرجع إلى تفسير مفردات الآية، وأمّا المقصود فهو كالتالى.

انّه سبحانه شبه فى الآية السابقة أعمال الكافرين، لاَجل عدم الانتفاع بها بالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء، ولكنّه تعالى شبّه أعمالهم فى هذه الآية بالظلمة وخلوّها من نور الحق ببحر لجىّ فوقه سحابة سوداء ممطرةويعلو ماءه

---

۱ ـ النور: ۴۰.

(۲۱۵)

موج فوق موج، فراكب هذا البحر تغمره ظلمة دامسة لا يرى أمامه شيئاً حتى لو أخرج يده فانّه لا يراها مع قربها منه.

هذا هو المشبه به، و أمّا المشبه فالاَعمال التى يقوم بها الكافر باطلة محضة ليس فيها من الحقّ شىء مثل هذا البحر اللجى المحيط به عتمة الظلام الذى ليس فيه نور.

ثمّ إنّ الآية تشير إلى ظلمات ثلاث.

الاَولى: ظلمة البحر المحجوب من النور.

الثانية: ظلمة الاَمواج المتلاطمة.

الثالثة: السحاب الاَسود الممطر.

فتراكم هذه الظلمات يحجب كلّ نور من الوصول، وهكذا الحال فى الكافر ففى أعماله ظلمات ثلاث يمكن بيانها بأنحاء مختلفة:

النحو الاَوّل: ظلمة الاعتقاد، ظلمة القول، ظلمة العمل.

النحو الثانى: ظلمة القلب، ظلمة البصر، ظلمة السمع.

النحو الثالث: ظلمة الجهل، ظلمة الجهل بالجهل، ظلمة تصوّر الجهل علماً. (۱).

ويمكن أن تكون هذه الظلمات المتراكمة إشارة إلى أمر آخر وهو إصرار الكافر المتزايد على كفره وقبائح أعماله.

ولذلك يصفه سبحانه بقوله: (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور_____).

۱ ـ انظر تفسير الفخر الرازى: ۲۴|۸ ـ ۹.

إيقاظ

ثمّ إنّ بعض المولَفين فى أمثال القرآن ذكروا الآية التالية واعتبروها من الاَمثال، قال سبحانه: (وَقالُوا ما لِهذا الرَّسُول يَأْكُلُ الطَّعام وَيَمْشى فِى الاَسْواقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها وَقالَ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الاَمْثال فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً). (۱)

ولكن الآية رغم ما جاء فيها من لفظ الاَمثال ليست من قبيل التمثيل، وإنّما هى بصدد نقل ما وصف به النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى لسان الكفّار ، حيث وصفوه بأنّه يأكل الطعام، ويمشى فى الاَسواق، فلا يصلح للرسالة.

ثمّ نقموا منه بأنّا سلمنا انّه رسول، ولكنّه لماذا لا ينزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ليتصل إنذاره بالغيب بتوسط الملك؟

ثمّ نقموا منه أيضاً بأنّه لماذا لم يُلقَ إليه كنز من السماء حتى يصرفه فى حوائجه المادية، أو لماذا لا تكون له جنّة يأكل منها، ثمّ فى الختام وصفوه بأنّه مسحور.

فقال سبحانه اعتراضاً وتنديداً بوصفهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إيجاباً وسلباً بقوله (انظر كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الاَمْثال) أى انظر كيف وصفوك تارة بأنّك تأكل وتمشى فى الاَسواق، وأُخرى بعدم اقترانك بملك، وثالثة بالفقر ، ورابعة بكونك مسحوراً بتخيّل انّه رسول يأتيه ملك الوحى بالرسالة والكتاب.

وليس هاهنا مشبه ولا ـ مشبه به ولا ـ تمثيل ليبين موقف الرسول، ولاَجل ذلك صرّحنا فى المقدمة انّه ليس من الاَمثال القرآنية.

---

۱ ـ الفرقان:۷ ـ ۹.

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت التمثيل الثامن والثلاثون (مَثَلُ الّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَولياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُون *إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيم * وَتِلْكَ الاَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُهَا إِلاّ العالِمُون). (۱)

تفسير الآيات

ضرب سبحانه لآلهة المشركين مثلاً بالذباب تارة، وبيت العنكبوت أخرى، أمّا الأوّل فقد مضى البحث عنه، وأمّا الثانى فهو ما تتضمنه الآية من تشبيه آلهة المشركين ومعبوداتهم المزيفة بأوهن البيوت وهو بيت العنكبوت.

وقد مرّ انّ التشبيه يترك تأثيراً بالغاً فى النفوس مثل تأثير الدليل والبرهان، فتارة ينهى عن الغيبة ويقول: لا تغتب فانّه يوجب العذاب ويورث العقاب، وأُخرى يمثل عمله بالمثل التالى: وهو انّ مثل من يغتاب مثل من يأكل لحم الميت، لأنّك نلت من هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب، فكان نيلك منه كعمل من يأكل لحم الميت وهو لا يعلم ما يفعل به ولا

---

۱ ـ العنكبوت:۴۱ ـ ۴۳.

يقدر على الدفع.

ثمّ إنّ الغرض من تشبيه الآلهة المزيفة بهوام وحشرات الأرض كالبعوض والذباب والعنكبوت هو الحط من شأنها والاستهزاء بها.

إنّ العنكبوت حشرة معروفة ذكورها أصغر أجساداً من إناثها، وهى تتغذى من الحشرات التى تصطادها بالشبكة التى تمدها على جدران البيوت، فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد فى باطنها محتوية على سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة، فيتجدد بمجرد ملامسته للهواء و يصير خيطاً فى غاية الدقة، وما أن تقع الفريسة فى تلك الشبكة حتى تنقض عليها وتنفث فيها سماً يوقف حركاتها، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها. (۱)

ومع ذلك فما نسجته بيتاً لنفسها من أوهن البيوت، بل لا يليق أن يصدق عليه عنوان البيت، الذى يتألف من حائط هائل، وسقف مظلٍّ، وباب ونوافذ، وبيتها يفقد أبسط تلك المقومات هذا من جانب، و من جانب آخر فانّ بيتها يفتقد لأدنى مقاومة أمام الظواهر الجوية والطبيعية، فلو هبّ عليه نسيم هادئ لمزق النسيج، ولو سقطت عليه قطرة من ماء لتلاشى، ولو وقع على مقربة من نار لاحترق، ولو تراكم عليه الغبار لمزق.

هذا هو حال المشبه به، والقرآن يمثل حال الآلهة المزيفة بهذا المثل الرائع. وهو انّها لا تنفع ولا تضرّ، لا تخلق ولاترزق، ولا تقدر على استجابة أى طلب.

بل حال الآلهة المزيفة الكاذبة أسوأ حالاً من بيت العنكبوت، وهو انّ العنكبوت تنسج بيتها لتصطاد به الحشرات ولولاه لماتت جوعاً، ولكن الأصنام والأوثان لا توفر شيئاً للكافر_____.

۱ ـ انظر دائرة معارف القرن الرابع عشر:۶|۷۷۲.

وبذلك تقف على عظمة التمثيل الوارد فى قوله: (وَإِنّ أَوهن البُيُوت لَبَيْتُ العَنْكَبُوت لَو كانُوا يَعْلَمُون).

ثمّ إنّ قوله: (لو كانوا يعلمون) ليس قيداً لقوله: (أَوهن البُيُوت لَبَيْتُ العَنْكَبُوت)، لأنّه من الواضح لكلّ أحد انّ بيت العنكبوت فى غاية الوهن، وانّما هو من متمّمات قوله: (اتخذوا) أى لو علموا انّ عبادة الآلهة كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً، ربما أعرضوا عنها.

ثمّ إنّه سبحانه أردف المثل بآية أُخرى، وقال: (إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يدعُونَ مِنْ دُونِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم) والظاهر انّ" ما "فى قوله: (ما يدعون) موصولة ، أى انّه يعلم ما يعبد هوَلاء الكفار و ما يتخذونه من دونه أرباباً. ولكن علمهم لا يضر إذ هو العزيز الذى لا يغالب فيما يريد والحكيم فى جميع أفعاله.

ثمّ قال سبحانه: (وَتِلْكَ الأَمْثال نَضْرِبها لِلنّاس وما يعقلها إِلاّ العالمون) أى نذكر تلك الأمثال، وما يفهمها إلاّ العلماء العاقلون.

سورة الروم

سورة الروم التمثيل التاسع والثلاثون (وَلَهُ مَنْ فِى السَّموات وَالاَرْضِ كُلّ لَهُ قانِتُون * وَهُوَ الّذى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الاَعْلى فِى السَّموات وَالاَرض وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم * ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً من أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فى ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَومٍ يعْقِلُون). (۱)

تفسير الآيات

"القانت: "هو الخاضع، الطائع، فقوله: (كلّ له قانتون) أى خاضعون وطائعون له فى الحياة والبقاء والموت والبعث، وبالجملة كلّ ما فى الكون مقهور لله سبحانه.

ثمّ إنّ هذه الآيات تتضمن برهاناً على إمكان المعاد وتمثيلاً على بطلان الشرك فى العبادة، أمّا البرهان فقوله سبحانه: (وَلَهُ مَنْ فِى السَّموات وَالاَرْض كُلّ لَهُ قانِتُون) واللام فى قوله" وله"للملكية، والمراد منه الملكية التكوينية، كما أنّ قنوطهم وخضوعهم كذلك، ومفاد الآية انّ زمام ما فى الكون بيده سبحانه، والكل مستسلمون لمشيئته سبحانه دون فرق بين الصالحين والطالحين، وذلك

---

۱ ـ الروم:۲۶ـ ۲۸.

لاَنّه سبحانه هو الخالق الذى يدبر العالم كيفما يشاء، والمربوب مستسلم لربه.

ثمّ إنّه سبحانه رتَّب على ذلك مسألة إمكان المعاد، بقوله: (وَهُوَ الّذى يَبْدَؤُا الخَلْق ثُمَّ يُعيدهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه).

وحاصل البرهان: انّه سبحانه قادر على الخلق من العدم ـ كما هو المفروض ـ فالقادر على ذلك قادر على الاِعادة، إذ ليس هو إعادة من العدم، بل إعادة لصورة الاَجزاء المتماسكة وتنظيم المتفرقة، فالخالق من لا شىء أولى من أن يكون خالقاً من شىء.

ثمّ إنّ هذه الاَولوية حسب تفكيرنا وروَيتنا، وإلاّ فالاُمور الممكنة أمام مشيئته سواء، قال على (عليه السلام) :

وما الجليل واللطيف، والثقيل والخفيف، والقوى والضعيف فى خلقه إلاّ سواء.(۱)

ولاَجل توضيح هذا المعنى، قال سبحانه: (وَلَهُ المَثَلُ الاَعلى فِى السَّمواتِ وَالاَرْض وَهُوَ الْعَزيزُ الحَكيم) والمراد من المثل الوصف، والمراد من المثل الاَعلى هو الوصف الاَتم والاَكمل، الذى له سبحانه، فهو علم كله، قدرة كله، حياة كله، ليس لاَوصافه حد.

إلى هنا تمَّ ما ذكره القرآن من البرهان على إمكانية قيام المعاد بحشر الاَجسام.

وإليك بيان الاَمر الثانى وهو التنديد بالشرك فى العبادة من خلال التمثيل الآتى_____.

۱ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۱۸۵.

ألقى سبحانه المثل بصورة الاستفهام الاِنكارى، وحاصله: هل ترضون لاَنفسكم أن تكون عبيدكم وإماوَكم شركاء لكم فى الاَموال التى رزقناكم إيّاها على وجه تخشون التصرف فيها بغير إذن هوَلاء العبيد والاِماء ورضاً منهم، كما تخشون الشركاء الاَحرار.

والجواب: لا ـ أى لا يكون ذلك أبداً ولا يصير المملوك شريكاً لمولاه فى ماله، فعندئذٍ يقال لكم: كيف تجوزون ذلك على الله ، وأن يكون بعض عبيده المملوكين كالملائكة والجن شركاء له، امّا فى الخالقية أو فى التدبير أو فى العبادة.

والحاصل: انّ العبد المملوك وضعاً لا يصحّ أن يكون فى رتبة مولاه على نحو يشاركه فى الاَموال، فهكذا العبد المملوك تكويناً لا يمكن أن يكون فى درجة الخالق المدبر فيشاركه فى الفعل، كأن يكون خالقاً أو مدبراً، أو يشاركه فى الصفة كأن يكون معبوداً.

فالشىء الذى لا ترضونه لاَنفسكم، كيف ترضونه لله سبحانه، و هو ربّ العالمين؟ وإلى ذلك المثل أشار، بقوله:

(ضَرَبَ الله لَكُم مَثلاً مِنْ أَنْفُسكُم) أى ضرب لكم مثلاً متخذاً من أنفسكم منتزعاً من حالاتكم (هَل لَكُمْ من ما ملكت أيمانكم من

شركاء فى ما رزقناكم) فقوله: (هل لكم) شروع فى المثل المضروب، والاستفهام للإنكار، وقوله" ما "فى (مما ملكت) إشارة إلى النوع أى من نوع ما ملكت أيمانكم من العبيد و الإماء.

فقوله: (من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء) مبين للشركة، فقوله شركاء مبتدأ والظرف بعده خبره، أى شركاء فيما رزقناهم على وجه تكونون فيه سواء، و على ذلك يكون من فى شركاء، زائدة.

(۲۲۳)

فقوله: (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) بيان للشركة، أى يكون العبيد كسائر الشركاء الأحرار، فكما أنّ الشريك يخاف من شركائه الأحرار، كذلك يخاف من عبده الذى يعرف أنّه شريك كسائر الشركاء.

ثمّ إنّه يتم الآية، بقوله: (كَذلك نُفصّل الآيات لقوم يعقلون)، وعلى ذلك فالمشبه هو جعل المخلوق فى درجة الخالق، والمشبه به جعل المملوك وضعاً شريكاً للمالك.

(۲۲۴)

سورة فاطر

التمثيل الأربعون

التمثيل الأربعون (وَما يَسْتَوى البَحْران هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَمن كُلّ تَأْكُلُون لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلِيةً تَلْبَسُونَها وَتَرى الفُلكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون). (۱)

تفسير الآية

"الفرات: "الماء العذب، يقال للواحد والجمع ، قال سبحانه: (وأَسْقَيناكُمْ ماءً فُراتاً)، وعلى هذا يكون عذب قيداً توضيحياً.

"الأُجاج : "هو شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيج النار.

"مواخر "من مخر، يقال مخرت السفينة مخراً، إذا شقت الماء بجوَجئها مستقبلة له.

فالآية بصدد ضرب المثل فى حقّ الكفر والإيمان، أو الكافر والمؤمن.

وحاصل التمثيل: انّ الإيمان والكفر متمايزان لا يختلط أحدهما بالآخر، كما أنّ الماء العذب الفرات لا يختلط بالملح الأُجاج.

وفى الوقت نفسه لا يتساويان فى الحسن والنفع ، قال سبحانه: (وَما يَسْتَوى البَحْران هذا عَذبٌ فُراتٌ سائِغٌ شرابهُ وَهذا مِلحٌ أُجاج) بل انّ الكافر أسوأ

---

۱ ـ فاطر:۱۲.

(۲۲۵)

حالاً من البحر الأُجاج الذى يشاطر البحر الفرات فى أمرين:

أ: يستخرج من كلّ منهما لحماً طرياً يأكله الإنسان، كما قال سبحانه: (وَمن كلٍّ تأكُلون لَحماً طَرياً).

ب: يستخرج من كلّ منهما اللآلئ التى تخرج من البحر بالغوص وتلبسونها وتتزينون بها.

إلى هنا تمّ التمثيل، ثمّ إنّه سبحانه شرع لبيان نعمه التى نزلت لأجلها السورة، وقال:

(وَتَرى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله لعلّكم تشكرون)، والدليل على أنّه ليس جزء المثل تغير لحن الكلام، حيث إنّ المثل ابتدأ بصيغة الماضى، و قال: (وَما يستوى البحران) ولكن ذيله جاء بصيغة المخاطب (وترى الفلك) وهذا دليل على أنّه ليس جزء المثل.

مضافاً إلى أنّ مضمون الجملة جاء فى سورة النحل، وقال: (وَهُوَ الّذى سَخَّرَ البَحْرَ لتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (۱)

وبذلك يظهر انّ وزان الآية، وزان قوله سبحانه: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهى كَالحِجارة أو أَشَدُّ قَسوةً وانّ مِنَ الحِجارةِ لَمَا يَتفجّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وَإنّ مِنْها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنهُ الماءُ وإنّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَما اللهُ بِغافلٍ عَمّا تعْمَلُون). (۲)

فكما أنّ الحجارة ألين من قلوبهم، فهكذا الملح الأُجاج أفضل من الكافر ، حيث إنّه يفيد_____.

۱ ـ النحل:۱۴.

۲ ـ البقرة: ۷۴.

التمثيل الواحد و الأربعون

التمثيل الواحد و الأربعون (وَما يَسْتَوِى الأَعْمى وَالبَصِير * وَلا الظُّلُماتُ وَلاَ النُّورُ * وَلاَ الظِلُّ وَلاَ الْحَرُورُ * وَما يَسْتَوِى الأَحْياءُ وَلاَ الأَمْواتُ إنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُور). (۱)

تفسير الآيات

"الحرور: "شدة حرّ الشمس، وقيل: هو السموم.وقال الراغب: الحرور: الريح الحارة.

هذا تمثيل للكافر والمؤمن، أمّا الكافر فقد شبّهه بالصفات التالية:

۱.الأعمى، ۲. الظلمات، ۳. الحرور، ۴. الأموات.

كما شبّه المؤمن بأضدادها التالية:

۱. البصير، ۲. النور، ۳. الظل، ۴. الأحياء.

وما ذلك إلاّ لأنّ الكافر لأجل عدم إيمانه بالله سبحانه وصفاته وأفعاله، فهو أعمى البصر تغمره ظلمة دامسة لا يرى ما وراء الدنيا شيئاً، وتحيط به نار ،

_____

۱ ـ فاطر:۱۹ـ ۲۲.

قال سبحانه: (انّ جَهَنّم لَمُحيطَةٌ بِالكافِرين) (۱) وظاهر الآية انّ النار محيطة بهم فى هذه الدنيا و إن لم يشعروا بها، كما أنّه ميت لا يسمع نداء الأنبياء وإن كان حياً يمشى، وهذا بخلاف المؤمن فانّه يبصر بنور الله يغمره نور زاهر. يرى دوام الحياة إلى ما بعد الموت، فهو فى ظلّ ظليل رحمته، وانّه يسمع نداء الأنبياء ويؤمن به.

وبعبارة واضحة: الكافر مجالد مكابر، والمؤمن واعٍ متدبر_____.

۱ ـ التوبة:۴۹.

سورة يس

التمثيل الثانى والأربعون

التمثيل الثانى والاَربعون (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قالُوا ما أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ * قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ *وَما عَلَيْنا إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ * قالُوا إِنّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ * قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ *وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ *وَمالِيَ لا أَعْبُدُ الَّذى فَطَرَنى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنّى شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ * إِنِّيإِذاً لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ * إِنّى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمى يَعْلَمُونَ * بِما غَفَرَ لى رَبّى وَجَعَلَنى مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كانَتْ إِلاّ صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ * يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ). (۱_____)

۱ ـ یس:۱۳ـ ۳۰.

(۲۲۹)

تفسیر الآیات

"التعزیز: "النصرة مع التعظیم، یقول سبحانه فی وصف النبی(صلی الله علیه وآله وسلم) (فَالّذینَ آمَنُوا بِهِ وَعَزّروه وَنَصَرُوه) (۱)

"طیّر: " تطیر فلان وإطیّر ، أصله التفاوَل بالطیر، ثمّ یستعمل فی کلّ ما یتفاءل به ویتشاءم ، فقوله (إِنّا تطیرنا بِكُمْ) أی تشاءمنا بکم.

وبذلک یظهر معنی قوله: (إِنّما طائِرُكُمْ مَعَكُمْ) أی انّ الذی ینبغی أن تتشاءموا به هو معکم، أعنی: حالة إعراضکم عن الحق الذی هو التوحید وإقبالکم علی الباطل.

"الرجم: "الرمی بالحجارة.

"الصیحة :"رفع الصوت.

هذا التمثیل تمثیل إخباری یشرح حال قوم بعث الله إلیهم الرسل، فکذبوهم وجادلوهم بوجوه واهیة.

ثمّ أقبل إلیهم رجل من أقصی المدینة یدعوهم إلی متابعة الرسل بحجة انّ رسالتهم رسالة حقّة، ولکنّ القوم ما أمهلوه حتی قتلوه، وفی هذه الساعة عمّت الکاذبین الصیحة فأهلکتهم عامة، فإذا هم خامدون.

هذا إجمال القصة وأمّا تفصیلها:

فقد ذکر المفسرون انّ المسیح (علیه السلام) بعث إلی قریة انطاکیة رسولین من الحواریّین باسم: شمعون ویوحنّا، فدعیا إلی التوحید وندّدا بالوثنیة، وکان القوم وملکهم غارقین فی الوثنیة_____.

۱ ـ الاَعراف:۱۵۸.

(۲۳۰)

وناديا أهل القریة بانّا إلیکم مرسلون، فواجها تکذیب القوم و ضربهما، فعززهما سبحانه برسول ثالث، واختلف المفسرون فی اسم هذا الثالث، ولا یهمنا تعیین اسمه، وربما یقال انّه" بولس. "فعند ذلک أخذ القوم بالمکابرة و المجادلة والعناد، محتجین بوجوه واهیة:

أ: انّکم بشر مثلنا ولا مزیة لکم علینا، و ما تدعون من الرسالة من الرحمن ادّعاء کاذب، فأجابهم الرسل بأنّه سبحانه یعلم انّا لمرسلون إلیکم، ولیس لنا إلاّ البلاغ کما هو حق الرسل.

ب: انّا نتشاءم بکم، وهذه حجة العاجز التی لا یستطیع أن یحتج بشیء، فیلوذ إلی اتهامهم بالتشاوَم والتطیّر.

ج: التهدید بالرجم إذا أصرّوا علی إبلاغ رسالتهم والدعوة إلی التوحید والنهی عن عبادة الاَوثان، وقد أجاب الرسل بجوابین:

الاَوّل: انّ التشاوَم والتطیر معکم، أی أعمالکم وأحوالکم، وابتعادکم عن الحق، وانکبابکم علی الباطل هو الذی یجر إلیکم الویل والویلات.

الثانى: انكم قوم مسرفون، أى متجاوزون عن الحد.

كان الرسل يحتجون بدلائل ناصعة وهم يردون عليهم بما ذكر، وفى خضمِّ هذه الاَجواء جاء رجل من أقصى المدينة نصر وعزّز قول الرسل ودعوتهم محتجاً بأنّ هوَلاء رسل الحقّ، وذلك للاُمور التالية:

أوّلاً : انّ دعوتهم غير مرفقة بشىء من طلب المال والجاه والمقام، و هذا دليل على إخلاصهم فى الدعوة،وقد تحمّلوا عناء السفر و هم لا يسألون شيئاً.

ثانياً: انّ اللائق بالعبادة من يكون خالقاً أو مدبراً للعالم، ومن بيده مصيره

(۲۳۱)

فى الدنيا والآخرة وليس هو إلّا الله سبحانه الذى ينفعنى، فكيف أترك عبادة الخالق الذى بيده كلّ شىء، وأتوجه إلى عبادة المخلوق (الآلهة المزيفة) التى لا تستطيع أن تدفع عنى ضراً ولا تنفعنى شفاعتهم؟! فلو اتخذت إلهاً غيره سبحانه كنت فى ضلال مبين، فلمّا تم حجاجه مع القوم و عزز الرسل و بين برهان لزوم اتباعهم، أعلن، وقال: أيّها النّاس: (إنّى آمنت بربّكم فاسمَعُون).

ثمّ يظهر من القرائن انّ القوم هجموا عليه و قتلوه، ولكنّه سبحانه جزاه، فأدخله الجنة، وهو فرح مستبشر يودّ لو علم قومه بمصيره عند الله .

فلمّا تبيّن عناد القوم وقتل من احتج عليهم بحجج قوية نزل عذابه سبحانه، فعمَّتهم صيحةواحدة أخمدت حياتهم و صيّرتهم جماداً.

ففى هذه اللحظة الحاسمة التى يختار الاِنسان الضلالة على الهداية، والباطل على الحقّ، يصح أن يخاطبهم سبحانه، و يقول:

(يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يشتهزءون).

هذه حقيقة القصة استخرجناها بعد الاِمعان فى الآيات، وقد أطنب المفسرون فى سرد القصة، نقلاً عن مستسلمة أهل الكتاب الذين نشروا الاَساطير بين المسلمين، نظراء وهب بن منبّه، فلا يمكن الاعتماد على كلّ ما جاء فيها. (۱)

ثمّ إنّ فى الآيات نكات جديرة بالمطالعة:

الاُولى: يذكر المفسرون انّ الرسولين لم يكونا مبعوثين من الله مباشرة، وانّما بعثا من قبل المسيح (عليه السلام) . مثل الرسول الثالث، ولما كان بعث المسيح بأمر من الله سبحانه، نسب فعل المسيح إليه سبحانه، وقال: (إِذْ أرسلنا إليهم اثنين_____).

۱ ـ لاحظ مجمع البيان:۴|۴۱۸ـ ۴۲۰.

(۲۳۲)

الثانية: لقد وقفت على أنّ القوم قاموا بالجدال والعناد، فقالوا :ما أنتم إلّا بشر مثلنا، والجملة تحتمل وجهين:

الوجه الاَوّل: أنتم أيّها الرسل بشر، والبشر لا يكون رسولاً من الله ، و على هذا فالمانع من قبول رسالاتهم كون أصحابها بشراً.

الوجه الثانى: انّ المانع من قبول دعوة الرسالة هى عدم توفر أى مزية فى الرسل ترجحهم، ويشعر بذلك قوله": مثلنا "وإلّا فلو كان الرسل مزودين بشىء آخر ربما لم يصح لهم جعل المماثلة عذراً للربّ.

الثالثة: انّ القصة تنمُّ عن أنّ منطق القوة كان منطق أهل اللجاج، فالقوم لما عجزوا عن رد برهانهم التجأوا إلى منطق القوة، بقتل دعاة الحق وصلحائه، وقالوا: (لئن لم تنتهوا لنرجمنَّكم).

الرابعة: انّ التطير كان سلاح أهل العناد والمكابرة، ولم يزل هذا السلاح بيد العتاة الجاحدين للحق، فيتطيرون بالعابد ، وغير ذلك.

الخامسة: يظهر من صدر الآيات انّ الرسل بعثوا إلى القرية، وقد تطلق غالباً على المجتمعات الكبيرة والصغيرة، ولكن قوله: (وجاء من أقصى المدينة رجل) يعرب انّها كانت مدينة ومجتمعاً كبيراً لا صغيراً.

السادسة: انّه سبحانه يصف الرجل الرابع الذى قام بدعم موقف الرسل بأنّه كان من أقصى المدينة، وما هذا إلّا لاَجل الاِشارة إلى عدم الصلة والتواطىَ بينه وبين الرسل، ولذلك قدّم لفظ أقصى المدينة على الفاعل، أعنى": رجل، "وقال: (وجاء من أقصى المدينة).

السابعة: انّ قوله: (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) دليل على أنّ العبادة هى

(۲۳۳)

الخضوع النابع عن الاعتقاد بخالقية المعبود ومدبريته، وماله من الاَوصاف القريبة من ذلك، ولذلك يرى أنّه يعلل إيمانه وتوحيده، بقوله: (مالى لا أعبد الذى فطرنى).

كما أنّه يعلل حصر عبادته له وسلبها عن غيره، بعجزهم عن رد ضرّ الرحمن بعدم الجدوى فى شفاعتهم.

الثامنة: قلنا أنّ القرائن تشهد بأنّ من قام بالدعوة إلى طريق الرسل من القوم، قتل عند دعوته وجازاه الله سبحانه بأن أدخله الجنة، والمراد من الجنة هو عالم البرزخ لا جنة الخلد التى لا يدخلها الاِنسان إلاّ بعد قيام الساعة.

التاسعة: كما أنّ فى كلام الرجل المقتول، بقوله: (يا لَيْت قومى يعلمون بما غفر لى ربّى) دليلاً على وجود الصلة بين الحياة البرزخية والمادية، حيث أبلغ بلاغاً إلى قومه، وتمنى أن يقفوا على ما أنعم الله عليه بعد الموت، حيث قال: (قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومى يعلمون).

التمثيل الثالث والاَربعون

التمثيل الثالث والاَربعون (أَوَ لَمْ يَرَ الاِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِين * وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحيِى العِظام وَهِىَ رَمِيم * قُلْ يُحْييها الّذى أَنْشَأَها أَوّلَ مَرّةٍ وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيم). (۱)

تفسير الآيات

روى المفسرون أنّ أُبى بن خلف، أو العاص بن وائل جاء بعظم بالٍ متفتت، وقال: يا محمد أتزعم انّ الله يبعث هذا، فقال: نعم، فنزلت الآية (أَوَ لم يَرَ الاِنْسان).

فضرب الكافر مثلاً، وقال: كيف يحيى الله هذه العَام البالية؟

وضرب سبحانه مثلاً آخر، و هو انّه يحييها من أنشأها أوّلاً، فمن قدر على إنشائها ابتداءً يقدر على الاِعادة، وهى أسهل من الاِنشاء والابتداء، وقد عرفت أنّ إطلاق لفظ الاَسهلية إنّما هو من منظار الاِنسان، وأمّا الحقّ جلّ و علا فكل الاَشياء أمامه سواء.

قال سبحانه: (وَضَرَبَ لَنا مثلاً) أى ضرب مثلاً فى إنكار البعث بالعظام

---

۱ ـ يس:۷۷ـ ۷۹.

(۲۳۵)

البالية، واستغرب ممن يقول انّ الله يحيى هذه العظام ونسى خلقه (قال من يحيى العظام وهى رميم) ومثل سبحانه بالرد عليه بمثال آخر، وقال: (قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرة وهو بكلّ خلق عليم) من الابتداء والاعادة، وقد مرّ هذا المثل بعبارة أُخرى فى قوله: (وَهُوَ الّذِى يَبْدَوُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ).(۱_____)

۱ ـ الروم:۲۷.

(۲۳۶)

سورة الزمر

سورة الزمر التمثيل الرابع و الاَربعون

(وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فى هذا القُرآن مِنْ كُلّ مَثَل لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون * قُرآناً عَربياً غَيرَ ذى عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون * ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ

شُركاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثلاً الحمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون). (۱)

تفسير الآيات

"الشكس :"السيء الخلق، يقال: شركاء متشاكسون، أى متشاجرون لشكاسة خلقهم.

"سلماً: "أى خالصاً لا يملكه إلّا شخص واحد ولا يخدم إلّا إياه.

هذه الآيات تمثل حالة الكافر والموَمن، فهناك مشبه ومشبه به.

أمّا المشبّه به، فهو عبارة عن عبد مملوك له شركاء سيئى الخلق متنازعون فيه، فواحد يأمره وآخر ينهاه، و كلّ يريد أن يتفرّد بخدمته، فى مقابل عبد مملوك لرجل يطيعه ويخدمه ولا يشرك فى خدمته شخصاً آخر.

فهذان المملوكان لا يستويان.

وأمّا المشبه فحال الكافر هو حال المملوك الذى فيه شركاء متشاكسون،

---

۱ ـ الزمر:۲۷ـ ۲۹.

فهو يعبد آلهة مختلفة لكلّ أمره ونهيه وخدمته، ولا يمكن الجمع بين الآراء والأهواء المختلفة، بخلاف الموَمن فانّه يأتمر بأمر الخالق الحكيم القادر الكريم.

وهذا المثل وإن كان مثلاً واضحاً ساذجاً مفهوماً لعامة الناس، ولكن له بطن لا يقف عليه إلّا أهل التدبر فى القرآن، فهو سبحانه بصدد البرهنة على توحيده الذى أشار إليه فى قوله: (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاّ اللهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُون). (۱)

وقال سبحانه: (ءَأَربابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الواحِدُ القَهّار). (۲_____)

۱ ـ الأنبياء:۲۲.

۲ ـ يوسف:۳۹.

سورة الزخرف

التمثيل الخامس والأربعون

التمثيل الخامس والأربعون

(وَكَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِى الأَوّلِينَ* وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاّ كانوا بِهِ يَسْتَهْزِءُون* فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمضى مَثَلُ الأَوّلِين). (۱)

تفسير الآيات

"البطش: "تناول الشيء بصولة، و ربما يراد منه القوة والمنعة، يذكر سبحانه فى هذه الآيات الأُمم الماضية التى بعث الله سبحانه رسله إليهم، فكفروا بأنبيائه وسخروا منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم فأهلكهم الله سبحانه بأنواع العذاب مع مالهم من القوة والنجدة.

هذا هو حال المشبه به، والمشبه عبارة عن مشركى عصر الرسالة الذين كانوا يستهزئون بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فيوعدهم سبحانه بما مضى على الأوّلين، بأنّه سبحانه أهلك من هو أشد قوةومنعة من قريش وأتباعهم فليعتبروا بحالهم، يقول سبحانه: (كَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِى الأَوّلين) أى الأُمم الماضية (وما يأتيهم من نبى إلّا كانوا به يستهزءُون) فكانت هذه سيرة الأُمم الماضية، ولكنه سبحانه لم يضرب عنهم صفحاً فأهلكهم، كما قال: (فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مثل

۱ ـ الزخرف:۶ـ ۸.

(۲۳۹)

الاَوّلين). أى مضى فى القرآن ـ فى غير موضع منه ـ ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تصير مسير المثل.

وبعبارة أُخرى: انّ كفار مكة سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم من الخزى مثلما نزل بالاُمم الغابرة، فقد ضربنا لهم مثَلهم، كما قال تعالى: (وَكُلاًّ ضَرَبنا لَهُمُ الاَمْثال). (۱)

إيقاظ

ثمّ إنّه ربما عدّ من أمثال القرآن، قوله سبحانه: (وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيم). (۲)

كان المشركون فى العصر الجاهلى يعدّون الملائكة إناثاً وبناتاً لله تبارك و تعالى، يقول سبحانه: (وَجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) فردّ عليهم بقوله: (أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون).

وقال سبحانه: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ البَناتِ سُبحانَهُ وَلَهُمْ ما يَشْتَهُون) (۳)

فعلى ذلك فالملائكة عند المشركين بنات الله سبحانه.

ثمّ إنّ الآية تحكى عن خصيصة المشركين بأنّهم إذا رزقوا بناتاً ظلّت وجوههم مسودة يعلوها الغيظ والكظم، قال سبحانه: (وَإِذا بشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً) أى وصف الله به، وقد عرفت انّهم وصفوه بأنّ الملائكة بنات الله_____ .

۱ ـ الفرقان:۳۹.

۲ ـ الزخرف:۱۷.

۳ ـ النحل: ۵۷.

(۲۴۰)

(ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم) فليست الآية من قبيل المثل الاخبارى ولا الانشائى، وإنّما هى بمعنى الوصف، أى وصفوه بأنّه صاحب بنات، و هم كاذبون فى هذا الوصف، فلا يصح عدّ هذه الآية من آيات الاَمثال.

(۲۴۱)

التمثيل السادس والاَربعون

التمثيل السادس والاَربعون (فَاسْتَخَفَّ قوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِين * فَلَمّا آسفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقناهُمْ أَجْمَعِين * فَجَعَلْناهُمْ سلفاً وَمَثَلاً للآخِرين). (۱)

تفسير الآيات

"آسفونا: "مأخوذ من أسف أسفاً إذا اشتد غضبه.

وقال الراغب: الآسف: الحزن و الغضب معاً، وقد يقال لكلّ واحد منهما على الانفراد، و المراد فى الآية هو الغضب.

السلف: المتقدم.

انّه سبحانه يخبر عن انتقامه من فرعون وقومه، ويقول: فلمّا آسفونا، أى أغضبونا، وذلك بالإفراط فى المعاصى و التجاوز عن الحد، فاستوجبوا العذاب، كما قال سبحانه: (انتقمنا منهم) ثمّ بين كيفية الانتقام، وقال: (فَأَغْرَقناهم أجمعين) فما نجا منهم أحد (فجعلناهم سلفاً و مثلاً للآخرين)، أى جعلناهم عبرة وموعظة لمن يأتى من بعدهم حتى يتّعظوا بهم.

فالمشبه به هو قوم فرعون واستئصالهم، والمشبه هو مشركو أهل مكة وكفّارهم، فليأخذوا حال المتقدمين نموذجاً متقدماً لمصيرهم.

۱ ـ الزخرف:۵۴ـ۵۶.

(۲۴۲)

التمثيل السابع والاَربعون

التمثيل السابع والاَربعون (وَلَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ * وَقالُوا ءالِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون * إنْ هُوَ إلّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِى إسْرائِيلَ * وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الاَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيم). (۱)

تفسير الآيات

"الصدّ: "بمعنى الانصراف عن الشىء، قال سبحانه: (يصدّون عنك صدوداً)، ولكن المراد منه فى الآية هو ضجة المجادل إذا أحس الانتصار.

"تمترُنَّ :"من المرية وهى التردد بالاَمر.

ذكر المفسرون فى سبب نزول الآيات انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قرأ: (إنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُون * لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلّ فِيها خالِدُونَ * لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ). (۲)

۱ ـ الزخرف:۵۷ـ ۶۱.

۲ ـ الاَنبياء:۹۸ـ ۱۰۰.

(۲۴۳)

امتعضت قريش من ذلك امتعاضاً شديداً، فقال عبد الله بن الزبعرى: يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الاُمم؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم ") :هو لكم و لآلهتكم ولجميع الاُمم."

فقال: خصمتك و ربّ الكعبة، ألست تزعم انّ عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيراً، وعلى أُمّه، وقد علمت أنّ النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد، والملائكة يعبدون، فإن كان هوَلاء فى النار، فقد رضينا أن نكون نحن و آلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا. (۱)

وإلى فرحهم وضجّتهم، يشير سبحانه بقوله: (إذا قومك منه يصدّون) حيث زعموا انّهم وجدوا ذريعة للرد عليه وإبطال دعوته، فنزلت الآية إجابة عن جدلهم الواهى، قال سبحانه:

(ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً) أى لما وصف المشركون ابن مريم مثلاً وشبهاً لآلهتهم (إذا قومك منه يصدون) أى أحس قومك فى هذا التمثيل فرحاً وجذلاً وضحكاً لمّا حاولوا إسكات رسول الله بجدلهم، حيث قالوا فى مقام المجادلة: (وقالوا ءآلهتنا خير أم هو) يعنون آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى، فإذا كان عيسى من حصب النار كانت آلهتنا هيناً.

وبذلك يعلم انّ المشركين هم الذين ضربوا المثل حيث جعلوا المسيح شبهاً و مثلاً لآلهتهم، ورضوا بأن تكون آلهتهم فى النار إذا كان المسيح كذلك ازداد فرح المشركين وظنوا انّهم التجأوا إلى ركن ركين أمام منطق النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثمّ إنّه سبحانه يشير فى الآيات السابقة إلى القصة على وجه الاِجمال،

۱ ـ الكشاف:۳|۱۰۰.لاحظ سيرة ابن هشام:۱|۳۸۵، وقد ذكرت القصة بتفصيل.

(۲۴۴)

ويجيب على استدلال ابن الزبعرى.

أوّلاً: انّهم ما أرادوا بهذا التمثيل إلاّ المجادلة والمغالبة لا لطلب الحق، وذلك لاَنّ طبعهم على اللجاج والعناد، يقول سبحانه: (ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون).

وثانياً: انّهم ما تمسكوا بهذا المثل إلاّ جدلاً وهم يعلمون بطلان دليلهم، إذ ليس كلّ معبود حصب جهنم، بل المعبود الذى دعا الناس إلى عبادته كفرعون لا كالمسيح الذى كان عابداً لله رافضاً للشرك، فاستدلالهم كان مبنياً على الجدل وإنكار الحقيقة، وهذا هو المراد من قوله: (ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون).

ولذلك بدأ سبحانه يشرح موقف المسيح وعبادته وتقواه و انّه كان آية من آيات الله سبحانه، وقال: (إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنى إِسرائيل)، أى آية من آيات الله لبنى إسرائيل، فولادته كانت معجزة، وكلامه فى المهد معجزة ثانية وإحياوَه الموتى معجزة ثالثة، فلم يكن يدعو قطُّ إلى عبادة نفسه.

ثمّ إنّه سبحانه من أجل تحجيم شبهة حاجته إلى عبادة الناس، يقول: (وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فى الاَرض يخلفُون) أى يطيعون الله ويعبدونه، فليس الاِصرار على عبادتكم وتوحيدكم إلاّ طلباً لسعادتكم لا لتلبية حاجة الله ، وإلاّ ففى وسعه سبحانه أن يخلقكم ملائكة خاضعين لاَمره.

ثمّ إنّه سبحانه يشير إلى خصيصة من خصائص المسيح، وهى انّ نزوله من السماء فى آخر الزمان آية اقتراب الساعة.

(۲۴۵)

إلى هنا تم تفسير الآية، وأمّا التمثيل فقد تبين ممّا سبق حيث شبهوا آلهتهم بالمسيح ورضوا بأن تكون مع المسيح فى مكان واحد وإن كان هو النار. فالذى يصلح لاَن يكون مثلاً إنّما هو قوله: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) وقد عرفت انّ الضارب هو ابن الزبعرى، وأمّا قوله: (وَجَعَلناه مثلاً لبنى إِسرائيل) فالمثل فيه بمعنى الآية.

إيقاظ:

ربما عُدّت الآية التالية من الاَمثال القرآنية: (وَالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحاتِ وَآمنُوا بِما نُزّلَ على مُحمّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ * ذلِكَ بِأَنَّ الّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ وَأَنَّ الّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبّهِمْ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أَمْثالَهُمْ)(۱) والظاهر انّ المثل فى الآية بمعنى الوصف لا بمعنى التمثيل المصطلح، أى تشبيه شىء بشىء ويعلم ذلك من خلال تفسير الآيات.

تفسير الآيات

"بال "البال: الحال التى يكترث بها، ولذلك يقال:ما باليت بكذا بالةً أى ما اكترثت به، قال: (كفّر عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالهُم)، وقال: (فَما بال القُرونالاُولى) أى حالهم وخبرهم، و يعبَّر بالبال عن الحال الذى ينطوى عليه الاِنسان، فيقال خطر كذا ببالى. (۲)

---

۱ ـ محمد:۲ ـ ۳.

۲ ـ مفردات الراغب: ۶۷ مادة بال.

(۲۴۶)

إنّ هذه الآيات بشهادة ما تليها تبين حال كفّار قريش و مشركى مكة الذين أشعلوا فتيل الحرب فى بدر. فقال: (انّ الّذين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ الله) أى منعوا الآخرين من الاهتداء بهدى الاِسلام، فهوَلاء أضلّ أعمالهم، أى أحبط أعمالهم وجعلها هباءً منثوراً. فلا ينتفعون من صدقاتهم وعطياتهم إشارة إلى غير واحد من صناديد قريش الذين نحروا الاِبل فى يوم بدر و قبله.

فيقابلهم المؤمنون كما قال: (وَالّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات وَآمنوا بِما نزّل على محمّد وَهُوَ الحَقّ مِنْ رَبّهِمْ).

فلو انّه سبحانه أضلّ أعمال الكافرين وأحبط ما يقومون به من صدقات، لكنّه سبحانه من جهةأُخرى جعل صالح أعمال المؤمنين

كفارة لسيئاتهم وأصلح بالهم.

فشتّان ما بين كافر وصادّ عن سبيل الله ، يحبط عمله.

وموَمن بالله و بما نزّل على محمد، يكفّر سيئاته بصالح أعماله.

ومن هذا التقابل علم مكانة الكافر والموَمن، كما علم نتائج أعمالهما.

ثمّ إنّه سبحانه يدلّل على ذلك بأنّ الكافرين يقتفون أثر الباطل ولذلك يضل أعمالهم، وأمّا الموَمنون فيتبعون الحقّ فينتفعون بأعمالهم، وقال: (ذلك بِأَنَّ الّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ وَأَنَّ الّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبّهِمْ).

وفى ختام الآية الثانية، قال: (كذلِكَ يضرب الله للنّاس أمثالهم) أى كذلك يبين حال الموَمن والكافر و نتائج أعمالهما و عاقبتهما.

وعلى ذلك فالآية ليست من قبيل التمثيل، بل بمعنى الوصف، أى كذلك يصف سبحانه للناس حال الكافر والموَمن و عاقبتهما. فليس هناك أى تشبيه

(۲۴۷)

وتنزيل، وإنّما الآيات سيقت لبيان الحقيقة، فالآية الاُولى تشير إلى الكافر و نتيجة عمله، والآية الثانية تشير إلى الموَمن و مصير عمله ،و الآية الثالثة تذكر علة الحكم، وهو انّ الكافر يستقى من الماء العكر حيث يتبع الباطل والموَمن ينهل من ماء عذب فيتبع الحقّ.

(۲۴۸)

سورة محمد

سورة محمد التمثيل الثامن و الاَربعون (مَثَلُ الْجَنَّةِ الّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَير آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذّةٍ لِلشّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفىً وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلّ الثَّمَراتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبّهِمْ كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِى النّارِوَسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمعاءَهُمْ). (۱)

تفسير الآية

"آسن "يقال: أسن الماء، يأسن: إذا تغير ريحه تغيراً منكراً، وماء غير آسن: أى غير نتن.

"الحميم:"الماء الشديد الحرارة.

قوله": مثل الجنة "أى وصفها وحالها، وهو مبتدأ خبره محذوف، أى جنة فيها أنهار. فلو أردنا أن نجعل الآية من آيات التمثيل فلابدّ من تصور مشبه و هو الجنة الموعودة، ومشبه به وهو جنة الدنيا بما لها من الخصوصيات.

ولكن الظاهر انّ الآية صيغت لبيان حال الجنة ووصفها وسماتها، وهى كالتالى_____ :

۱ ـ محمد:۱۵.

(۲۴۹)

۱. فيها أنهار أربعة وهى عبارة عن:

أ: (أنهار من ماء غير آسن) أى الماء الذى لا يتغير طعمه ورائحته ولونه لطول البقاء.

ب: (أنهار من لبن لم يتغير طعمه)، ولا يعتريها الفساد بمرور الزمان.

ج: أنهار من خمر لذة للشاربين، فتقييد الخمر بكونه لذة للشاربين احتراز عن خمر الدنيا ،و قد وصف القرآن الكريم خمر الجنة فى آية أُخرى، وقال: (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأسٍ مِنْ مَعِين * بَيضاءَ لَذّةٍ للشّارِبينَ * لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُون). (۱)فقوله: (لذّة للشاربين) أى ليس فيها ما يعترى خمر الدنيا من المرارة والكراهة، فقوله: (لا فيها غول)، أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها،وقوله: (ولا هم عنها ينزفون) أى يسكرون. وبذلك يمتاز خمر الآخرة على خمر الدنيا.

د: أنهار من عسل مصفّى وخالص من الشمع.

وهذه الأنهار الأربعة لكلّ غايته و غرضه: فالماء للارتواء، و الثانى للتغذّى، والثالث لبعث النشاط والروح، والرابع لإيجاد القوة فى الإنسان.

۲. وفيها وراء ذلك من كلّ الثمرات، كما قال سبحانه: (وَلَهُمْ فيها مِنْ كُلّ الثَّمرات) فالفواكه المتنوعة تحت متناول أيديهم لا عين رأتها و لا أُذن سمعتها ولا خطرت على قلب بشر.

۳. وفيها وراء هذه النعم المادية، نعمة معنوية يشير إليها بقوله: (وَمَغْفِرة مِنْ رَبّهِم_____).

۱ ـ الصافات:۴۵ـ ۴۷.

وبذلك تبيّن لنا وصف الجنة وحال المتقين فيها، بقى الكلام فى تبيين حال أهل الجحيم ومكانهم، فأشار إليه بقوله:

(كمن هُوَ خالِدٌ فى النّار) هذا وصف أهل الجحيم، وأمّا ما يرزقون فهو عبارة عن الماء الحميم لا يشربونه باختيارهم وإنّما يسقون، ولذلك يقول سبحانه : (وسقوا ماءً حميماً) الذى يقطّع أمعاءهم كما قال: (فقطّع أمعاءهم).

وعلى كلّ تقدير، فلو قلنا :إنّ الآية تهدف إلى تشبيه جنة الآخرة بجنة الدنيا التى فيها كذا وكذا فهو من قبيل التمثيل، وإلّا فالآية صيغت لبيان وصف جنة الآخرة وانّ فيها أنهاراً وثماراً ومغفرة.

والظاهر هو الثانى، فالأولى عدم عدّ هذه الآية من الأمثال القرآنية وإنّما ذكرناها تبعاً للآخرين.

سورة الفتح

سورة الفتح التمثيل التاسع والأربعون

(هُوَ الّذى أرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدّينِ كُلّهِ وَكَفى بِاللهِ شَهيداً * مُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ على الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ وَرِضواناً سيماهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوراةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ كَزَرعٍ أَخْرَجَ شطأَهُ فَآزره فَاسْتَغْلَظَ فَاستَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفّارَ وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجراً عَظِيماً). (۱)

تفسير الآيات

"السيماء: "العلامة، فقوله: (سيماهم فى وجوههم)، أى علامة إيمانهم فى وجوههم.

شطأ الزرع: فروخ الزرع، وهو ما خرج منه، وتفرع فى شاطئيه أى فى جانبيه وجمعه إشطاء، وهو ما يعبر عنه بالبراعم.

"الآزر: "القوة الشديدة ، آزره أى أعانه وقوّاه.

"الغلظة :"ضد الرقة_____.

۱ ـ الفتح:۲۸ ـ ۲۹.

"السوق :"قيل هو جمع ساق.

القرآن يتكلم فى هاتين الآيتين عن النبى تارة و أصحابه أُخرى:

أمّا الأوّل فيعرّفه بقوله: (هُوَ الّذى أرسَلَ رَسُولهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدّينِ كُلّهِ وَكَفى بِاللهِ شَهيداً) والضمير" ليظهره" يرجع إلى دين الحقّ لا الرسول، لأنّ الغاية ظهور دين على دين لا ظهور شخص على الدين، والمراد من الظهور هو الغلبة فى مجال

البرهنةوالانتشار، وقد تحقّق بفضله سبحانه و سوف تزداد رقعة انتشاره فيضرب الإسلام بجرانه فى أرجاء المعمورة، ولا سيما عند قيام الإمام المهدى المنتظر (عليه السلام) .

يقول سبحانه فى هذا الصدد: (محمّد رسول الله) أى الرسول الذى سوف يغلب دينه على الدين كله، وقد صرح باسمه فى هذه الآية، إلاّ أنّه أجمل فى الآية الأُولى ، و قال": أرسل رسوله."

إلى هنا تمّ بيان صفات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسماته، و أمّا صفات أصحابه فجاء ذكرهم فى التوراة و الإنجيل.

أمّا التوراة فقد جاء فيها وصفهم كالتالى:

١. (والّذين معه أشداء على الكفّار)، الذين لا يفهمون إلاّ منطق القوة، فلذلك يكونون أشداء عليهم.

٢. (رُحماء بَينهم) فهم رحماء يعطف بعضهم على بعض ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : مثل المؤمنين فى توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى. (١_____)

١ ـ مسند أحمد بن حنبل: ۴| ۲۷۰ و ۲۶۸ و ۲۷۴.

(۲۵۳)

٣. (تراهم ركّعاً سُجّداً)، هذا الوصف يجسّد ظاهر حالهم و انّهم منهمكون فى العبادة، فلذلك يقول: (تراهم ركعاً سجداً)، أى تراهم فى عبادة، التى هى آية التسليم لله سبحانه.

ومع ذلك لا يبتغون لعبادتهم أجراً وإنّما يأملون فضل الله ، كما يقول : (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)، ولعل القيد الأخير إشارة إلى أنّ الحافز لأعمالهم هوكسب رضاه سبحانه.

ومن علائمهم الأُخرى انّ أثر السجود فى جباههم، كما يقول : (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) فسيماهم ووجوههم تلمح إلى كثرة عبادتهم وسجودهم وخضوعهم لله سبحانه، وهذه الصفات مذكورة أيضاً فى الإنجيل.

إنّ أصحاب محمد لم يزالوا يزيدون باطّراد فى العدة والقوة وبذلك يغيظون الكفار، فهم كزرع قوى وغلظ وقام على سوقه يعجب الزارعين بجودة رشده.

ولم يزالوا فى حركة دائبة ونشيطة، فمن جانب يعبدون الله مخلصين له الدين بلا رياء ولا سمعة، و من جانب آخر يجاهدون فى سبيل الله بغية نشر الإسلام ورفع راية التوحيد فى أقطار العالم.

فعملهم هذا يغيظ الكفار ويسرّ المؤمنين ، قال سبحانه: (ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفّار).

فالمجتمع الإسلامى بإيمانه وعمله وجهاده وحركته الدؤوبة نحو التكامل يثير إعجاب الأخلاّء وغيظ الألدّاء.

ثمّ إنّه سبحانه وعد طائفة خاصة من أصحاب محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) مغفرة وأجراً

(۲۵۴)

عظيماً، وذلك لأنّ المنافقين كانوا مندسّين فى صفوف أصحابه، فلا يصح وعد المغفرة لكلّ من صحب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ورآه وعاش معه وقلبه خال من ا لإيمان ، ولذلك قال سبحانه: (وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عظيماً) فكلمة" منهم "تعرب عن أنّ المغفرة لا تعم جميع الأصحاب بل هى مختصة بطائفة دون أُخرى.

وما ربما يقال من أنّ" من "بيانية لا تبعيضية غير تام.

لأنّ «من» البيانية لا تدخل على الضمير، ويؤيد ذلك قوله: (وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلى النّفاقِ لاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) . (١)

والحاصل: انّه لا يمكن القول بشمول أدلة المغفرة والأجر العظيم لقاطبة من صحب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أنّهم على أصناف شتى.

فمن منافق معروف، عرّفه الذكر الحكيم بقوله: (إذا جاءَكَ الْمُنافِقُون).(۲)

إلى آخر مختفٍ لا يعرفه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال سبحانه: (وَمِنْ أَهْلِ المَدينَةِ مَرَدُوا علَى النّفاق لا تعلَمهم نَحنُ نَعْلَمهم) .

إلى ثالث يصفهم الذكر الحكيم بمرضى القلوب، ويقول: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً) . (۳)

إلى رابع سمّاعون لنعق كل ناعق فهم كالريشة فى مهب الريح يميلون

---

۱ ـ التوبة:۱۰۱.

۲ ـ المنافقون:۱.

۳ ـ الاَحزاب:۱۲.

تارة إلى المسلمين وأُخرى إلى الكافرين، يصفهم سبحانه بقوله (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاّ خَبالاً وَلاَوضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمين) . (۱)

إلى خامس خالط العمل الصالح بالسيّء يصفهم سبحانه بقوله: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيّئاً) . (۲)

إلى سادس أشرفوا على الارتداد، عرّفهم الحق سبحانه بقوله: (وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقّ ظَنَّ الجاهِلِيةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الاَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الاَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ) . (۳)

إلى سابع يصفه القرآن فاسقاً، و يقول: (يا أَيّها الّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِين) . (۴)

والمراد هو الوليد بن عقبة صحابى سمى فاسقاً، وقال تعالى: (فَإِنَّ اللهَ لا يَرضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِين).(۵)

إلى ثامن يصفهم الذكر الحكيم مسلماً غير موَمن و يصرّح بعدم دخول الإيمان فى قلوبهم، و يقول: (قالَتِ الاَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلمّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِى قُلُوبِكُم) . (۶)

إلى تاسع أظهروا الإسلام لاَخذ الصدقة لا غير، وهم الذين يعرفون

---

۱ ـ التوبة:۴۷.

۲ ـ التوبة:۱۰۲.

۳ ـ آل عمران:۱۵۴.

۴ ـ الحجرات:۶.

۵ ـ التوبة:۹۶.

۶ ـ الحجرات:۱۴.

بالموَلّفة قلوبهم، قال: (إِنّما الصّدقاتُ لِلْفُقَراءِوَالْمَساكِين وَالعامِلِينَ عَلَيْها وَالمُوَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) . (۱)

إلى عاشر يفرّون من الزحف فرار الغنم من الذئب، يقول سبحانه:

(يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الاَدْبار* وَمَنْ يُوَلِّهِم يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ

بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمأْواهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصير) . (۲)

وكم نطق التاريخ بفرار ثلّة من الصحابة من ساحات الوغى، يقول سبحانه عند ذكر غزوة أُحد: (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ) (۳)، ولم يكن الفرار مختصاً بغزوة أُحد بل عمّ غزوة حنين أيضاً، يقول سبحانه: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِين). (۴)

هذه إلمامة عابرة بأصناف الصحابة المذكورة فى القرآن الكريم، أفيمكن وعد جميع هذه الأصناف بالمغفرة؟!

مضافاً إلى آيات أُخرى تصف أعمالهم.

نعم كان بين الصحابة رجال مخلصون يستدرُّ بهم الغمام، و قد وصفهم سبحانه فى غير واحد من الآيات التى لا تنكر.

والكلام الحاسم: انّ وعد المغفرة لصنف منهم لا لجميع الأصناف، كما أنّ عدالتهم كذلك_____.

۱ ـ التوبة:۶۰.

۲ ـ الأنفال:۱۵ـ ۱۶.

۳ ـ آل عمران:۱۵۳.

۴ ـ التوبة:۲۵.

سورة الحديد

سورة الحديد التمثيل الخمسون

(اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَينَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَولادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً ثُمّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الحَياةُ الدُّنيا إِلاّ مَتاعُ الغُرُور). (۱)

تفسير الآية

"الكفّار: "جمع الكافر بمعنى الساتر، والمراد الزارع، ويطلق على الكافر بالله لستره الحق، والمراد فى المقام الزارع، لأنّه يستر حبّه تحت التراب ويغطّيها به، يقول سبحانه : (كَزَرْعٍ ... يُعْجِبُ الزُّرّاعَ). (۲)

"هيج: "يقال: هاج البقل يهيج، أى أصفرّ، والمراد فى قوله: (ثُمّ يهِيج) أى ييبس (فتراه مصفرّاً) أى إذا قارب اليبس .

و"الحطام "بمعنى كسر الشيء، قال سبحانه: (لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ) . (۳_____)

۱ ـ الحديد:۲۰.

۲ ـ الفتح:۲۹.

۳ ـ النمل:۱۸.

(۲۵۸)

فالآية تتضمن أمرين:

الأمر الأوّل: ترسيم الحياة الدنيا والمراحل المختلفة التى تمر على الإنسان:

أ: اللعب، ب: اللهو، ج: الزينة، د: التفاخر، هـ: التكاثر فى الأموال والأولاد.

والأمر الثانى: تشبيه الدنيا بداية ونهاية بالنبات الذى يعجب الزارع طراوته ونضارته، ثمّ سرعان ما يتحول إلى عشب يابس تذروه الرياح.

ثمّ استنتج من هذا التمثيل: انّ الحياة الدنيا متاع الغرور، أى وسيلة للغرور و المتعة، يغتر بها المخلدون إلى الأرض يتصورونها غاية قصوى للحياة، ولكنّها فى نظر المؤمنين قنطرة للحياة الأُخرى لا يغترّون بها، بل يتزودّون منها إلى حياتهم الأُخروية.

هذا هو ترسيم إجمالى لمفهوم الآية، والتمثيل إنّما هو فى الشق الثانى منها، فلنرجع إلى تفسير كلّ من الاَمرين.

إنّ حياة الإِنسان من لدن ولادته إلى نهاية حياته تتشكل من مراحل خمس:

المرحلة الاُولى: اللعب

واللعب هو محل منظوم لغرض خيالى كلعب الاَطفال، وهى تقارن حياة الإِنسان منذ نعومة أظفاره وطفولته، ويتخذ ألواناً مختلفة حسب تقدم عمره، وهو أمر محسوس عند الاَطفال.

المرحلة الثانية: اللهو

واللهو ما يشغل الإِنسان عمّا يهمه، وهذه المرحلة تبتدئ حينما يبلغ

(۲۵۹)

ويشتد عظمه، فتجد فى نفسه ميلاً و نزوعاً إلى الملاهى وغيرها.

المرحلة الثالثة: حب الزينة.

والزينة نظير ارتداء الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل العالية، وجنوحه إلى كل جمال وحسن.

المرحلة الرابعة: التفاخر.

إذا تهيّأ للإِنسان أسباب الزينة يأخذ حينها بالمفاخرة بالاَحساب والاَنساب، وما تحت يديه من الزينة.

المرحلة الخامسة: التكاثر فى الاَموال و الاَولاد.

وهذه المرحلة هى المرحلة الخامسة التى يصل فيها الإِنسان إلى مرحلة من العمر يفكر فى تكثير الاَموال والاَولاد، ويشيب على ذلك الإِحساس.

ثمّ إنّ تقسيم المراحل التى تمر على الإِنسان إلى خمس، لا يعنى انّ كلّ هذه المراحل تمر على الإِنسان بلا استثناء، بل يعنى انّها تمر عليه على وجه الإِجمال، غير انّ بعض الناس تتوقف شخصيتهم عند المرحلتين الاُوليين إلى آخر عمره، فيكون اللعب واللهو أهم مائز فى سلوكهم، كما أنّ بعضهم تمر عليه المرحلة الثالثة والرابعة فيحرص على ارتداء الملابس الفاخرة والتفاخر بما لديه من أسباب.

روى عن الشيخ البهائى انّ الخصال الخمس المذكورة فى الآية مترتبة بحسب سنى عمر الإِنسان ومراحل حياته، فيتولّع أوّلاً باللعب وهو طفل أو مراهق، ثمّ إذا بلغ واشتد عظمه تعلّق باللهو و الملاهى، ثمّ إذا بلغ أشده اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل العالية وتوله للحسن

(۲۶۰)

والجمال، ثمّ إذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالاَحساب والاَنساب، ثمّ إذا شاب سعى فى تكثير المال والولد. (۱)

هذا ما يرجع إلى بيان حال الدنيا من حيث المراحل التى تمر بها.

الاَمر الثانى: أى التمثيل الذى يجسد حال الدنيا ويشبهها بأرض خصبة يصيبها مطر غزير، فتزدهر نباتها على وجه يعجب الزرّاع، ولكن سرعان ما تذهب طراوتها وتفارقها فيصيبها الإِصفرار واليبس وتذروها الرياح فى كلّ الاَطراف وتصبح كأنّها لم تكن شيئاً مذكوراً، و عند ذلك تتجلّى الحقيقة أمام الإِنسان وانّه اغتر بطراوة هذه الروضة .

وهكذا حال الدنيا فيغتر الإِنسان بها ويخلد إليها، ولكن سرعان ما تسفر له عن وجهها وتكشف عن لثامها ، وعلى أية حال فالآية تهدف إلى تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة_____.

۱ ـ الميزان:۱۹|۱۶۴.

(۲۶۱)

سورة الحشر

التمثيل الواحد و الخمسون

التمثيل الواحد و الخمسون (لاَ يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاّ فِى قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ* كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيم). (۱)

تفسير الآيات

"الحصن :"جمعه حصون، والقرى المحصنة التى تحيطها القلاع المنيعة التى تمنع من دخول الاَعداء.

البأس والبأساء: الشدة.

الوبال: الاَمر الذى يخاف ضرره.

الآية تصف حال بنى النضير من اليهود الذين أجلاهم الرسول وقد تآمروا على قتله، وكيفية المؤامرة مذكورة فى كتب التاريخ، فأمرهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجلاء وترك الاَموال و قد كانوا امتنعوا من تنفيذ أمر الرسول ، و كان المنافقون يصرّون عليهم بعدم الجلاء وانّهم يناصرونهم عند نشوب حرب بينهم وبين المسلمين، فبقى بنو النضير أياماً قلائل فى قلاعهم لا يجلون عنها بغية وصول إمدادات تعزّز قواهم_____.

۱ ـ الحشر:۱۴ـ۱۵.

(۲۶۲)

فالآيات تشرح حالهم بإمعان وتخبر بأنّهم "لا يقاتلونكم "معاشر المؤمنين جميعاً إلاّ فى قرى محصنة، أى لا يبرزون لحربكم خوفاً منكم، وإنّما يقاتلونكم متدرّعين بحصونهم، أو "من وراء جدر، "أى يرمونكم من وراء الجدر بالنبل والحجر.

(بأسهم بينهم شديد)، والمراد من البأس هو العداء، أى عداوة بعضهم لبعض شديدة، فليسوا متّفقى القلوب، ولذلك يعقبه بقوله: (وقلوبهم شتى)، ثمّ يعلل ذلك بقوله: (ذلك بأنّهم لا يعقلون) .

ثمّ يمثّل لهم مثلاً، فيقول: إنّ مثلهم فى اغترارهم بعددهم وعدّتهم وقوتهم (كمثل الذين من قبلهم)، و المراد مشركو قريش الذين قتلوا ببدر قبل جلاء بنى النضير بستة أشهر، ويحتمل أن يكون المراد قبيلة بنى قينقاع حيث نقضوا العهد فأجلاهم رسول الله بعد رجوعه من بدر.

فهوَلاء (ذاقوا وبال أمرهم)، أى عقوبة كفرهم ولهم عذاب أليم.

(۲۶۳)

التمثيل الثانى و الخمسون

التمثيل الثانى و الخمسون (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلاِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنّى بَرِىءٌ مِنكَ إِنّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ) . (۱)

تفسير الآية

هذه الآية أيضاً ناظرة إلى قصة بنى النضير، فلمّا تآمروا على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجلاء، ولكنّ المنافقين وعدوهم بالنصر، فقالوا لهم: (لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم) .

ولكن كان ذلك الوعد كاذباً، ولذلك يقول سبحانه: (والله يشهد انّهم لكاذبون) وآية كذبهم : (لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الاَدْبارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُون) . (۲)

ولقد صدق الخبر الخبر ، فأجلاهم الرسول بقوة وشدة، فما ظهر منهم أى نصر ومؤازرة و دعم، فكان وعدهم كوعد الشيطان، إذ قال

للإنسان أكفر فلمّا كفر قال إنّى برىء منك إنّى أخاف الله ربّ العالمين، بمعنى انّه أمره بالكفر ولكنّه تبرّأ منه فى النهاية.

وهل المخاطب فى قوله": اكفر "مطلق الإنسان الذى ينخدع بأحابيل

---

۱ ـ الحشر:۱۶.

۲ ـ الحشر:۱۲.

(۲۶۴)

الشيطان و وعوده الكاذبة ثمّ يتركه و يتبرّأ منه، أو المراد شخص معين؟ وجهان.

فلو قلنا بالثانى، فقد وعد الشيطان قريشاً بالنصر فى غزوة بدر، كما يحكى عنه سبحانه، و يقول (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لاَ غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنّى جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنّى أَرى ما لاَ تَرَوْنَ إِنّى أَخافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقابِ) . (۱)

وهناك قول ثالث، و هو انّ الشيطان وعد عابداً من بنى إسرائيل اسمه برصيصا حيث انخدع بالشيطان و كفر، وفى اللحظات الحاسمة تبرّأ الشيطان منه. ذكر المفسرون انّ برصيصا عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم و يعوّذهم فيبرأون على يده، و انّه أُتِى بامرأة فى شرف قد جنّت و كان لها إخوة فأتوه بها، فكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزيّن له حتى وقع عليها، فحملت، فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها، فلمّا فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى أحد إخوتها، فأخبره بالذى فعل الراهب و انّه دفنها فى مكان كذا، ثمّ أتى بقية إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقى أخاه، فيقول: والله لقد أتانى آت فذكر لى شيئاً يكبر علىّ ذكره، فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقرّ لهم بالذى فعل، فأمر به فصلب، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشيطان، فقال: أنا الذى ألقيتك فى هذا، فهل أنت مطيعى فيما أقول لك، أُخلصك مما أنت فيه؟ قال : نعم، قال: اسجد لى سجدة واحدة، فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة، فقال: اكتفى منك بالإيماء فأُوحى له بالسجود، فكفر بالله ، وقتل الرجل.

(۲_____)

۱ ـ الأنفال: ۴۸.

۲ ـ مجمع البيان:۵|۲۶۵.

(۲۶۵)

التمثيل الثالث و الخمسون

التمثيل الثالث و الخمسون (لَوْ أَنْزَلْنا هذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) . (۱)

تفسير الآية

"الخشوع: "الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح على عكس الضراعة، فانّ أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب، وقد روى إذا ضرع القلب خشعت الجوارح.

ويؤيد ما ذكره انّه سبحانه ينسب الخشوع إلى الأصوات و الأبصار، و يقول: (وخشعت الأصوات)، (خاشعة أبصارهم)، (أبصارهم خاشعة) .

ولو أردنا أن نُعرّفه، فنقول: هو عبارة عن السكينة الحاكمة على الجوارح مستشعراً بعظمة الخالق.

و" التصدع: "التفرق بعد التلاوم.

إنّ للمفسرين فى تفسير الآية رأيين:

أحدهما: انّه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، مع ما له من الغلظة والقسوة

---

۱ ـ الحشر:۲۱.

(۲۶۶)

وكبر الجسم وقوة المقاومة قبال النوازل، لتأثّر وتصدّع من خشية الله ، فإذا كان هذا حال الجبل، فالإنسان أحقّ بأن يخشع لله إذا تلا آياته.

فما أقسى قلوب هوَلاء الكفّار وأغلظ طباعهم حيث لا يتأثرون بسماع القرآن واستماعه وتلاوته.

ثانيهما: انّ كلّ من له حظّ فى الوجود فله حظ من العلم والشعور، و من جملتها الجبال فلها نوع من الإدراك والشعور، كما قال سبحانه: (وَإِنَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ). (۱)

فعلى هذا، فمعنى الآية انّ هذا القرآن لو نزل على جبل لتلاشى و تصدّع من خشية الله ، غير انّه لم ينزل عليه.

وعلى كلا المعنيين، فليست الآية من قبيل التمثيل أى تشبيه شىء بشىء، بل من قبيل وصف القرآن و بيان عظمته بما يحتوى من الحقائق والأُصول، وإنّها على الوصف التالى": لو أنزلناه على جبل لصار كذا و كذا."

نعم يمكن أن يعد لازم معنى الآية من قبيل التشبيه، وهو انّه سبحانه يشبّه قلوب الكفّار والعصاة الذين لا يتأثرون بالقرآن بالجبل والحجارة، وانّ قلوبهم كالحجارة لو لم تكن أكثر صلابة، بشهادة انّ الحجارة يتفجر منها الأنهار أو تهبط من خشية الله ، فلأجل ذلك جعلنا الآية من قبيل التمثيل وإن كان بلحاظ المعنى الالتزامى لها_____.

۱ ـ البقرة:۷۴.

(۲۶۷)

سورة الجمعة

سورة الجمعة

سورة التحريم

التمثيل الخامس والخمسون

التمثيل الخامس والخمسون

(ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوط كانَتا تَحْتَ عَبْدَينِ مِنْ عِبادِنا صالِحَينِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيئاً وَقيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلين) . (۱)

تفسير الآية

إنّ إحدى الأساليب التربوية هى عرض نماذج واقعية لمن بلغ القمة فى مكارم الأخلاق وجلائلها أو سقط فى حضيض مساوئ الأخلاق، والقرآن فى هذه الآية يعرض زوجتين من زوجات الأنبياء ابتليتا بالنفاق والخيانة ولم ينفعهما قربهما من أنبياء الله .

ثمّ إنّ الحافز لهذا التمثيل هو التنديد بزوجتى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اللّتين اشتركتا فى إفشاء سره، والغرض هو إيقافهما على أنّهما لا تنجوان من العذاب لمجرد مكانتهما من الرسول كما لم ينفع زوجة نوح و لوط، فواجهتا العذاب الأليم.

يذكر سبحانه فى هذه الصورة قصة إفشاء سرّ النبى بواسطة بعض أزواجه يقول: (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَديثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ

---

۱ ـ التحريم:۱۰.

(۲۷۰)

عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِى الْعَلِيمُ الخَبير). (۱)

وهذه الآية على اختصارها تشتمل على مطالب:

۱. انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أسرّ إلى بعض أزواجه حديثاً، كما يقول سبحانه: (وإذ أسرّ النبى إلى بعض أزواجه حديثاً)، وأمّا ما هو السر الذى أسرّه إليها فغير واضح، ولا يمكن الاعتماد بما ورد فى التفاسير من تحريم العسل على نفسه و غيره.

۲. انّ هذه المرأة التى أسرّ إليها النبى لم تحتفظ بسره وأفشته، فحدّثت به زوجة أُخرى، كما يقول سبحانه: (فلمّا نبّأت به)، و المفسرون اتفقوا على أنّ الأُولى منهما هى حفصة و الثانية هى عائشة.

وبذلك أساءت الصحبة وأفشت سر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مع أنّ واجبها كان كتم هذا السر .

۳. انّه سبحانه أخبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) به، كما يقول سبحانه: (وأظهره الله عليه) أى أطلعه الله عليه.

۴. انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عرّف حفصة ببعض ما ذكرت وأعرض عن ذكر كلّ ما أفشت، و كان (صلى الله عليه وآله وسلم) قد علم جميع ذلك و لكنّه أخذ بمكارم الأخلاق، فلم يذكر لها جميع ما صدر منها، والتغافل من خلق الكرام، و قد ورد فى المثل": ماستقصى كريم قط."

۵. لما أخبر رسول الله حفصة بما أظهره الله عليه سألت، وقالت: من أخبرك بهذا؟ فأجاب الرسول: نبّأنى العليم الخبير ، كما يقول سبحانه: (فلمّا

---

۱ ـ التحريم:۳.

(۲۷۱)

نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأنى العليم الخبير).

وبما انّ مستمع السر كمفشيه عاص، يعود سبحانه يندّد بهما ويأمرهما بالتوبة، لأجل ما كسبت قلوبهما من الآثام، وانّه لو لم تكُفَّا عن إيذاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاعلما انّ الله يتولّى حفظه ونصرته، وأمين الوحى معين له وناصر يحفظه، وصالح المؤمنين وخيارهم يؤيدونه، وبعدهم ملائكة الله من أعوانه. كما يقول سبحانه: (ان تتوبا فقد صغت قلوبكما) أى مالت إلى الإثم، وإن تظاهرا عليه أى تعاونا على إيذاء النبى، فانّ الله مولاه وجبرئيل و صالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير.

هاتان الآيتان توقفنا على مكانة الزوجتين من القيام بوظائف الزوجية، حيث إنّ حفظ الأمانة من واجب الزوجة حيال زوجها، كما أنّ الآية الثانية تعرب عن مكانتهما عند الله سبحانه حيث تجعلهما على مفترق الطرق: إمّا التوبة لأجل الإثم، وإمّا التمادى فى غيّهما وإحباط كلّ ما تهدفان إليه، لأنّ له أعواناً مثل ربه والملائكة وصالح المؤمنين.

وبما انّ السورة تكفّلت بيان تلك القصة ناسب أن يمثل سبحانه حالهما بزوجتين لرسولين أذاعتا سرهما وخانتاهما.إذ لم تكن خيانتهما خيانة فجور لما ورد: ما بغت امرأة نبى قط، و إنّما كانت خيانتهما فى الدين.

قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس: إنّه مجنون، وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح، كما أنّ امرأة لوط دلّت على أضيافه.

وعلى كلّ حال فقد شاركت هذه الزوجات الاَربع فى إذاعة أسرار أزواجهنّ، وبذلك صرن نموذجاً بارزاً للخيانة.

وقد كنَّ يتصورنّ انّ صلتهن بالرسل تحول دون عذاب الله ، ولم يقفن

(۲۷۲)

على أنّ مجرد الصلة لا تنفع مالم يكن هناك إيمان وعمل صالح، قال سبحانه: (فَإِذا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَومَئِذٍ) (۱) وقال سبحانه مخاطباً بنى آدم: (يا بَنِى آدَمَ إمّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِى فَمَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) . (۲)

ومن هنا تقف على أنّ صحبة الرسول لا تنفع مالم يضم إليه إيمان خالص وعمل صالح، فلا تكون مجالسة الرسول دليلاً على العدالة ولا على النجاة، وأصحاب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام الله سبحانه كالتابعين يحكم عليهم بما يحكم على التابعين، فكما أنّ الصنف الثانى بين صالح وطالح، فهكذا الصحابة بين صالح وطالح_____.

۱ ـ المؤمنون:۱۰۱.

۲ ـ الاَعراف:۳۵.

(۲۷۳)

التمثيل السادس والخمسون

التمثيل السادس والخمسون (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلّذِينَ آمَنُوا امرأتَ فِرْعَون إِذْ قالَتْ رَبِّ ابنِ لى عِنْدَكَ بَيْتاً فِى الجَنّةِ وَنَجّنى مِنْ فِرْعَونَ وَعَمَلِهِ وَنَجّنى مِنَ الْقَومِ الظّالِمين* وَمَرْيم ابْنَتَ عِمْرانَ الّتى أحصَنَت فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَصَدَّقت بِكَلِماتِ رَبّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ الْقانِتين) . (۱)

تفسير الآيات

"الحصن :"جمعه حصون وهى القلاع، ويطلق على المرأة العفيفة، لاَنّها تحصّن نفسها بالعفاف تارة وبالتزويج أُخرى.

القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، قوله: (كُلّ لَهُ قانِتُون) أى خاضعون.

لما مثّل القرآن بنماذج بارزة للفجور من النساء أردفه بذكر نماذج أُخرى للتقوى والعفاف من النساء بلغن من التقوى والاِيمان منزلة عظيمة حتى تركن الحياة الدنيوية ولذائذها وعزفن عن كل ذلك بغية الحفاظ على إيمانهنّ، وقد مثل القرآن بآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، فقد بلغت من الاِيمان والتقوى بمكان انّها طلبت من الله سبحانه أن يبنى لها بيتاً فى الجنة، فقد آمنت بموسى

---

۱ ـ التحريم:۱۱ـ۱۲.

(۲۷۴)

لمّا رأت معاجزه الباهرة ودلائله الساطعة، فأظهرت إيمانها غير خائفة من بطش فرعون و قد نقل انّه وتدها بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس.

هذه هى المرأة الكاملة التى ضحّت فى سبيل عقيدتها واستقبلت الشهادة بصدر رحب ولم تعر للدنيا و زخارفها أيّة أهمية، وكان هتافها حينما واجهت الموت قولها: (ربّ ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجّنى من فرعون وعمله ونجّنى من القوم الظالمين) .

فقولها": عندك، "يهدف إلى القرب من رحمة الله ، وقولها": فى الجنة "يبين مكان القرب.

فقد اختارت جوار ربها والقرب منه وآثرت بيتاً يبنيه لها ربها على قصر فرعون الذى كان يبهر العقول، ولكن زينة الحياة الدنيا عندها نعمة زائلة لا تقاس بالنعمة الدائمة.

ثمّ إنّه سبحانه يضرب مثلاً ـ آخر للموَمنات مريم ابنة عمران، ويصفها بقوله : (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين) .

ترى أنّه سبحانه يصفها بالصفات التالية:

١. (أحصنت فرجها) فصارت عفيفة كريمة وهذا بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها، كما يعرب عنه قوله سبحانه: (وَقَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً)(١) وفى سورة الأنبياء قوله: (وَالّتى أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنَا فِيها مِنْ رُوحِنا).(٢_____)

١ ـ النساء:١٥۶.

٢ ـ الأنبياء:٩١.

٢. (فنفخنا فيه من روحنا) : أى كونها عفيفة محصّنة صارت مستحقة للثناء والجزاء، فأجرى سبحانه روح المسيح فيها، وإضافة الروح إليه إضافة تشريفية، فهى امرأة لا زوج لها انجبت ولداً صار نبياً من أنبياء الله العظام.

وقد أُشير إلى هذين الوصفين فى سورة الأنبياء، قال سبحانه: (وَالّتى أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنَا فِيها مِنْ رُوحِنا وَجَعَلْناها وَ ابْنَها آيَةً لِلْعالَمِين) .

وهناك اختلاف بين الآيتين، فقد جاء الضمير فى سورة الأنبياء مؤنثاً فقال: (فنفخنا فيها من روحنا) و فى الوقت نفسه جاء فى سورة التحريم مذكراً (فنفخنا فيه من روحنا) .

وقد ذكر هنا وجه وهو:

إنّ الضمير فى سورة الأنبياء يرجع إلى مريم، وأمّا المقام فإنّما يرجع إلى عيسى، أى فنفخنا فيه حتى أنّ من قرأه" فيها "أرجع الضمير إلى نفس عيسى والنفس مؤنثة.

أقول: هذا لا يلائم ظاهر الآية، لأنّه سبحانه بصدد بيان الجزاء لمريم لأجل صيانة فرجها، فيجب أن يعود الجزاء إليها، فالنفخ فى عيسى يكون تكريماً لعيسى ولا يعد جزاءً لمريم.

٣. (صدَّقت بكلمات ربّها وكتبه) : ولعل المراد من الكلمات الشرائع المتقدمة، والكتب: الكتب النازلة، كما يحتمل أن يكون المراد الوحى الذى لم يكن على شكل كتاب.

۴. (وكانت من القانتين) : أى كانت مطيعة لله سبحانه، ومن القوم المطيعين لله الخاضعين له الدائمين عليه، وقد جيء بصيغة المذكر تغليباً، يقول

سبحانه: (يا مَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبّكِ وَ اسْجُدِى وَ ارْكَعِى مَعَ الرّاكِعين) . (١)

ونختم البحث بذكر ثلاث روايات:

١. روى الطبرى، عن أبى موسى، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال": كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلّا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، و مريم بنت عمران، و خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (" صلى الله عليه وآله وسلم) . (٢)

٢. أخرج الحاكم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم") : أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرهما فى القرآن (قالت ربّ ابن لى عندك بيتاً فى الجنّة). ("٣)

٣. أخرج الطبرانى، عن سعد بن جنادة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم") : إنّ الله زوجنى فى الجنة: مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وأُخت موسى_____. "

۱ ـ آل عمران: ۴۳.

۲ ـ مجمع البيان: ۵|۳۲۰.

۳ ـ و ۴. الدر المنثور :۸|۲۲۹.

(۲۷۷)

سورة الملک

سورة الملک التمثيل السابع والخمسون (أَمَّنْ هـذا الّذِی يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَه بَل لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَنُفُورٍ* أَفَمَنْ يَمْشِی مُكِبّاً علی وَجْهِهِ أَهْدی أَمَّن يَمْشِی سَوِيّاً عَلی صِراطٍ مُسْتَقِيم) . (۱)

تفسير الآيات

"لجّ :"من اللجاج: التمادی و العناد فی تعاطی الفعل المزجور عنه.

"عُتُوّ: "التمرّد.

"النفور:"التباعد عن الحقّ.

"مكب: "من الكبو، و هو إسقاط الشیء علی وجهه، قال سبحانه : (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم فِی النّار) . ومنه قوله":إنّ الجواد قد يكبو "أی قد يسقط، والمراد هنا بقرينة مقابله: (يمشی سوياً)، أی من يمشی ووجهه إلی الاَرض لا الساقط. وقال الطبرسی: أی منكساً رأسه إلی الاَرض، فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله.

وأمّا الآيات فقد جاءت بصيغة السوَال بين الضالين الذين لجّوا فی عتو ونفور وظلّوا متمسّكين بالاَوثان والاَصنام ، وبين المهتدين الذين يمشون فی

---

۱ ـ الملک:۲۱ـ۲۲.

(۲۷۸)

جادة التوحيد ولا يعبدون إلاّ الله القادر علی كلّ شیء.

فمثل هوَلاء مثل من يمشی علی أرض متعرجة غير مستوية يكثر فيها العثار ، وبالتالی يسقط الماشی مكباً علی وجهه، ومن يمشی علی جادة مستوية مستقيمة ليس فيها عثرات، فيصل إلی هدفه بسهولة.

فالاختلاف بين هاتين الطائفتين ليس فی كيفية المشی، وإنّما الاختلاف فی طريقهم حيث إنّ طرق الكفّار ملتوية متعرجة فيها عقبات كثيرة، وطريق المهتدين مستقيمة لا اعوجاج فيها، فعاقبة المشی فی الطريق الاُوّل هو الانكباب علی الاَرض، وعاقبة المشی فی الطريق الثانی هو الوصول إلی الهدف، فتأويل الآية : أفمن يمشی علی طريق غير مستقيم بل متعرج ملتوٍ مكباً علی وجهه أهدی أم من يمشی علی صراط مستقيم بقامة مستقيمة.

قال العلاّمة الطباطبائی: والمراد أنّهم بلجاجهم فی عتوّ عجيب ونفور من الحقّ، كمن يسلك سبيلاً و هو مكب علی وجه لا يری ما فی الطريق من ارتفاع وانخفاض ومزالق ومعاثر ، فليس هذا السائر كمن يمشی سوياً علی صراط مستقيم، فيری موضع قدمه و ما يواجهه من الطريق علی استقامة، وما يقصده من الغاية، وهوَلاء الكفّار سائرون سبيل الحياة وهم يعاندون الحقّ علی علم به، فيغمضون عن معرفة ما عليهم أن يعرفوه والعمل بما عليهم أن يعملوا به، ولا يخضعون للحق حتی يكونوا علی بصيرة من الاَمر ويسلكوا سبيل الحياة وهم مستوون علی صراط مستقيم فيأمنوا الهلاک. (۱_____)

۱ ـ الميزان:۱۹|۳۶۰ـ ۳۶۱.

(۲۷۹)

خاتمة المطاف

خاتمة المطاف

ربما عدّ غير واحد ممّن كتب فى أمثال القرآن، الآية التالية منها:

(وَما جَعَلْنا أَصحابَ النّارِ إِلّا مَلائكةً وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُم إِلّا فِتْنةً لِلّذينَ كَفَرُوا لِيَستَيْقِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ وَيَزدادَ الّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَلا يَرتابَ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ وَالمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُول الّذينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكافِرُون ماذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلّ اللهُ مَن يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَمايَعْلَمُ جنودَ رَبّكَ إِلّا هُوَ وَماهِيَ إِلّا ذِكرى لِلبَشر) . (۱)

تفسير الآية

لمّانزل قوله سبحانه (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ* و ما أدراكَ ما سَقَرُ*لا تُبْقِى ولا تَذَرُ* لواحَةٌ للبشرِ* عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ) . (۲)

قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أُمّهاتكم أتسمعون ابن أبى كبيشة يخبركم انّ خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدهم (۳) الشجعان، أفيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم_____.

۱ ـ المدثر:۳۱.

۲ ـ المدثر:۲۶ـ ۳۰.

۳ ـ الدهم: الجماعة الكثيرة.

(۲۸۰)

فقال أبو أسد الجمحى: أنا أكفيكم سبعة عشر، عشرة على ظهرى، وسبعة على بطنى، فأكفونى أنتم اثنين، فنزلت هذه الآية: (وَماجعلنا أصحاب النّار إلّا ملائكة)، أى جعلنا أصحاب النار ملائكة أقوياء مقتدرون وهم غلاظ شداد، يقابلون المذنبين بقوة، وهم أمامهم ضعفاء عاجزون، ويكفى فى قوتهم انّه سبحانه يصف واحداً منهم بقوله: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى) . (۱)

فالكفّار ما قدروا الله حقّ قدره وما قدروا جنود ربّهم، وظنوا انّ كلّ جندى من جنوده سبحانه يعادل قوة فرد منهم.

ثمّ إنّه سبحانه يذكر الوجوه التالية سبباً لجعل عدتهم تسعة عشر:

۱. (فتنةللذين كفروا).

۲. (ليستيقن الذين أُوتوا الكتاب).

۳. (يزداد الّذين آمنوا إيماناً) .

۴. (لا يرتاب الّذين أُوتوا الكتاب والمؤمنون) .

۵. (وَليقول الّذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا) .

وإليك تفسير هذه الفقرات:

أمّا الأُولى: فيريد انّه سبحانه لم يجعل عدتهم تسعة عشر إلّا للإفتتان والاختبار، قال سبحانه: (واعلموا انّما أموالكم وأولادكم فتنة) أى يختبر بهم الإنسان، فجعل عدتهم تسعة عشر يختبر بها الكافر والمؤمن، فيزداد الكافر حيرة واستهزاءً ويزداد المؤمن إيماناً وتصديقاً، كما هو حال كلّ ظاهرة تتعلق بعالم الغيب. يقول سبحانه: (وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ

_____

۱ ـ النجم:۵ـ ۶.

(۲۸۱)

إيماناً فَأَمّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ كافِرُون) . (۱)

ولا تظن انّ عمله سبحانه هذا يوجب تعزيز داعية الكفر، وهو أشبه بالجبر وإضلال الناس ووجه ذلك انّ الاستهزاء والابتعاد عن الحقّ أثر الكفر الذى اختاره على الإيمان، فهذا هو السبب فى أن تكون الآيات الإلهية موجبة لزيادة الكفر والابتعاد عن الحقّ، والدليل على ذلك انّ هذه الآيات فى جانب آخر نور وهدى وموجباً لزيادة الإيمان و التصديق.

وأمّا الثانية: أى استيقان أهل الكتاب من اليهود والنصارى انّه حقّ وانّ محمّداً رسول صادق حيث أخبر بما فى كتبهم من غير قراءة ولا تعلم.

وأمّا الثالثة: وهى ازدياد إيمان المؤمنين، وذلك بتصديق أهل الكتاب، فإذا رأوا تسليم أهل الكتاب و تصديقهم يترسخ الإيمان فى قلوبهم.

وأمّا الرابعة: أعنى قوله: (ولا يرتاب الّذين أُوتوا الكتاب والمؤمنون)، فهو أشبه بالتأكيد للوجه الثانى والثالث.

وفسره الطبرسى بقوله: وليستيقن من لم يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن آمن به صحة نبوته إذا تدبّروا وتفكّروا.

وأمّا الخامسة:وهى تقوّل الكافرين ومن فى قلوبهم مرض بالاعتراض، بقولهم: ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد، وهذه الفقرة ليست من غايات جعل عدتهم تسعة عشر ، وإنّما هى نتيجة تعود إليهم قهراً، ويسمّى ذلك لام العاقبة، كما فى قوله سبحانه: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً)

(۲) ومن

---

۱ ـ التوبة:۱۲۴ـ ۱۲۵.

۲ ـ القصص:۸.

المعلوم انّ فرعون لم يتخذه لتلك الغاية وإنّما اتخذه ليكون ولداً له، كما فى قول امرأته: (لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُون) (۱) و لكن ترتبت تلك النتيجة على عملهم شاءوا أم أبوا .

وهكذا المقام حيث أخذت الطائفتان أى الذين فى قلوبهم مرض والكافرين بالاستهزاء، وقالوا: (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) .

وقد فسر قوله: (الّذين فى قلوبهم مرض) بالمنافقين، كما فسروا الكافرين بالمتظاهرين بالكفر من المشركين، غير انّ هنا سوَال، و هو انّ السورة مكية ولم تكن هناك ظاهرة النفاق و إنّما بدأت بالمدينة.

ولكن لا دليل على عدم وجود النفاق بمكة، إذ ليس الخوف سبباً منحصراً للنفاق، فهناك علل أُخرى وهى الإيمان لَاجل العصبية والحميّة أو غير ذلك. يقول العلّامة الطباطبائى: لا دليل على انتفاء سبب النفاق فى جميع من آمن بالنبى بمكة قبل الهجرة وقد نقل عن بعضهم انّه آمن ثمّ رجع أو آمن عن ريب ثمّ صلح.

على أنّه تعالى يقول: (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ فَإِذا أُوذِىَ فِى اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللهِ وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّا كُنّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِما فِى صُدُورِ الْعالَمِين* وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقين)

(۳)(۲)

ثمّ إنّه سبحانه يختم الآية بقوله: (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء)، أى الحقائق الناصعة والآيات الواضحة تتلقاها القلوب المختلفة تلقياً

---

۱ ـ القصص:۹.

۲ ـ العنكبوت:۱۰ـ۱۱.

۳ ـ الميزان:۲۰|۹۰.

(۲۸۳)

مختلفاً يهتدى بها فريق و يضل بها آخر حسب ما يشاء سبحانه، وليست مشيئته سبحانه خالية عن الملاك والسبب، فهدايته وإضلاله رهن اهتداء الإنسان من هداياته العامة، فمن استهدى بها تشمله هدايته الثانية، وهى التى وردت فى هذه الآية، ومن أعرض عنها فيشمله إضلاله سبحانه بمعنى قطع فيضه عنه.

الآية ليست من الأمثال

ومع ما بذلنا من الجهد فى تفسير الآيات، فالظاهر انّها ليست من قبيل التمثيل لما عرفت من أنّه عبارة عن تشبيه شىء بشىء وإفراغ المعنى المعقول فى قالب محسوس لغاية الإيضاح، ولكن الآيات لا تمتُّ إليه بصلة وإنّما هى بصدد بيان سبب جعل الزبانية تسعة عشر وانّ لها آثاراً خاصة.

وعلى ذلك فقوله سبحانه: (ماذا أرادَ الله بِهذا مَثَلًا)، أى ماذا أراد الله به وصفاً، فالمثل فى هذه الآية نظير ما ورد فى سورة فرقان حيث بعد ما ذكر انّ المشركين وصفوه بأنّه رجل مسحور، قال: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثالَ)

(۱) أى انظر كيف وصفوك، فليس مطلق الوصف تمثيلاً.

تمَّ الكتاب ـ بحمد الله سبحانه ـ بيدموَلّفه جعفر السبحانى

وقد لاح بدر تمامه فى شهر جمادى الآخرة من شهور عام ۱۴۲۰

من الهجرة النبوية على هاجرها آلاف الثناء والتحية

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل

(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم

- فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّه تعالی؛ و اللّه ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹